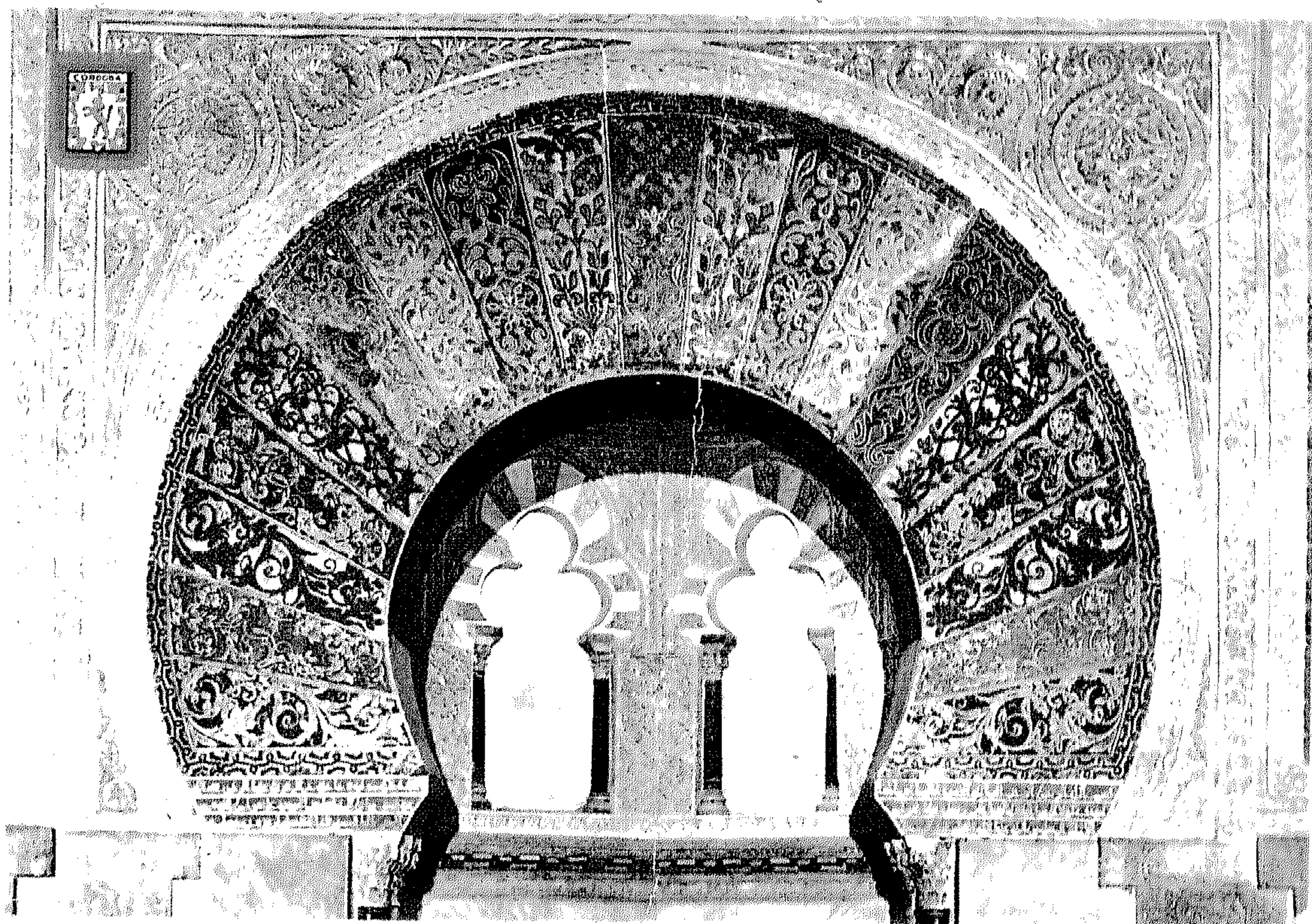


بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية

(الكتاب الأول)



دكتور

محمد حمزة الحداد

أستاذ العمارة والآثار الإسلامية المساعد

كلية الآثار - جامعة القاهرة

الناشر

دار نهضة الشرق

بحرم جامعة القاهرة



بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية

(الكتاب الأول)

تأليف

دكتور / محمد حمزة الحداد

استاذ العمارة والآثار الإسلامية المساعد

كلية الآثار - جامعة القاهرة

الناشر

دار نهضة الشرق

بحرم جامعة القاهرة

**الكتاب: بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية
(الكتاب لأول)**

المؤلف: د. محمد حمزة الحداد

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

حقوق الطبع والنشر: محفوظة للناشر.

الناشر: دار نهضة الشرق - جامعة القاهرة - ت ١٢٢٢٥٩٧٨٨ .

ملتزم التوزيع داخل مصر وخارجها: دار النشر

للجامعات ١٤ ش عمارات العبور - الدور الثاني - صلاح

سالم ص. ب ١٣٠

محمد فزید ١١٥١٨ القاهرة تليفاكس: ٢٦١٣١٦٠

رقم الايداع: ٢٥٠٩ / ٢٠٠٠

التقييم الدولي: x-131-245-977

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَٰلِكَ فَعَلَّ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

صدق الله العظيم

[سورة الحديد / آية ٢١]

هذا الكتاب إلى ستة فصول تناولنا في الفصل الأول منها « أهمية كتابات الرحالة المسلمين كمصدر لدراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية » ، وقد درسنا في هذا الفصل قضية إختلاف التعبير عن المصطلحات الفنية بين الدارسين والباحثين وإقتراح الحلول اللازمة لحسم هذه القضية وإبراز أهمية كتابات الرحالة والنصوص الأثرية والوثائقية والتاريخية بخصوص ذلك الموضوع ، فضلاً عن استنباط الأسس المنهجية التي يجب أن تدرس في ضوءها تلك المصطلحات وتطبيق ذلك على بعض المصطلحات المختلف عليها سواء فيما يتعلق بعناصر التخطيط العام للجوامع الإسلامية أو فيما يتعلق بمفردات التخطيط الداخلي لتلك الجوامع .

أما بقية فصول الكتاب فقد خصصتها لدراسة بعض أنماط تخطيط العمائر الدينية في العمارة الإسلامية .

وتأتى أهمية هذه الدراسة في أنها أثبتت أن العمائر الدينية لم يقتصر تخطيطها على أربعة طرز فحسب كما هو مدون في العديد من الدراسات المنشورة العربية والأجنبية على حد سواء وهذه الطرز الأربعة هي :

١- الطراز الأول : ويعرف أيضاً بالطراز النبوى أو الطراز العربى أو الطراز التقليدى أو طراز الاروقه حول صحن اوسط (أشكال ٣ - ٢٣ ، ٢١١ - ٢١٧) .

٢- الطراز الثانى : - ويعرف أيضاً بالطراز السنى أو الطراز الايوانى أو طراز الايوانات حول صحن أو درقاعة (أشكال ١٤٥ - ١٩٦) .

٣- الطراز الثالث : - وهو الطراز الذى يجمع بين الايوانات والاروقه ، ولم يقدر لهذا الطراز الذبوع والإنتشار فى جميع الاقطار الإسلامية وإنما إقتصر ظهوره على المشرق الإسلامى بصفة عامة وإيران بصفة خاصة (شكل ٢٣ مكرر) .

٤- الطراز الرابع : - ويعرف بالطراز التركى أو الطراز العثمانى .

ويتكون تخطيط الجامع فى هذا الطراز من جزئين رئيسيين أحدهما مغطى والآخر مكشوف ويعرف هذا الجزء المكشوف فى الإصطلاح باسم الحرم (- Avlu

(Harim) (أشكال ٨٨ ، ٩٢ - ٩٣ - ١٠١ - ١٠٥) :

أما الطراز الأخرى التى كشفت عنها الدراسة فقد أفردت لكل طراز منها فصلا قائما بذاته لمعرفة أصل الطراز ومبدأ ظهوره ومراحل تطوره فى العمارة الإسلامية ، ومن بين هذه الطرز طراز المسجد أو الجامع القبة وأنماطه المختلفة وخصصت له الفصل الثانى وموضوعه « عمائر الوزير قوجه سنان باشا الباقية فى القاهرة ودمشق » دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية ، وفى هذا الفصل أيضاً دراسة عن حمامى السنانية بالقاهرة ودمشق وتأصيل تخطيط كل منهما . ومنها أيضاً الطراز الذى إصطلحنا على تسميته بالتخطيط ذى الاروقه دون الصحن الاوسط ، ولهذا الطراز أنماط متعددة تناولنا بعضها منها فى كل من الفصل الثالث وموضوعه « المساجد المبكرة الباقية فى أسيا الوسطى » وأهميتها فى دراسة تطور العمارة الإسلامية .

والفصل الرابع وموضوعه « التخطيط غير التقليدى للمساجد فى الأندلس » دراسة تحليلية مقارنة لأصوله وتطوره فى العمارة الإسلامية

وبالنسبة للفصلين الأخيرين فقد خصصت الفصل الخامس لدراسة « العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة فى العصر المملوكى » .

والفصل السادس لدراسة « عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى » دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية .

وبعد فإذا كنت قد وقفت فيما قصدت إليه فله الحمد ، وهو من وراء القصد خير معين ، وإن كنت قد قصرت فحسبى أن يكون هذا الكتاب لبنة صغيرة فى مجال دراسة العمارة الإسلامية .

ونأمل فى القريب العاجل بمشيئة الله تعالى أن تنشر بقية الابحاث فى مجلدين متتاليين حتى يمكن أن نسد الفراغ ونكمل النقص الذى يقابل الدارسين والباحثين فى مجال الآثار الإسلامية عامة والعمارة الإسلامية خاصة . والله الموفق ،

دكتور محمد حمزة إسماعيل الحداد

القاهرة فى ١٠ / ٥ / ١٩٩٦ م .

الفصل الأول
أهمية كتابات الرحالة المسلمين
كمصدر لدراسة المصطلحات الفنية
للعلماء الإسلامية *

* القى هذا البحث فى ندوة العصور الوسطى الثانية المسماة « الرحلة والرحالة فى العصور الوسطى » والتي عقدها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة المنيا فى الفترة من ١٠/٣٠ إلى ١١/١١/١٩٩٣م.

هذا وما تزال أعمال هذه الندوة قيد النشر ، ولذلك آثرت أن ينشر هذا البحث لأهميته وخطورة موضوعه ضمن دراسات هذا الكتاب .

مقدمة

ان الحديث عن المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ^(١) حديث شاق شيق في ذات الوقت ، أما عن الأمر الأول فذلك راجع إلى تعدد هذه المصطلحات وتنوعها واختلاف أصولها اللغوية من جهة واختلاف التعبير عنها في مختلف الأقطار العربية والإسلامية بل وفي القطر الواحد من جهة ثانية وانقراض واختفاء الكثير منها في العصر الحاضر من جهة ثالثة ، ولذلك فإن كل مصطلح منها يحتاج إلى بحث طويل في أصل استعماله وتطوره خلال العصور المختلفة في أى قطر من هذه الأقطار .

ويتعلق الأمر الثانى باستجلاء كنه الحقيقة وما يصاحب ذلك من سرور ورضى نفسى ، والباحث المدقق نهم لا يشبع ، لا يمل ولا يكل من طول البحث وعنايته لأنه راغب دائما في الوصول إلى لب الحقيقة وكبدها .

والحق ان دراسة وتوحيد المصطلحات الفنية تعد من المبادئ الأساسية التى يجب أن يلم بها الماماتاما كل الباحثين والدارسين للعمارة الإسلامية سواء باللغة العربية ، أو اللغات الشرقية كالفارسية والتركية وغيرهما فضلا عن اللغات الأجنبية المتعددة .

حقا ان هناك بعض المصطلحات متفق عليها بين جمهرة الأثاريين ، ولكن بعضها الآخر ما يزال موضع خلاف وبحاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل .

(١) قام صاحب هذا البحث باعداد دراسة تحليلية مطولة من واقع المصادر اللغوية والآثرية والوثائقية والتاريخية للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، نشر الجزء الأول منها وموضوعه « المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية » القاهرة ١٩٩٦م ، وسوف تنشر بمشيئة الله تعالى ويتوفيقه بقية الدراسة فى مجلد ضخم أو أكثر حسب ما تسمح به ظروف النشر والطبع فى القريب والله الموفق .

وبصفة عامة يمكن القول بأن كل ما كتب من أبحاث ودراسات حول هذا الموضوع خلال العقود الخمسة الأخيرة يعد من القلة بمكان^(١) ، ولا يتناسب

(١) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ، ١٩٥٦م - المجلد الثانى - الوثائق والتحقيقات . الوثائق فى خدمة الآثار - ضمن أبحاث المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية - بغداد ٦٨ - ٢٨ نوفمبر ١٩٥٧م - القاهرة ١٩٥٨م - ص ص ٢٠٥ - ٢٨٧ ، (وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن مجموعة أبحاث مختارة تضمنها كتاب بعنوان : دراسات فى الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٧٩م - ص ص ٣٨٩ - ٤٧١) .

السيد عبد العزيز سالم : بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية - مستخرج من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد - المجلد الخامس - العدد ١ - ٢ - مدريد ١٩٥٧م - ص ص ٢٤١ - ٢٥٣ .

(وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن كتاب بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار - القسم الثانى ط ١ - بيروت ١٩٩٢م - ص ص ٣٣٧ - ٣٤٨) .

حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية - مجلة المجلة - السنة الثالثة - العدد ٢٧ - مارس ١٩٥٩م - ص ص ٢٧ - ٤٢ .

عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية - ط ١ - بيروت ١٩٨٨م .
محمد أمين ، لىلى إبراهيم : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية - ط ١ - القاهرة ١٩٩٠م .

على المليجى : الرواق والبلاطة والاسكوب - مصطلحات فنية لمسمى واحد بالعمائر الدينية فى العالم الإسلامى - سلسلة دراسات عن الشرق الاوسط (٩٥) مركز بحوث الشرق الاوسط - جامعة عين شمس ١٩٩١م .

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتيسر لى الاطلاع على ذلك البحث أثناء طبع الجزء الأول من كتابى عن المصطلحات الفنية المسمى المدخل والمشار إليه سابقا ، وذلك نظراً لعدم توفر أى معلومات عن هذا البحث ومكان طبعه ونشره ، وقد شاعت الظروف أن أحصل على نسخة من البحث أثناء مراجعة البروفة النهائية لكتابى بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية وهو الذى يتضمن الفصل الأول منه بحثاً عن المصطلحات فى ضوء كتابات الرحالة كان قد ألقى فى ندوة الرحلة والرحالة بأداب المنيا ، وأقدم جزيل الشكر والتقدير للزميل (د. حسين رمضان) على تفضله باعطائى نسخة من ذلك البحث فى يوم السبت ١٩٩٦/٥/٤م .

ورغم أن هذا البحث يتناول دراسة لثلاثة مصطلحات فقط ، إلا أن صاحبه لم يوفىها (أى هذه المصطلحات) حقها من التحليل ومن ثم فإن لنا على هذه الدراسة مآخذ وملاحظات كثيرة سواء فى العنوان أو فى المضمون أو فيما إنتهى إليه ، ولكن حرصاً على ظهور =

بأى حال من الأحوال مع أهمية هذا الموضوع وخطورته لكل من يتصدى
لدراسة العمارة الإسلامية وتطورها خلال العصور المختلفة فى المشرق والمغرب على
السواء .

والواقع ان دراسة المصطلحات الفنية دراسة علمية أصيلة ومتميزة تقتضى من
الدارسين والباحثين الاعتماد على عدة مصادر رئيسية يمكن حصرها فى النقاط
التالية :

١ - المعاجم اللغوية ^(١) (عربية كانت أم فارسية وتركية أم أجنبية ، ومنها

- = الكتاب فى موعده سوف اكتفى بالإشارة إلى بعضها فى هذا الفصل من كتابنا على أن
نشير إلى البقية الباقية فى الأجزاء التالية من كتابنا الجامع للمصطلحات الفنية الذى
سيصدر فى القريب بمشيئة الله تعالى .
- (١) كراع (أبى الحسن على بن الحسن الهنائى المشهور بكراع) ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م
المنجد فى اللغة - تحقيق أحمد مختار عمر ، ضاحى عبد الباقي - القاهرة ١٩٧٦م .
الجهوى (إسماعيل بن حماد) : (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م .
تاج اللغة وصحاح العربية المعروف بالصحاح - تحقيق أحمد عبد الغفار عطار - القاهرة
١٩٥٧م .
ابن سيدة (أبى الحسن على بن إسماعيل الأندلسى) ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م . المخصص
- ٥ أجزاء - بيروت . د . ت .
الجواليقى (أبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م
المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم - تحقيق أحمد محمد
شاكر - القاهرة ١٩٤٢م .
النوى (محبى الدين أبو زكريا) ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م . تهذيب الأسماء واللغات -
مصر - د . ت .
ابن منظور (محمد بن مكرم بن على) ت ٧١١هـ / ١٣١١م . لسان العرب - ٢٠ جزء
سلسلة تراثنا (طبعة مصورة عن طبعة بولاق) .
المقرئ (أحمد محمد) ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير
للرافعى - تعليق عبد العظيم الشناوى - القاهرة ١٩٧٧م .
الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م القاموس المحيط -
٤ أجزاء - القاهرة ١٩٥٢م .
المغربى (يوسف) ت ١٠٢٠هـ / ١٦١١م . دفع الاصر عن كلام أهل مصر - تحقيق
عبد السلام فؤاد موسكو ١٩٦٨م .
- =

ما هو خاص بالمعرب والدخيل وتهذيب الألفاظ والكلمات العامية ..) وذلك لمعرفة أصل المصطلح وإشتقاقه وما جرى عليه من تطور خلال العصور التالية .

٢ - الوثائق المختلفة وأهمها بطبيعة الحال وثائق الوقف التي تمثل عصب هذا النوع من الدراسة ^(١) ، حيث أن غالبية المصطلحات المتداولة في مختلف الأقطار مرجعها ما اصطلاح عليه أرباب الحرف والصناعات المرتبطة بالبناء وفنونه في كل قطر ، وإذا كانت اللهجات الدارجة ما تزال تحتفظ ببعض هذه المصطلحات حتى الآن مع ما أصابها من تحريف بسيط ، فإن بعضها الآخر قد أهمل استعماله كنتيجة حتمية لطبيعة التطور الحديث في مجال البناء والزخرفة فانقرض واختفى ولذلك تساعد الوثائق في التعرف على مثل هذه المصطلحات ودراستها .

= الخفاجي (شهاب الدين) ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م . شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة ١٩٥٢م .
البكري (ابن أبي السرور) ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م . القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب تحقيق السيد إبراهيم سالم - راجعه وقدم له إبراهيم الأبياري - القاهرة ١٩٦٢م .
الزبيدي (محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الواسطي) ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م .
تاج العروس من جواهر القاموس - ١٠ أجزاء - القاهرة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م .
ومن المعاجم والقواميس الحديثة نذكر كل من :
الأنسي (محمد علي بن الشيخ حسن) الدراوي اللامعات في منتخبات اللغات - قاموس اللغة العثمانية - بيروت ١٩٠٢م .
السيد أدى شير الألفاظ الفارسية المعربة - ط ١ - بيروت ١٩٠٨م - ط ٢ - بيروت ١٩٨٠م .
محمد علي الدسوقي : تهذيب الألفاظ العامية - القاهرة ١٩٢٢م .
عبد الفتاح الصعدي ، حسين يوسف موسى : الافصاح في فقه اللغة القاهرة ١٩٢٩م .
طوبيا العنيسي : تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفها القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م .
أنيس فريحة : معجم الألفاظ العامية - بيروت ١٩٧٣م .
الشيخ أحمد رضا : قاموس رد العامي إلى الفصح - بيروت ١٩٨١م .
عفيف بهنسي : معجم مصطلحات الفنون - بيروت ١٩٨١م .
Dozy(R).: Supplement Aux Aictionnaires Arabes , 2 Voluems
Deuxieme Edition, Paris 1927.

(١) عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار - ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية - ص ٢٧ .

٣. المصادر التاريخية : وبخاصة كتب الرحالة وكتب تواريخ المدن والخطط والفقهاء وأحكام البنين والحسبة والحوليات والموسوعات والتراجم والأدب ، وغير ذلك ^(١) ، حيث يساعد تجريد هذه المصادر في التعرف على المصطلحات المتداولة في الأقطار العربية والإسلامية في المشرق أو في المغرب ، وما جرى عليها من تطور خلال العصور المختلفة في أي قطر منها ..

٤. الآثار المعمارية الباقية : إن بقاء العديد من الآثار المعمارية المتنوعة الأغراض في مختلف الأقطار ، يساعد في دراسة وتوحيد هذه المصطلحات التي وردت في المصادر المختلفة المشار إليها والوثائق وذلك عن طريق مقارنتها ومطابقتها مع ما يوجد بهذه العمائر الباقية من وحدات وعناصر معمارية وزخرفية فضلا عن النصوص الكتابية التي يسجل بعضها العديد من مسميات المصطلحات الفنية .

يتضح ، في ضوء ما تقدم ، أن دراسة المصطلحات الفنية ليست بالعمل الهين اليسير فهي تحتاج إلى الأبحاث الجماعية التي يقوم به فريق عمل من المتخصصين في مجالات عدة : لغوية ، وآثارية ، ووثائقية ، وتاريخية وغير ذلك ، على أن ذلك لا يعني أن نغلق الباب أمام الأبحاث الفردية الأصيلة والمتعلقة لأي من المتخصصين في المجالات السابقة ، فقد تكون هذه الأخيرة نواة صالحة لسابقتها .

ومن هذا المنطلق رأيت أن أسهم في هذا النوع من الدراسة بهذا البحث الذي يشرفني أن أشارك به ضمن أعمال هذه التدوة العلمية الموقرة وموضوعه أهمية كتابات الرحالة المسلمين كمصدر لدراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية وقبل أن تنتقل إلى تفصيل القول عن موضوع البحث ، يحسن بنا أن نشير إلى تلك الحقيقة التي أصبحت لا تخفى على أحد وهي أن كتب الرحالة كانت وما تزال أحد منابع الهامة التي ينهل منها الدارسين والباحثين في شتى المجالات التاريخية والحضارية ، لذلك فقد حظيت بالنشر والتحقيق من جهة والعديد من

(١) انظر حاشية ١ ص ١٨ من هذا الفصل .

الدراسات والأبحاث منذ أكثر من قرنين وحتى الآن من جهة ثانية (١).

وكل ما يمكن أن نضيفه في هذا الصدد ، هو أن كتب الرحالة تتفاوت قيمتها وأهميتها لا من حيث الوجهة والغاية فحسب ، بل من حيث التحرير والتقيد والتحقيق وشدة الرغبة في الاطلاع على حقائق الأشياء واصولها ولذلك فإن أكثر هذه الكتب قيمة وأهمية هي تلك التي تحوى مشاهدات عامة متنوعة تشمل كل ما يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه العمرانية والجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك ، بحيث يجعل القارئ رفيقا ملازما له في سفرة وصاحبها في تنقلاته ومنصتا لحديثه ومشاركاه في مشاهداته ، وعلى كل فإن هذا النوع من كتب الرحالة - على ندرته - هو المرغوب فيه والمنظور إليه بعين الاشتياق من القراء مع الرغبة والتقدير من الدارسين والباحثين .

هذا ويرجع اهتمامى بكتب الرحالة كمصدر من مصادر دراسة الآثار الإسلامية عامة والعمارة خاصة إلى عدة سنوات مضت عكفت خلالها على

(١) انظر على سبيل المثال وليس الحصر كل من :

حسين فوزى : حديث السندباد القديم - القاهرة ١٩٤٣ م.

نقولا زيادة : رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى - القاهرة ١٩٤٣ .

: الرحالة العرب - سلسلة الألف كتاب - العدد ٩٧ - القاهرة ١٩٥٦ م.

زكى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى - ط ١ القاهرة ١٩٤٥ م. ط ٢ بيروت ١٩٨١ م.

كراتشكوفسكى : اغناطيوس يوليا نوفتش (: تاريخ الأدب الجغرافى العربى - ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - القاهرة ١٩٦٥ .

شوقى ضيف : الرحلات - ط ٣ - القاهرة ١٩٧٩ م.

علوى (س م ضياء الدين) : الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين -

تعريب وتحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، طه محمد جاد - ط ١ - جده ١٩٨٤ م.

حسين فهم : أدب الرحلات - عالم المعرفة - العدد ١٢٨ - الكويت - شوال ١٤٠٩ هـ / يونيو ١٩٨٩ م.

أحمد رمضان أحمد : الرحله والرحاله المسلمون - جده - د. ت .

قراءة ودراسة غالبية هذه الكتب - منشورة كانت أم مخطوطة - وقد استفدت منها فى أبحاثى ودراساتى السابقة^(١)، وفضلاً عن ذلك فقد تجمع لدى بعد تجريد هذه الكتب عدد كبير من المصطلحات الفنية التى كانت متداولة وشائعة وقتئذٍ والتى استخدمها الرحالة فى وصف المعالم الأثرية، دينية كانت أم مدنية أم حربية، التى زاروها فى المدن الإسلامية المختلفة ودونوا مشاهداتهم عنها.

ويمكن القول بأن هذه المصطلحات قد شملت غالبية أنماط العمارة والعمران فى الأقطار الإسلامية المختلفة من تخطيط مدن وعمارة حربية وعمارة دينية وجنائزية ومدنية، فضلاً عن بعض العناصر المعمارية والزخرفية وهو ما سنوضحه فيما يلى : (٢).

(١) محمد حمزه الحداد : قراقة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك - رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٧ - (وفيها دراسة وافية عن القراقة فى نظر الرحالة سواء كانوا من المسلمين أو الأجانب).

: السلطان المنصور قلاوون - ط ١ - القاهرة ١٩٩٣ م - (وفيه دراسة عن البيمارستان المنصورى فى ضوء أقوال الرحالة ص ١٣٣ - ١٣٩).

: المصادر التاريخية وأهميتها فى دراسة العمارة الإسلامية فى مصر العثمانية - بحث ألقى ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ١٠ / ١ / ١٩٩٣ م تحت النشر، (وفيه دراسة لأهمية كتابات الرحالة الذين زاروا مصر العثمانية من الأتراك والمغاربة والأجانب فى دراسة العمارة الإسلامية فى تلك الفترة).

القباب فى العمارة المصرية الإسلامية - ط ١ - القاهرة ١٩٩٣ م.

(٢) إُعتمدت فى استخراج هذه المصطلحات على عدد كبير من كتب الرحالة المسلمين المشاركة والمغاربة ومن بينهم كل من :

أ - الرحالة المشاركة : ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى) صورة الأرض - بيروت ١٩٧٩ م.

ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) المسالك والممالك - تحقيق محمد مخزوم - ط ١ - بيروت ١٩٨٨.

ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) .

رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة - تحقيق =

١. المصطلحات الخاصة بتخطيط المدن الإسلامية : وردت في كتابات

- = سلمى الدهان - ط ٢ - بيروت ١٩٨٧ م.
ابن الفقيه (أبى بكر أحمد بن محمد الهمداني) مختصر كتاب البلدان - ط ١ - بيروت ١٩٨٨ .
ابن محاسن (يحيى بن أبى الصفا) المنازل المحاسنية فى الرحلة الطرابلسية - دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت - ط ١ - بيروت ١٩٨١ م.
أبو دلف (مسعر بن المهلهل الخرجى النبوى) ، الرسالة الثانية لأبى دلف رحالة القرن العاشر - نشر وتحقيق بطرس بولفاكوف وأنس خالدوف - ترجمة وتعليق محمد منير مرسى - القاهرة ١٩٧٠ م.
البغدادى (عبد اللطيف) : الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر - ضمن كتاب عبد اللطيف البغدادى لبول غليونجى - أعلام العرب - العدد ١١٤ - القاهرة ١٩٨٥ م - ص ٦٥ - ١٥٢ .
الحموى (ياقوت) معجم البلدان - ٥ أجزاء - بيروت ١٩٨٦ م. المشترك وضعا والمفترق صقلا - ط ٢ بيروت ١٩٨٦ م.
خسرو (ناصر خسرو علوى) : سفر نامه - ترجمة يحيى الخشاب - سلسلة الألف كتاب الثانى - العدد ١٢٢ - القاهرة - ١٩٩٣ م.
الدمشقى : (شيخ الربوه) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليزج ١٩٢٣ م.
المسعودى (أبو الحسن على بن حسين بن على) : مروج الذهب ومعادن الجوهر - ٤ أجزاء - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ط ٤ - القاهرة ١٩٦٤ م.
المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم تحقيق محمد مخروم - ط ١ - بيروت ١٩٨٧ م.
النابلسى (عبد الغنى) : التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية - تحقيق هريبرت بوسه - ط ٢ - القاهرة . د . ت .
النابلسى : الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز تقديم واعداد أحمد عبد المجيد هريدى - القاهرة ١٩٨٦ م.
اليقوى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب) : كتاب البلدان - ط ١ بيروت ١٩٨٨ م.
Gelebi (E.), Seyahatnamesi , Misir, Sudan, Habes, (1672 - 1680) Istanbul, 1938.

ب - الرحالة المغاربة :

- ابن بطوطه (محمد بن عبد الله) : الرحلة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، بيروت - د . ت .
ابن جبير (محمد بن أحمد) : الرحلة (التذكرة بالأخبار فى اتفاقات الأسفار) بيروت - د . ت .

الرحالة عدة مصطلحات تتعلق بالمدن الإسلامية ومرافقها المختلفة ومنها : الخطط،

-
- ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) تحقيق أحمد مختار العبادي - الاسكندرية ١٩٨٣ م.
- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك .
- كتاب الجغرافيا - تحقيق وتعليق إسماعيل العربي - ط ١ - بيروت ١٩٧٠ .
- البكري (أبي عبيد) : جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري - بحث وتحقيق عبد الله يوسف الغنيم - الكويت ، ١٩٨٠ م.
- * المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك - ط ٢ - بغداد . د.ت.
- * جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري - تحقيق عبد الرحمن الحجى ط ١ - بيروت ١٩٦٨ م.
- البلوى (خالد بن عيسى البلوى أبو البقا) : تاج الفرق في تحلية علماء أهل المشرق - مخطوطة بدار الكتب المصرية - (رقم ٤٠٠ جغرافيا - ميكروفيلم ٤٥٧٧٣) .
- التجيبى (القاسم بن يوسف) : مستفاد الرحلة والاغتراب - تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور - ليبيا - تونس ١٩٧٥ م.
- التيجاني (أبو محمد عبد الله) : رحلة التيجاني - تونس - طرابلس ٧٠٦ - ٧٠٨ هـ . تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب - ليبيا - تونس ١٩٨١ م.
- الحميرى (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق احسان عباس - ط ٢ - بيروت ١٩٨٠ م.
- الادريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشرىف الادريسي) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - مجلدان - ط ٢ - القاهرة . د . ت .
- العبدري (أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيجى) : رحلة العبدري المسماه الرحلة المغربية - تحقيق محمد القاسى - الرباط ١٩٦٨ م.
- العياشى (أبو سالم) : رحلة العياشى - تحقيق ودراسة نجاح القابسى - رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة عين شمس - ١٩٧١ م.
- القلصادى (أبي الحسن علي القلصادى الأندلسى) : رحلة القلصادى - تحقيق محمد أبو الأجفان - تونس ١٩٧٨ م.
- ليون الأفريقى (الحسن بن محمد الوزان القاسى) : وصف إفريقيا - جزاءن - ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، الرباط ١٩٨٢ م.
- الورثيلانى (الحسن بن محمد) : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية . ط ٢ - بيروت ١٩٨٤ م.

الحارات ، المحلات ، الحومات ، الأرباض ، الظواهر ، الرحاب ، العرصات ، الخوخ ، السكك ، الدروب ، الميادين ، الشوارع ، المربعات ، الأزقة ، المقابر ، الجبانات ، الترب ، القراقة ، المصليات وغير ذلك .

٢ . المصطلحات الخاصة بالعمارة الحربية :

وردت في كتابات الرحالة عدة مصطلحات تتعلق بالعمارة الحربية سواء من حيث مسمياتها العامة أو من حيث مسميات مفرداتها وعناصرها المختلفة ومنها : الزباط ، القلعة ، الحصن ، الاطم ، القهندز ، القصبة ، المحرس ، المرقب ، المنظرة ، الحصار ، المرصد ، المسلح ، الشرف ، الفصيل ، الباشورة ، الدركاة ، السور ، الستار ، البرج ، الدهاليز ، الدرب ، الممشى ، وغير ذلك .

٣ - المصطلحات الخاصة بالعمارة الدينية :

وردت في كتابات الرحالة عدة مصطلحات تتعلق بالعمارة الدينية سواء من حيث مسمياتها العامة ، أو من حيث مسميات مفرداتها وعناصرها المختلفة ومنها المسجد ، الجامع ، الرباط ، الزاوية ، المدرسة ، الخانقاة ، التكية ، الصحن ، الرحبة ، الساحة ، البهو ، المسقف ، المغطى ، السقيفة ، المقصورة ، البرطل ، الرواق ، البلاط ، الجناح ، الروشن ، المنارة ، الصومعة ، المئذنة ، المنجانه الفسقية ، الفواره ، النافورة ، الشادروان ، الخصة (أو الخسة) ، الجب ، البركة ، البحرة ، الماغل ، الجرن ، روزنه ، الباذاهنج ، الدكه ، السده ، الشمسية ، القمرية ، المضوى ، السقف ، السماء ، الأزج ، الساباط ، المطهرة ، الميضأ ، الازار ، الافريز ، الطرة ، التريعة وغير ذلك .

٤ . المصطلحات الخاصة بالعمارة الجنائزية ^(١) :

وردت في كتابات الرحالة عدة مصطلحات تتعلق بالعمارة الجنائزية سواء من حيث مسمياتها العامة أو من حيث مسميات مفرداتها وعناصرها المختلفة ومنها : التربة ، القبر ، المقبرة ، المدفن ، المقام ، المرقد ، المشهد ، المزار ، الروضة ، القبة ، الميل ، الطربال ، الضريح ، المسن ، اللوح ، القبرية ، العمود ، الدكان ، الدرايزين وغير ذلك .

(١) تجدر الإشارة إلى أن بعض الدراسين والباحثين قد أطلق على هذا النوع من العمار مصطلحا عاما واحدا وهو القباب الضريحية ، ولم يشر أى باحث منهم إلى مبررات إطلاق هذا =

٥. المصطلحات الخاصة بالعمارة المدنية :

وردت فى كتابات الرحالة عدة مصطلحات تتعلق بالعمارة المدنية وأنماطها المختلفة سواء من حيث مسمياتها العامة أو من حيث مسميات مفرداتها وعناصرها المختلفة وهو ما سنوضحه فيما يلى :

(أ) المنشآت السكنية :

الدار ، البيت ، الربيع ، الجوسق ، القصر ، الكوشك ، السراى ، المجلس ، الرواق ، الطبقة ، الايوان ، القاعة ، الروشن ، الجناح ، الساباط ، الأسطوان ، الحيرى بكمين ، المشور ، المصرية (المصارى) البحرة ، البركة ، الفسقية ، المقعد ، الساحة ، الاسطبل ، الباذهنج وغير ذلك .

(ب) الحمامات :

الداخل ، البرانى ، المسلخ ، المشلح ، المغطس ، الحوض ، المقصورة ، الميزاب ، البركة ، الفسقية ، القبة ، الايوان ، الأتون ، الموقد ، الموقد وغير ذلك .

(ج) المنشآت الخيرية :

السقاىه : قبة الشراب ، السبيل ، المزمله ، حوض السبيل ، الجشمة ، عمارت البيمارستان ، بيمارخانه ، المارستان ، تيمارخانه وغير ذلك .

(د) المنشآت التجارية :

الخان ، القيسارية ، الفندق ، تيم ، بام ، دار السماسر ، دار التجار ، دار البطيخ ، كروان سراى ، البادستان ، الاراستا ، البازار ، السوق ، الحانوت ،

= المصطلح أو المصادر التى دلّتهم عليه من قريب أو بعيد ، وقد سبق أن ناقشنا هذا المصطلح فى كتابنا عن القباب ط ١ - ١٩٩٣م (ص ١٧ - ٢١) ، وسوف نتعرض له تحليلاً وتفصيلاً فى كتابنا عن المصطلحات الفنية الذى سيصدر فى القريب بمشيئة الله تعالى ونكتفى أن نذكر من بين هذه الدراسات الحديثة كل من :

محمد محمود الجهينى : خطط القاهرة فى جنوبها الغربى - دكتوراه - غير منشوره - جامعه القاهرة ١٩٩٢م ص ١٣٦

عبدالله كامل مرسى : اضواء جديده بعض منشآت امراء المالك فى القرنين السابع والثامن للهجرة - منشآت الأمير الجاولى وسلار بمصر والشام - مجلة المؤرخ العربى - العدد ٤ - المجلد الاول - مارس ١٩٩٦م - ص ٣١٦

الدكان وغير ذلك .

(هـ) منشآت المنافع العامة :

القناطر ، الجسور ، الحنايا ، الشاذروانات ، السدود ، المقاييس ، المواجل ،
الغبول ، المشنه وغير ذلك .

٦ . المصطلحات الخاصة بالعناصر المعمارية :

العمود ، الاسطون ، الساريه ، الدعامه ، الرجل ، الركن ، العضاده ، العقد ،
القوس ، الطاق . ، القنطره ، الحنيه ، كمر وغير ذلك .

٧ . المصطلحات الخاصة بمواد البناء والزخرفة والكسوات المختلفة :

الآجير ، الطوب ، القرميد ، الجص ، الحجر ، الطاييه ، الرخام ، المنجور ،
الملون ، القصه ، المنقوش ، الفص المذهب ، الفسيفساء ، المفصص ، غشك ،
القاشاني (القيشاني) ، الزليج ، الدامس ، الساف ، المدماك ، ملبس ، مستور ،
مغطى ، مؤذر ، الإزار ، الافريز ، الطراز ، الطرة ، التريعه وغير ذلك .

وماله دلالة في هذا الصدد أن هذه المصطلحات السابقة تكاد تكون متطابقة
مع مثيلتها التي وردت في كتابات المؤرخين المعاصرين ^(١) من جهة ووثائق

(١) قمت بقراءة العديد من المصادر التاريخية واستخرجت منها المصطلحات الفنية لمقارنتها
بما ورد من مصطلحات في كتب الرحالة ، وتغطي هذه المصادر فترة تاريخية طويلة تمتد
فيما بين القرنين ٣ - ١٣ هـ / ٩ - ١٩ م سواء كانت متعلقة بمصر أو الجزيرة العربية أو
العراق أو الشام أو آسيا الوسطى أو آسيا الصغرى أو المغرب أو الأندلس أو غرب إفريقيا أو شرق
إفريقيا .

ولا يتسع المجال لذكر كل هذه المصادر ، ولذلك نكتفي بذكر أسماء المؤرخين لاسيما وأن
أسماء كتبهم معروفة للدارسين والباحثين كل في تخصصه .

* المغرب والأندلس : (مؤلفات كل من : ابن أبي دينار ، ابن أبي قرع ، ابن بسام ، ابن
الأحمر ، ابن الخطيب : ابن عبد ربه ، ابن صاحب الصلاة ، ابن عذارى ، ابن مرزوق
التلمساني ، الجزنائي ، الدباغ ، السبتي ، السلاوي ، المقرئ ، الناصري ، ابن خلدون
وغيرهم .

* غرب إفريقيا : (مؤلفات كل من : بن عثمان فودي ، التبكي ، السعدى) . =

الوقف^(١) من جهة ثانية وبعض النصوص الكتابية المسجلة والمنقوشة على جدران العمائر الباقية^(٢) من جهة ثالثة، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوءه دراسة المصطلحات الفنية التى كانت شائعة ومتداولة فى أقطار المشرق الإسلامى ، وما يقابلها ويرادفها فى أقطار المغرب الإسلامى ، بل ويمكن أيضاً معرفة ما جرى على بعض هذه المصطلحات من تطور خلال العصور التاريخية المتعاقبة فى أى قطر

= * مصر : (مؤلفات كل من : ابن عبد الحكيم ، الكندى ، ابن ميسر ، ابن عبد الظاهر ، ابن فضل الله العمرى ، ابن الوطواط ، ابن دقماق ، ابن إياس ، المقرئى ، النويرى ، السخاوى ، السيوطى ، الصيرفى ، الاسحاقى ، ابن عبد الغنى ، يوسف الملوانى المعروف بابن الوكيل ، الجبرتى على مبارك وغيرهم .

* الجزيرة العربية : (مؤلفات كل من : ابن المطهر ، ابن المجاور ، الأزرقى ، الحجري ، البرزنجى ، ابن النجار ، السمهودى الرازى ، الزبيدى ، الخزرجى ، الحجري ، النهرالى ابن خضر الرومى ، ابن عبد القادر الجزيرى) وغيرهم .

* العراق والشام : (مؤلفات كل من : ابن الخطيب ، ابن النجار ، ابن الفوطى ، ابن عساكر ، ابن شداد ، ابن قاضى شهبه ، ابن العديم ، ابن القلانسى ، ابن عبد الهادى ، مجير الدين الحنبلى ، ابن طولون البصالحى ، النعيمى ، العلموى ابن الاثير وغيرهم .

* آسيا الوسطى والصغرى : (مؤلفات كل من : السهمى ، الترشى ، عثمان زاده ، عالى ، كاتب جلبى الشهير بحاجى خليفة ، نعيما ، سلايىكى ، بجوى) وغيرهم .

* شرق أفريقيا : مؤلفات كل من ابن رزىق ، الازكوى ، السالمى ، المغيرى ، وغير ذلك .
« وعن أسماء هذه المصادر وتاريخ ومكان نشرها انظر قائمة المصادر بكتابنا المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية - ط ١ - القاهرة ١٩٩٦ م .

(١) اعتمدت على العديد من وثائق الوقف المصرية التى ترجع إلى العصرين المملوكى والعثمانى سواء ما نشر منها أو ما لا يزال محفوظاً فى أرشيف وزارة الأوقاف ودار الوثائق والشهر الحقارى ، أما فيما يخص وثائق البلاد العربية والإسلامية فقد اعتمدت على ما هو منشور فى بعض الدراسات الحديثة .

(٢) تسجل لنا النصوص الكتابية المنقوشة على جدران العمائر الأثرية الباقية فى العديد من المدن العربية الإسلامية الكثير من مسميات المصطلحات الفنية وهو ما يساعد على دراستها ومعرفة ما جرى عليها من تطور من جهة ويؤكد أو ينفى ما ورد فى المصادر المختلفة المشار إليها من جهة ثانية ، ومن بين هذه المصطلحات (الرواق ، البلاطة ، المقدم ، المؤخر ، الجناح ، المجنبة ، الدكة ، السده وغير ذلك كثير وهو ما سنعرض له تفصيلاً وتحليلاً فى كتابنا الجامع للمصطلحات الفنية الذى سيصدر فى القريب بمشيئة الله تعالى .

من هذه الأقطار ، كذلك يمكن التعرف أيضاً على بداية ظهور مصطلحات فنية جديدة وإحلالها محل المصطلحات القديمة أو اتساع مدلول بعض المصطلحات القديمة مع إيجاد تفسير لذلك .

ومما يزيد ويضاعف من قيمة وأهمية المصطلحات التي وردت في كتابات الرحالة هو أنه في أحيان كثيرة ، كان الرحالة لا يكتفى بالإشارة إلى المصطلح المتداول والشائع في بلدة فحسب ، وإنما كان يشير أيضاً إلى ما يقابله في البلاد الأخرى أثناء زيارته لها سواء كان متفقاً معه أو مختلفاً عنه أو مرادفاً له وهو أمر له دلالة عند دراسة هذه المصطلحات وتطورها من جهة كما أنه من جهة ثانية يسهل توحيد هذه المصطلحات بين الأقطار العربية والإسلامية .

والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة ، نكتفي أن نذكر منها ، على سبيل المثال ، ما أورده كل من : المقدسي عند حديثه عن أبيه غزنين^(١) بقوله « وبنيانهم عامته خشب يقع فيه شيء يقال له غشك يشبه سيفسء مصر »^(٢) وتتجلى أهمية هذا النص في أنه يضيف لنا مصطلحاً جديداً غير معروف بين جمهرة الآثاريين وهو « غشك » الذي كان شائعاً ومتداولاً في المشرق الإسلامي ، حيث توجد دولة أفغانستان الآن ، كمرادف لمصطلح الفيسفساء الذي كان شائعاً ومتداولاً في مصر والحجاز والشام وغيرهما من أقطار المشرق .

ويمكن أن نضيف مرادفاً آخر لهذين المصطلحين كان شائعاً في الغرب الإسلامي وهو « الفص المذهب »^(٣) ، أو « المفصص المعروف في المشرق

(١) غزنين : وصفها المقدسي بأنها « قصبة ليست بالكبيرة إلا أنها رحبة منعمة رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم طيبة القواكه مع كثرة ، ولها مدن جليله والمعاش بها حسنة وهي أحد فرض خراسان وخزائن السند ... » .

المقدسي : أحسن التقاسيم - بيروت ١٩٨٧م - ص ٢٣٩ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٣) ابن جبير . الرحلة - ص ١٤٣ ، ١٨٤ .

ابن بطوطة : الرحلة - ص ٦٣

بالفسيفساء»^(١) ومنها ما أورده ابن بطوطة عند حديثه عن مدينة مشهد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالنجف بقوله « .. وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن »^(٢).

ويستدل من هذا النص على أن مصطلح القاشاني يرادفه مصطلح الزليج في المغرب ومن المعروف أن المصطلح الأول كان شائعاً ومتداولاً في مصر والمشرق الإسلامي ، وقد عرف أحياناً باسم القيشاني أو الكاشي (القاشي) كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه^(٣).

وهو يعرف لدى الأتراك باسم جيني (Gini) إى الصينى^(٤) . أما الزليج المغربى فقد عرف في مصر وخاصة في العصر العثماني باسم « الزليزلى »^(٥) ومنها ما أورده عبد الطيف البغدادي عند حديثه عن مصر بقوله « وأما المسناه فيسمونها الزربية ولهم في بنائها اتقان حسن .. »^(٦).

ويستدل من هذا النص على أن المسناه التي كان شائعة ومتداولة في العراق يرادفها مصطلح « الزربية » الذي كان شائعاً ومتداولاً في مصر كما يتضح من خلال ما ورد في المصادر التاريخية والوثائق المختلفة^(٧).

ومنها ما أورده ابن جبير عند حديثه عن دمشق بقوله « وأما الرباطات التي

(١) المقرئ (أحمد بن محمد المقرئ التلمساني) .

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب - ج ٢ - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ١ القاهرة ١٩٤٩ - ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة - ص ١١٩

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان - ج ٤ - ص ٢٩٦ .

(٤) Yetkin (S.K.) Isalam Mimarisi , Ankara, 1959 , p. 459.

(٥) ربيع خليفة . فنون القاهرة في العهد العثماني - القاهرة ١٩٨٤م - ص ٥٦ .

(٦) عبد اللطيف اليفدادي . الافاده والاعتبار - ص ١١٨

(٧) محمد أمين ، ليلى إبراهيم . المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية - ص ٦٠

يسمونها الخوانق فكثيرة وهي برسم الصوفية ، وهي قصور مزخرفة يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر »^(١).

ويستدل من هذا النص على أن مصطلح الخانقاة بدمشق يرادف ويقابل مصطلح الرباط في المغرب ، وهذا المصطلح الأخير ظل شائعاً ومتداولاً هناك أى في المغرب - حتى أواخر القرن ٦ هـ / ١٢ م ، ثم سرعان ما حل محله مصطلح آخر جديد هو « الزاوية » ويؤكد ذلك ما ورد في المصادر التاريخية من جهة ، وما أورده ابن بطوطة من جهة ثانية وذلك عند حديثه عن مصر بقوله « وأما الزوايا بمصر فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحداً خانقه ، والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا ، وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرها الأعاجم وهم أهل ادب ومعرفة بطريقة التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس ، وترتيب أمورهم عجيب .. »^(٢).

ويستدل من هذا النص على أن مصطلح الخانقاة بمصر يرادفه ويقابله مصطلح الزاوية في المغرب ، وأن هذا المصطلح الأخير - أى الزاوية - قد حل محل مصطلح الرباط الذي كان شائعاً ومتداولاً قبل القرن ٦ هـ / ١٢ م كما سبق القول . وبخصوص مواد البناء والمقابلة بين تسمياته المختلفة ، نذكر ما أورده ياقوت الحموي عن الآجر بقوله « وهو بلغه أهل مصر الطوب وبلغه أهل الشام القرميد »^(٣).

ويمكن أن نضيف مصطلحاً ثالثاً يعرف به الآجر في العراق هو الطابوق^(٤).

(١) ابن جبير : الرحلة - ص ١٩٩ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة - ص ٣٣ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان - ج ١ - ص ٥١ .

(٤) عباس التميمي . الطابوق - صناعته وأشكاله في العراق ، مجلة سومر - ج ١ - ٢ ،

بغداد ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٦ - ٢٨٣ .

وقد تنبه المقدسى إلى أن مسميات المنشآت التجارية هى من الأشياء التى يختلف فيها أهل الأقاليم فذكر منها فى مقدمة كتابه فندق ، خان ، تيم ، دار التجار^(١) علاوة على ما أورده فى ثانيا كتابه من مصطلحات أخرى .

ويلقى ابن بطوطة الضوء على بعض هذه المصطلحات بقوله ... وبكل منزل - أى مرحلة - منها فندق وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوابهم ، ويخرج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه لنفسه ودابته^(٢) .

ويستدل من هذا النص على أن مصطلح الفندق الذى كان ولا يزال شائعا ومتداولاً فى المغرب يرادفه ويقابله فى مصر مصطلح الخان الذى كان متداولاً بمصر وقت زيارة ابن بطوطة لها فى عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م ، وهو ما يتفق مع ما ورد فى النصوص التأسيسية للمنشآت التجارية التى ترجع إلى هذه الفترة ، ومن ابرزها منشأة قوصون بشارع الجمالية قرب باب النصر والتى لم يتبق منها سوى مدخلها الرئيسى المسجل عليه اسم هذه المنشأة بصيغة « امر بانشاء هذا الخان المبارك .. » ويؤرخ هذا الخان بحوالى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥ م . أى بعد زيارة ابن بطوطة بما يقرب من عشر سنوات ، وبعد ذلك اشتهر هذا الخان باسم وكالة قوصون ويؤيد ذلك ما أورده المؤرخ المقرئى فى خطه بقوله « .. هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ... »^(٣) .

هذا ولم تقتصر هذه المقابلة بين المصطلحات الفنية الشائعة والمتداولة فى الأقطار الإسلامية على الرحالة فحسب ، وإنما شاركهم فيها بعض المؤرخين

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ٣٩ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة - ص ٤٣

(٣) المقرئى : (تقى الدين أحمد بن على) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية - ج ٢ - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٧ م - ص ٩٣

أيضاً، ومن بينهم المحبى الذى أمدنا بنص على قدر كبير من الأهمية يتعلق أيضاً بالمنشآت التجارية وهو « .. والوكالة اسم للخان كما هو المعروف فى عرف المصريين والدمشقيون يسمونه قيساريه »^(١). كذلك السمهودى عند حديثه عن المسجد النبوى الشريف فقد أشار إلى أن المقصود بمصطلح البلاطات فى رحلة ابن جبير وفى العقد الفريد لابن عبدربه هو الاروقة^(٢).

يتضح مما تقدم عرضه أن الرحالة كانوا على علم تام وإدراك كامل بمسميات المصطلحات الفنية ومرادفاتها المختلفة التى كانت شائعة ومتداولة بين أقطار المشرق والمغرب على السواء وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه ، وفى ضوء مقارنة هذه المصطلحات بمثيلتها التى وردت فى المصادر الأخرى الاثرية والوثائقية والتاريخية المعاصرة فضلاً عن المعاجم اللغوية ، دراسة هذه المصطلحات وما جرى عليها من تطور فى أى قطر من الأقطار الإسلامية خلال أى عصر من العصور التاريخية المتعاقبة كما أنه يسهل توحيدها بين هذه الأقطار .

ولا يتسع المجال لدراسة وتحليل كل المصطلحات الفنية السابق الإشارة إليها والتى وردت فى كتابات الرحالة ومقارنتها بما ورد فى المصادر الأخرى المعاصرة ، ولذلك سوف نركز فى هذا البحث على دراسة بعض المصطلحات التى لا تزال موضع خلاف بين الاثريين وإبراز أهمية كتابات الرحالة فى حسم هذا الخلاف من جهة ووضع المصطلح العربى الإسلامى الموحد من جهة ثانية ، أما بقية المصطلحات الأخرى فسوف نتعرض لدراستها تفصيلاً وتحليلاً فى كتابنا الجامع للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية الذى سيصدر قريباً بمشيئة الله تعالى ويتوفيقه^(٣).

(١) (المحبى (محمد) . خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر - ج ٤ - بيروت - د ت - ص ٣٥٧

(٢) السمهودى (نور الدين على بن احمد) ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م
وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى - ج ٢ - تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م - ص ٥١٢ ، ٦٧١ - ٦٧٢
(٣) محمد حمزه الحداد المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية (تحت النشر)

ويحسن بنا قبل أن نتحدث عن المصطلحات المختلف فيها أن نشير إلى قضية هامة ألا وهي قضية اختلاف التعبير عن المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية بين الدارسين والباحثين واقتراح الحلول اللازمة لحسم هذه القضية .

وبإدنى ذى بدء يمكن القول أنه كان من أثر انتشار العمارة الإسلامية بطرازها العام وما تفرع عنه من طرز محلية كثيرة ، فى أقطار عديدة ذات بيئات حضارية متباينة ، أن تعددت المصطلحات الفنية وتنوعت ، فإلى جانب الألفاظ والمصطلحات العربية ظهرت أيضاً الألفاظ والمصطلحات المعربة والدخيلة ، وهو الأمر الذى نتج عنه نوع من الاختلاف والتباين فى التعبير عن مسميات الوحدات المعمارية الرئيسية كما هو الحال فى أنماط العمائر الدينية والجنائزية والمدنية والحربية من جهة أو التعبير عن مسميات العناصر المعمارية والزخرفية من جهة ثانية سواء فيما يخص مصر وأقطار المشرق أو المغرب الإسلامى بل أن كل قطر كاد يختص ببعض المصطلحات التى تميزه عن غيره من الأقطار الأخرى ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب فإن بعض المدن الرئيسية فى كل قطر انفردت ببعض المصطلحات الخاصة بها .

وهذا هو ما نلاحظه من خلال استقراء المصادر المختلفة المشار إليها سابقاً ولم ينته الأمر عند ذلك الحد بل إن هذا الخلاف وذلك التباين قد امتد إلى عصرنا الحاضر ولم يزل قائماً بين الدارسين والباحثين وهو الأمر الذى يحول دون الانتفاع بما ينشر عن العمارة الإسلامية فى تلك الأقطار .

والأكثر من ذلك فإننا كثيراً ما نجد اختلافاً فى التعبير بين الدارسين والباحثين فى القطر الواحد بحسب ثقافة وميول كل منهم والأمثلة على ذلك كثيرة ولا تحصى فى بحث كهذا . ومما زاد من صعوبة هذا الأمر ما عمد إليه بعض الرواد من المستشرقين والعلماء الأجانب من اقتباس بعض الألفاظ من المصادر المتباينة بغير فهم دقيق لها أحياناً أو بغير ضبط نطقها وهجائها له أحياناً أخرى ، ثم كتبوها بنطقها العربى بالحروف اللاتينية لتؤدى معنى ألفاظ معروفة أجنبية^(١) ،

(١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلاميه - المجلد الاول - عصر الولاة - ط ١ -

وفي أحيان أخرى كانوا يكتفون بوضع مصطلحات اجنبية اما أن تكون قاصرة ولا تؤدي في معناها وظيفه العنصر المراد التعبير عنه أو تعبر عن صورة واحدة فقط من بين الصور العديدة التي يعبر عنها المصطلح العربى ، واما انها تكون لا علاقة لها بالمصطلح العربى المقابل لها .

وتفاهم الأمر مرة أخرى عندما أعيد استعمال هذه المصطلحات الأجنبية في اقتباسات عربية بغير تحقيق أو تدقيق ، هذا بالإضافة إلى محاولات ترجمة المصطلحات الاجنبية التي ليس لها مقابل معروف باللغة العربيه ، وقد نتج بعض الاختلاف والتناقض في اختيارها ، ويكفى لكى ندلل على ذلك أن نقرأ كل أو بعض ما صدر من دراسات عن العمارة الإسلامية خلال العقود الخمسة الأخيرة سواء كانت مؤلفة باللغة العربية ^(١) أو معربة عن احدى اللغات الاجنبية أو الشرقية ^(٢) ، لكى نبين مدى اختلاف التعبير بين الدارسين والباحثين العرب

(١) لا يتسع المجال لذكر النصوص المختلفة المتباينة والمتناقضة في العديد من الدراسات العربية المنشورة سواء كانت متعلقة بقطر أو متعلقة بالعمارة الإسلامية عامة ، وهو ما سنشير إلى جانب منه في متن هذا البحث ، ولذلك نكتفى بالاحالة إلى بعض هذه الدراسات ومن بينها على سبيل المثال ، المؤلفات التالية :

طاهر مظفر العميد . العمارة العباسية في سامرا - السلسلة الفنية (رقم ٣٢) - العراق ١٩٧٦ م.

حسين مؤنس : المساجد - عالم المعرفة - العدد ٣٧ - الكويت ١٩٨١ م.

عفيف بهنسى : الفن الإسلامى - دمشق ١٩٨٥ م.

(٢) تذكر من بين هذه الدراسات المترجمة كل من :

كونل (ارست) : الفن الإسلامى - ترجمة أحمد موسى - بيروت ١٩٦٦ م.

رايس (تامارا) : السلاجقة ترجمة لطفى الخورى ، إبراهيم الداوقى - بغداد ١٩٦٨ م.

مارسيه (جورج) : الفن الإسلامى - ترجمة عفيف بهنسى - دمشق ١٩٦٨ م.

بلياس (ليوبولدتوريس) : الفن المرباطى والموحدى - ترجمة سيد غازى - الاسكندرية ١٩٧٦ م.

مورينو (مانويل جوميث) : الفن الإسلامى فى اسبانيا - ترجمة لطفى عبد البديع ، السيد عبد العزيز سالم - القاهرة ١٩٧٧ م

رايس (دافيد تالبوت) : الفن الإسلامى ترجمة منير صلاحي الأصبحتى - دمشق ١٩٧٧ م

حتى أنه فى أحيان كثيرة يصعب فهم بعض العبارات والمصطلحات على المتخصصين أنفسهم خاصة فى حالة خلو الكتاب أو البحث من الرسوم والصور التوضيحية .

ولا شك أن خير وسيلة للقضاء على هذا الاختلاف وذلك التباين هى عمل « المعجم الأثارى الموحد للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية » ويشترك فى أعداده فريق عمل من المتخصصين فى شتى الأقطار الإسلامية ، على أن يراعى تزويده بالعديد من الرسوم الهندسية والزخرفية لكل الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية بحيث يكتب أمام كل رسم المصطلح الشائع فى مختلف الأقطار ، فإذا ما اتفق الاسم فى أكثر من قطر ذكر الاختلاف فى الأقطار الأخرى حتى اذا ما تبين أن الاختلاف ناشئ عن تحريف أو متقارب توحد .

ورغم أن فكرة هذا المعجم الأثارى قد نبئت منذ ما يقرب من نصف قرن ،

-
- = باكار (أندريه) : المغرب والحرف التقليدية الإسلامية فى العمارة - جزءان - ترجمة سامى جرجس - ١٩٨١م .
- فستر (برهارة) : حول بعض المباني الإسلامية فى اليمن - ضمن كتاب تقارير ألته من اليمن - ترجمة عبد الفتاح البركانوى - المعهد الألمانى للآثار بصنعاء الجزء الأول - ١٩٨٢م .
- كريزول (كييل ارشيلد) : الآثار الإسلامية الأولى - نقله إلى العربية عبد الهادى عبله ، واستخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان مبانو دمشق ١٩٨٤م .
- لومبير (ايلى) : تطور العمارة الإسلامية فى اسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا - ترجمة عزبه جليان عطا الله - بيروت ١٩٨٥م .
- شاك (فون) : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية - ترجمة الطاهر مكى - القاهرة ١٩٨٥م .
- أصلان أبا (أو قطاى) : فنون الترك وعمائرهم - ترجمة أحمد عيسى - استانبول ١٩٨٧م .

وذلك اثناء انعقاد المؤتمر الأول للآثار في البلاد العربية بدمشق ١٩٤٧م^(١)، الا أنه لم ير النور بعد ، ولذلك نطالب باحياء فكرة هذا المعجم من جديد مع تسخير كل الامكانيات اللازمة لتنفيذه من قبل احدي الهيئات العربية أو الإسلامية^(٢)

وحتي يتم اخراج هذا المعجم إلي حيز الوجود بمشيئة الله تعالى ،
نقترح أن يسبق ذلك بعض الخطوات التمهيديّة الايجابية التي يجب أن يلتزم بها كل الدارسين والباحثين ويعملون علي تحقيقها ، ويمكن أن نحصرها فيما يلي :

أ - يجب استخدام المصطلحات الشائعة والمتداولة في القطر الذي يكتب عنه أو علي الأقل يكتفي بوضع المصطلحات المقابلة والمرادفة لها في الأقطار الأخرى وذلك علي غرار ما كان يفعله الرحالة أثناء زيارتهم

(١) حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية - ص ٢٧ - ٢٨ .

وانظر ايضاً كل من المؤتمر الأول للآثار في البلاد العربية دمشق - ١٩٤٧م .
والمؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية - بغداد ٢٨-١٨ نوفمبر ١٩٥٧م - القاهرة ١٩٥٨م -
ص ٣٤ (بخصوص أسماء أعضاء لجنة المصطلحات) ، ص ٤٤ (بخصوص مذكرة بشأن وضع قاموس للمصطلحات العلمية الأثرية للأستاذ حسن عبد الوهاب) ، ص ٨٠
(بخصوص توصية المؤتمر رقم ١٠ والخاصة بعمل معجم الآثار) .

(٢) تجدر الإشارة إلي أنه كان من بين توصيات الندوة العالمية التي عقدت في استانبول (ابريل - نيسان ١٩٨٣م) وموضوعها « الفنون الإسلامية المبادئ والاشكال والمضامين المشتركة » اصدار قاموس المصطلحات الفنية مع الافادة من الجهود التي بذلت في هذا الموضوع خاصة الجهود العربية ، وقد نشرت أعمال هذه الندوة دار الفكر بدمشق ١٩٨٩م .

وننوه في هذا الصدد بالجهود الكبير الذي بذله العالم الجليل الاستاذ أحمد محمد عيسى (تقمده الله برحمته حيث وافته المنية أثناء مراجعة البروفه النهائية لهذا الكتاب في شهر يونيه ١٩٩٦م)

صاحب الباع الطويل في ترجمة العديد من المؤلفات الأجنبية المتعلقة بالعمارة والفنون الإسلامية ، وقد توج اعماله القيمه بإصدار كتاب عن « مصطلحات الفن الإسلامي - معجم مشروح مصور - إستانبول ١٩٩٤م »

وإنظر له أيضاً مصطلحات الفنون والصناعات قضييه واجبة الاهتمام - مجلة اللسان العربي - العدد ٣٨ - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م

للأقطار المختلفة علي نحو ما بيننا من قبل .

أما ما نشاهده حتي الآن في الدراسات المنشورة فعلي النقيض من ذلك تماماً حيث يحرص كل باحث علي نشر المصطلحات الشائعة والمتداولة في بلدة في غيرها من الأقطار التي يكتب عنها ، دون أن يذكر المصطلحات المقابلة أو المرادفة لها إلا نادراً ، وهو الأمر الذي يحول دون انتفاع المتخصصين من أهل هذه الأقطار أو غيرهم من أهل الأقطار الأخرى بمثل هذه الدراسات (١) .

ومما يزيد من صعوبة هذا الأمر أنه في كثير من الأحيان يحلو لبعض الباحثين أن يجمعوا بين مصطلحين كل منهما مرادف للآخر في آن واحد وهو ما سنعرض له فيما بعد .

ب- يجب العمل علي حصر كل المدلولات المختلفة للمصطلح الواحد في كل الاقطار الإسلامية ، علي أن يتم الاتفاق فيما بعد بين الدارسين والباحثين علي الاقتصار علي مدلول واحد لهذا المصطلح حتي لا يتكرر التباين والاختلاف ، وأنسعي نحو نشر هذا المدلول الجديد اما عن طريق تبادل المراسلات بين الأقسام المتخصصة في الجامعات المصرية والعربية والإسلامية أو بعقد الندوات العلمية بواقع ندوة تعقد مرة واحدة كل عام أو عامين ، أو علي الأقل يكتفي بنشر

(١) ومن بين الأمثلة الدالة علي ذلك ما انتهت إليه دراسته حديثه عن المصطلحات الثلاثة المختلف عليها وهي الرواق والبلاطة والاسكوب من أنه يجب الاقتصار علي مسمي واحد وهو مصطلح الرواق بمفهومه الصحيح أي المر أو المسافة الممتدة بين صفيين من البائكات أو بين بائكة وجدار وأنه لا عبارة لما جاء علي لسان ابن جبير وابن بطوطة من استخدام كلمة بلاطة للتعبير عن الرواق في وصفهم للجامع الأموي بدمشق فذلك ما كان سائداً في لغة أهل الغرب الإسلامي ولكن الحضارة الإسلامية نشأت في الشرق والعودة للأصل أفضل وهل يتبع الفرع ويترك الأصل .

علي المليجي : المرجع السابق - ص ٢٥ ومن الواضح أن ما يدعو إليه الباحث لم وإن يحل المشكلة بل سيزيدها تعقيداً لأن الاقتصار علي مصطلح الرواق إذا فهمه علماء مصر والشرق فلن يفهمه علماء ودارسي المغرب والاندلس الذين شاع لديهم مصطلح البلاطة وهو الأمر الذي دفع البعض إلي أن يجمع بين كل من المصطلحين في ذات الوقت فقالوا

ذلك (١).

ج - يجب العمل على ضرورة التخلص نهائيا من المصطلحات الأجنبية التي تفيض بذكرها الدراسات المنشورة ، وإحلال المصطلحات العربية الإسلامية محلها ونذكر من بين هذه المصطلحات الأجنبية ، على سبيل المثال ، كل من :

كورنيش Cornice ، طمبور Tambour

زجاج Zigzag ، فرنون Franton

بيت الصلاة Salle de Priere ، المجاز القاطع Transept

وغير ذلك وهو ما سنعرض له تفصيلا في كتابنا المشار إليه (٢) ، مع وضع وإحلال المصطلحات العربية الإسلامية المستمدة من المصادر المختلفة المشار إليها سابقا .

- دراسة لبعض المصطلحات التي لا تزال موضع خلاف بين الأثريين :

يقتصر هذا البحث ، كما سبق القول ، على دراسة بعض المصطلحات التي لا تزال موضع خلاف بين الدارسين والباحثين ، ولما كانت المصطلحات المتعلقة بتخطيط المساجد والجوامع الإسلامية من بين تلك المصطلحات المختلف حولها ، ولذلك أثرنّا أن نخصص لها هذه الدراسة ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أهمية هذا التخطيط من جهة وشيوعه وانتشاره في غالبية الأقطار الإسلامية من جهة ثانية ، ومن ثم فإن توحيد المصطلحات المتعلقة بعناصر هذا التخطيط ، بعد فرضا واجبا على الدارسين والباحثين حتى يزول ما نشاهده في العديد من الدراسات المنشورة من التباين والاختلاف حيننا والخلط والتضارب حيننا آخر .

ويكفي ، بادئ ذي بدء ، لكي ندلل على بيان حجم اختلاف التعبير حول تسمية عناصر التخطيط العام للمساجد والجوامع أن نذكر قائمة المصطلحات التي

= بأن الأروقة تقسم إلى بلاطات وهذا غير جائز هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه لو أطلق كل باحث العنان لنفسه في أن يستخدم من المصطلحات ما يحلوه سواء كانت شائعة في بلده أو في أي قطر آخر فإن ذلك سوف يعقد المشكله كما هو الحال في بعض المصطلحات التي سناقشها في هذا البحث كالكور والمعزبه والجناح ، وعلى ضوء ذلك يجب أن يحرص كل باحث على أن يستخدم المصطلح الشائع والسائد في بلده على أن يوضع المصطلح المرادف والمقابل له في الأقطار الأخرى وذلك ليحس الانتفاع بما يكتبه .

(١) محمد حمزه الحداد : المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية (تحت النشر)

(٢) محمد حمزه الحداد : المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية (تحت النشر)

اطلقت على كل عنصر من هذه العناصر ، مع محاولة وضع المصطلح العربي الموحد المستمد من المصادر المختلفة .

١- الفناء الأوسط : (أشكال ٣ - ٥ ، ٨ - ٢٣) .

هو المساحة المكشوفة التي تتوسط المساجد والجوامع التي صممت وفق التخطيط التقليدي المتأثر بتخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أطلقت على هذه المساحة المكشوفة عدة مصطلحات من أشهرها الصحن وهو مصطلح متعارف عليه في غالبية الأقطار الإسلامية قديما وحديثا .

ولهذا المصطلح مترادفات أخرى كثيرة ، منها الفناء ، الساحة ، الرحبة^(١) ، الباحة^(٢) ، الصرحه (أو الصوح أو الشماسي)^(٣) الحائر^(٤) ، الدرقاعه^(٥)

(١) ابن بطوطه : الرحلة - ص ٤٧ - ٤٨ ، ٢٧٧ .

ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) .

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - ج ١ - ق ١ تحقيق يحيى زكريا عبادة - دمشق ١٩٩١م - ص ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ .

ابن الفقيه (أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني) : مختصر كتاب البلدان ط ١ - بيروت ١٩٨٨م - ص ٩٧ .

العمري (ابن فضل الله) .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - ممالك مصر والشام والحجاز واليمن - تحقيق أيمن فؤاد سبد القاهرة ١٩٨٥م - ص ٨٠ .

المقدسي : أحسن التقاسيم - ص ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٦٩ ، ٢٢٣ ، ٣٢٩ .

النايلسي : التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية - ص ٧ ، ٤٢ .

(٢) يقابلنا هذا المصطلح في دراسات العلماء والباحثين السوريين ، ومن بينها كل من :

نادر العطار : فن العمارة الإسلامية - مجلة الحوليات الأثرية السورية - المجلد ٣ - الجزء ١ - ٢ ، دمشق ١٩٥٣م - ص ٧٠ .

عبد القادر الريحاوي : العمارة العربية الإسلامية - خصائصها وآثارها في سورية - دمشق ١٩٧٩م - ص ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٤٠ .

(٣) يقابلنا هذا المصطلح (بمرادفاته) في اليمن . انظر :

الحجري (الحاج محمد بن أحمد) : مساجد صنعاء عامرها وموفيقها - ط ٢ - بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م - ص ٢٤ ، ٢٩ - ٣٠ .

الأكوع (القاضي إسماعيل بن علي)

المدارس الإسلامية في اليمن - ط ٢ - بيروت - صنعاء ١٩٨٦م ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٩٨ ،

جامع صنعاء ضمن كتاب مصاحف صنعاء - ص ١٥

السياغي (القاضي حسين أحمد)

معالم الآثار اليمنية - ط ١ - صنعاء ١٩٨٠ - ص ١٧ .

(٤) يقابلنا هذا المصطلح في الدراسات المتعلقة بالمشاهد والمراقد المقدسة في العراق وإيران ومنها =

كذلك أطلق على الجزء المكشوف الذى يتقدم الجزء المغطى فى التخطيط التقليدى للعمارة العثمانية مصطلح الحرم (Avlu, Harim)^(١) (اشكال ١٠١ - ١٠٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨) .

بـ . المقدمة :

وهو أكبر أجزاء الجامع وأكثرها أهمية حيث يشمل المحراب (القبلة) والمنبر ودكة المبلغ أو المؤذن (السدة ، المكبرية ، مكبرات المبلغين ، المحفل) ، وقد أطلقت على هذا الجزء عدة مصطلحات قديما وحديثا منها المغطى^(٢) المسقف أو المسقف القبلى^(٣) ، والحرم^(٤) ، القبليه^(٥) ، ظلة القبلة^(٦) ايوان

= شاكر هادى غضب : الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة فى المساجد الإسلامية والمرآة المقدسة - بغداد ١٩٧٧ م - ص ٧ .

= (٥) كان يعتقد حتى وقت قريب أن هذا المصطلح يقتصر مدلوله على الفناء الأوسط المغطى الذى يتوسط المدارس المملوكية ، ولكن ثبت بعد دراسة الوثائق والمصادر التاريخية أن مدلول هذا المصطلح أوسع من ذلك ، فهو يطلق أيضاً على الصحن الصغيرة أو الكبيرة مكشوفة كانت أم مغطاه مثل صحن مدرسة قلاوون وصحن مدرسة السلطان حسن وصحن مدرسة الظاهر برفوق ، وصحن جامع المؤيد شيخ وغير ذلك كثير ، انظر : محمد حمزة الحداد : عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثماني - المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٣٧ - القاهرة ١٩٩٠ م - ص ١١٠ ، وانظر أيضاً ص ٢٧٢ حاشية ١ من هذا الكتاب

Goodwin (G)., : AHistory of Ottoman Architecture Now York, (١) 1987 p. 458 .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ١٣٩ ، ١٤٥ - ١٤٦ - ٣٦٠ .

(٣) الادريسي : نزهة المشتاق مج ١ - ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، مج ٢ - ص ٥٧٥ ، ٥٧٦ . ابن جبير : الرحلة - ص ١٨٥ .

الحميري : الروض المعطار - ج ٢ - ص ٤٥٧ .

السمهودى : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٧ ، ٦٧١ - ٦٧٥ .

(٤) يقابلنا هذا المصطلح فى العديد من دراسات العلماء والباحثين السوريين ومنها :

الريحاوى : المرجع السابق - ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٧ - ٤٩ ، ٥١ ، ٥١٤ .

كامل شحاده . م مآثر نور الدين محمود زنكى العمرانية فى حماه الحوليات الأثرية السورية - مجلد ٢٠ - الجزء ١ - ٢ دمشق ١٩٧٠ م - ص ٩٧

راصى عقدة . زوايا حماه - الحوليات الأثرية السورية - المجلد ٣١ - دمشق ١٩٨١ م - ص ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

(٥) استخدم هذا المصطلح أيضاً بعض العلماء والباحثين السوريين ومنهم =

القبلة أو الايوان الشرقي^(١) رواق القبلة^(٢) بيت الصلاة^(٣)، وهذا المصطلح

= محمد أسعد طلس : ذيل ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادى - بيروت ١٩٤٣م - ص ٢٧٧ .

نادر العطار ، فن العمارة الإسلامية - ص ٧٠ .

محمد كامل فارس : الجامع الاموى الكبير بحلب - تاريخه ومعالمه الاثرية - ط ١ - حلب ١٩٩٥م - ص ٢٤ ، ٤٤ - ٤٥ :

(٦) هذا المصطلح يقابلنا فى العديد من دراسات العلماء والباحثين المصريين ومنها :
العمارة العربية فى مصر الإسلامية - المجلد الأول - عصر الولاة القاهرة ١٩٧٠م - ص ٢٣٧ - ٢٤١ .

فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية - ماضيها - حاضرها - مستقبلها الرياض ١٩٨٢م - ص ٣ ، ١١ ، ٨٢ .

محمد محمد الكحلوى : عمائر الموحدين الدينية بالمغرب - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٦م . ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

أحمد رجب محمد على : رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوى وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية - رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٣م - ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ .

حسنى نوبصر : الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٩٦م . ص ١١٦ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٨٧ ، ١٧٤ .

= (١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية - ط ١ - القاهرة ١٩٤٦م - ص ٣٥ ، ٤٩ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ٢١٢ .

صلاح الدين البحيرى : عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون - حوليات آداب الكويت - الحولية ٣ - الرسالة ١٢ فى التاريخ - الكويت ١٩٨٢م - ص ٦٠ ، ٦٢ .
وعن تحديد مدلول هذا المصطلح انظر :

على المليجى : المرجع السابق - ص ١٨ - ١٩ وسوف تكون لنا وقفة طويلة مع هذا التحديد فى كتابنا الجامع للمصطلحات الفنية الذى سيصدر قريباً بمشيئة الله تعالى .

(٢) هذا المصطلح يقابلنا فى العديد من دراسات العلماء والباحثين المصريين أيضاً ومنهم :
محمود أحمد : بيان تاريخى عن الجامع الطولونى وشرح مميزاتة الفنية - القاهرة ١٩٣٥م - ص ٩ .

مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية القاهرة ١٩٨٧م - ص ٤٧ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٣٢ .

حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية - ط ٢ - القاهرة ١٩٩٠م - ص ١١٢ - ١٢١ .

مصطفى شيحة : الآثار الإسلامية فى مصر - ط ١ - القاهرة ١٩٩٢م - ص ٨٢ ، ١١٠ - ١١١ ، ١٣٢ ، ١٣٩ .

أحمد عبد الرازق أحمد : تاريخ وآثار مصر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٣م - ص ١١٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ =

الأخير إنما هو ترجمة حرفية لنفس المصطلح الفرنسى الذى يستعمل فى الدلالة على مكان الصلاة فى الكنائس وهو Salle de Priere ، ويرى البعض أنه يمكن استعمال الاشتقاق العربى الصحيح وهو المصلى بدلا من بيت الصلاة^(١).

ولما كان مصطلح المصلى قد يثير اطلاقه على هذا الجزء من الجامع نوعا من الخلط بينه وبين نمط آخر من أنماط العمائر الدينية الإسلامية وهو المعروف بالمصليات ومنها مصلى الجنائز ، ومصلى العيد (الشريعة فى المغرب والأندلس) نما زكاة فى أسيا الوسطى والصغرى) ، ولذلك نرى استبعاد اطلاق هذا المصطلح (المصلى) والمصطلح الذى يسبقه (بيت الصلاة) ، والاقتصار على مصطلح عربى إسلامى موحد وهو (المقدم) ذلك المصطلح الذى ظهر منذ فترة مبكرة للدلالة على هذا الجزء من المسجد كما يتضح من خلال ما أورده (الطبرى) عند حديثه عن بناء مسجد الكوفة فذكر أنه كان فى بادىء امره عبارة عن «... ظله فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير (أى مؤخره) ...» ويضيف (الطبرى) فيذكر بأنه قد ظل على هذا الحال حتى أعاد بنائه زياد بن أبيه ٥١

-
- = (٣) أحمد فكرى : مسجد القيروان - القاهرة ١٩٣٦م - ص ١٩ .
مساجد القاهرة ومدارسها - المدخل - القاهرة ١٩٦١م - ص ٩٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ .
مساجد القاهرة ومدارسها - الجزء الأول - العصر الفاطمى القاهرة ١٩٦٥م - ص ٤٨ ، ٦٥ ، ١٢٥ .
= السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى - الاسكندرية ١٩٦٦م - ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ .
تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى - الاسكندرية ١٩٨٢م - ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٦٦٤ ، ٦٦٨ - ٦٦٩ ، ٧٥٦ ، ٧٦٦ .
قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس - ج ١ - الاسكندرية - ١٩٨٤م - ص ٣١٦ .
تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس - ط ٢ - الاسكندرية د.ت - ص ٣٨٤ .
حسين مؤنس : المساجد - عالم المعرفة - العدد ٣٧ - الكويت ١٩٨١م - ص ٨٨ .
محمد توفيق بلبع : المسجد فى الإسلام - المختار من عالم الفكر - ١ - دراسات إسلامية - الكويت ١٩٨٤م - ص ٣٣٤ .
ابراهيم المطاع : المدرسه المنصوريه بمدينة جبن باليمن - رسالة ماجستير - غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٩٤م - ص ٢٢٥ ، ٢٩٥ .
(١) عبد المجيد وافى : أصول روحية فى العمارة الإسلامية - منبر الإسلام العدد ٥ - السنة ٣٢ - جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م ص ١٤٠ .

هـ/٦٧١ م، وجعل له ٥ مجنبتات ومواخير^(١) (شكل ٣) .
وقد ظل إستعمال هذا المصطلح باقيا فيما بعد كما يتضح من خلال ما ورد
فى المصادر التاريخية المتعلقة بمصر واليمن فضلا عن بعض النصوص التأسيسية^(٢)
ولذلك نرى أنه أنسب المصطلحات للدلالة على أهم وأكبر أجزاء الجامع .
جـ المؤخر :

وهو الجزء المقابل لمقدم الجامع ويليه فى الأهمية ، وقد أطلق عليه عدة
مصطلحات منها الرواق المقابل لرواق القبلة ، الظلة المقابلة لظلة القبلة ، الرواق
(أو الايوان) البحرى ، والرواق أو الايوان الشمالى الغربى بالنسبة للعمارة
الاسلامية فى مصر .

ونحن نرى أن مصطلح المؤخر هو أنسب المصطلحات للدلالة على هذا الجزء
من الجامع لاسيما وأنه قد ظهر (مثل لفظ المقدم) منذ فترة مبكرة كما ورد
فى كتاب الطبرى المشار إليه ، ثم استمر مستعملا خلال العصور التالية كما
يتضح من خلال المصادر التاريخية وبعض النصوص التأسيسية (٣) .

-
- (١) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى - جـ
٤ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٣ م - ص ٤٤ ، ٤٦ .
(٢) ابن دقماق : (إبراهيم بن محمد بن أيمن)
الانتصار بواسطة عقد الأمصار - القسم الأول - بيروت د.ت - ص ٥٩ - ٦٠ ، ٧٠ .
المقرئى : الخطط - جـ ٢ - ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ .
السمهودى : المصدر السابق - جـ ٢ - ص ٥١٩ - ٥٢٠ .
ابن الدينج : (ابو عبد الله عبد الرحمن)
بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زيد - تحقيق عبد الله الحبشى صنعاء - بيروت - د.ت -
ص ٧٠ - ٧٣ .
الحجرى : مساجد صنعاء - ص ٣٠ - ٣١ .
ربيع خليفة : النصوص التأسيسية وأهميتها فى دراسة العمائر اليمنية الاسلامية مجلة
التاريخ والمستقبل - يصدرها قسم التاريخ بأداب المنيا المجلد الثانى - العدد الأول ١٩٩٢ م
- ص ٢٥٠ ، ٢٥٨ .
الاكوع : جامع صنعاء - ص ١٥ .
على المليجى : المرجع السابق - ص ٧ ، ٢٦ .
(٣) انظر المصادر والمراجع الواردة فى الحاشية السابقة .

د. المجنبتان (١) :

ويقصد بهما ميمنه وميسرة الصحن ، وقد أطلقت عليهما بعض المصطلحات منها الظلتان الجانبيتان (٢) ، الرواقان الجانبيان ، الجناحان (٣) .

ونحن نرى أن هذان المصطلحان هما أنسب المصطلحات للدلالة على هذين الجزئين الجانبيين من الجامع ، لاسيما وأنهما قد ظهرا (مثل لفظ المقدم والمؤخر) منذ فترة مبكرة كما ورد في كتاب الطبرى المشار اليه ، كذلك ما تزال أقطار المغرب العربى تحتفظ بهذين المصطلحين وبنفس مدلولهما حتى الآن ، فضلا عن بعض النصوص التأسيسية كما هو الحال فى جامع الزيتونة الشهير (٤) .

مما تقدم يتضح أنه رغم تعدد المصطلحات بمرادفاتھا التي أطلقت على عناصر تخطيط الجامع ، إلا أنه تم استخلاص أربعة مصطلحات عربية صحيحة موحدة مستمدة من المصادر المختلفة تعد من أنسب المصطلحات للدلالة على هذه العناصر .

ولا يبق بعد ذلك سوى العمل على توحيد ونشر هذه المصطلحات بين الدارسين والباحثين حتى يتم القضاء نهائيا على هذا الاختلاف وذلك الخلط .

(١) يذكر ابن منظور « المجنبتان من الجيش : الميمنة والميسرة . والمجنبة بالفتح المقدمة ، والمجنبة اليمنى هي ميمنة العسكر والمجنبة اليسرى هي الميسرة وهما مجنبتان والنون مكسورة » . ابن منظور : لسان العرب - مادة - جنب ، وانظر أيضا : الفيروز ابادى : القاموس المحيط - ج ١ - ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) حسنى نوبصر : المرجع السابق - ص ١٨٧ .

(٣) إنظر ص ٧٥ - ٧٦ من هذا الفصل .

(٤) أحمد فكرى : مسجد الزيتونة الجامع فى تونس - المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٤ - العدد ٢ - القاهرة ١٩٥٢ م ص ٦٧ .

أما عن المصطلحات المتعلقة بالتخطيط الداخلى لأى من العناصر السابقة فمن أشهرها البلاطة ، الاسكوب ، الرواق ، ويضاف اليهما بعض المصطلحات الأخرى التى لم تلق من الذبوع والشهرة ما لقيته المصطلحات الثلاثة السابقة ومنها المعزبه (المعازب) ، الكور (الأكوار) ، الجناح (الأجنحة) .

وعلى ضوء ذلك يبرز أمامنا بعض التساؤلات الهامة والمفيدة فى آن واحد وهى هل كل هذه المصطلحات كانت شائعة ومنتشرة فى الأقطار الاسلامية قاطبة ، أم أن بعضها قد اقتصت به أقاليم المشرق ، وبعضها الآخر اقتصت به أقاليم المغرب ؟ ثم ماهى مدلولات هذه المصطلحات وفيما اذا كانت ذات مدلول واحد أم أن لكل مصطلح منها مدلول خاص به يختلف عن مدلول بقية المصطلحات ؟

والحق ان كتابات الرحالة من جهة والوثائق والمصادر التاريخية من جهة ثانية والنصوص الكتابية المسجلة على جدران العماثر الباقية من جهة ثالثة فضلا عن المعاجم اللغوية تسهل لنا مهمة الاجابة على مثل هذه التساؤلات وذلك على النحو التالى :

١- البلاطة :

البلاط فى اللغة « الأرض » وقيل الأرض المستوية الملساء والبلاط بالفتح الحجارة المفروشة فى الدار وغيرها ، ويقال دار مبلطة بأجر أو حجارة ويقال بلطت الدار فهى مبلوطة اذا فرشتها بأجر أو حجارة وكل أرض فرشت بالحجارة والآجر بلاط ، وبلطها يبلطها بلطا وبلطها سواها وبلاط الأرض وجهها ، والبلاط ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمي المكان بلاطا اتساعا وغير

ذلك^(١).

ب. الاسكوب :

الاسكوب فى اللغة « يقال للسكة من النخل أسلوب واسكوب فاذا كان ذلك من غير النخل قيل له أنبوب ومداد »^(٢).

أما عن البلاطة والاسكوب فى الاصطلاح المعمارى فالرأى الشائع والمتداول حتى الآن أن البلاطة هى « الممر الممتد رأسياً (أى عمودياً) فى بيت الصلاة من جدار القبلة الى الصحن » والاسكوب هو « الممر الموازى (الأفقى أو العرضى) فى بيت الصلاة لجدار القبلة والذي يمتد بين الأعمدة أو الدعامات من الجدار الشرقى الى الجدار الغربى من هذا البيت »^(٣).

وعلى ضوء هذا التفسير يرى (المرحوم أ. د فكري) صاحب هذا التفسير

(١) ابن منظور : لسان العرب - مادة بلط .

الكبرى : القول المقتضب - ص ٨٣ .

Dozy, Op. Cit, Vol.I pp. 111 - 112 .

(٢) ابن منظور : لسان العرب - مادة سكب .

Dozy , Op. Cit, Voll Ip. 666 .

(٣) أحمد فكري : المدخل - ص ٩٢ حاشية ٢ .

ويضيف (د. فكري) فيذكر « أن أهل المغرب يسمونه المكسيه »

انظر مسجد القيروان - ص ١٩ حاشية ٣ .

عوامل الوحدة فى الآثار الإسلامية بالبلاد العربية ضمن ابحاث المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية فاس ١٩٥٩م . القاهرة ١٩٦١م ص ٢٦٧ - ٢٧٣ وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية القاهرة ١٩٧٩م (ص ١ - ٧) - عن الاسكوب ص ٣ .

انظر ايضاً كل من :

حسين مؤنس : المساجد - ص ٨٩ .

محمد توفيق بليغ : المسجد فى الإسلام - ص ٣٣٤ .

عيسى سلمان (وآخرون) : العمارات العربية الإسلامية فى العراق - ج ١ - تخطيط

مدن ومساجد بغداد ١٩٨٢ - ص ٢٨ .

ومن نهج نهجة من تلاميذه أو المتأثرين به ، أن بيت الصلاة في الجامع (المقدم) يشتمل داخله على أساكيب وبلاطات ، وقد انتشر هذا التفسير وذاع في العديد من الدراسات المتعلقة بالعمارة الاسلامية عامة أو المتعلقة بأقطار المغرب الاسلامي من جهة أو المتعلقة بمصر وأقطار المشرق الاسلامي من جهة ثانية^(١) وحتى يمكن قبول هذا الرأي والأخذ به من عدمه ، يحسن بنا أولاً أن نعقد مقارنة ومقابله بين ماورد في هذه الدراسات الحديثة من جهة وما أورده كل من الرحالة والمؤرخين فضلاً عن الوثائق والنصوص الكتابية المسجلة على جدران العمائر الباقية من جهة ثانية .

ولنبداً بذكر جوامع الغرب الاسلامي أولاً على اعتبار أن مصطلح البلاطة كما سيظهر لنا كان هو المصطلح السائد والمتشتر هناك وما يزال كذلك حتى الآن . ونخص بالذكر كل من جامعي القيروان وقرطبة وهما من أعظم وأشهر الجوامع في العمارة الاسلامية عامة والعمارة في الغرب الاسلامي خاصة وعن جامع القيروان يذكر (د . فكري) أن بيت صلاته (المقتسم) كان في عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م يشمل سبعة أساكيب تنقسم الى ثمان عشرة بلاطة ومنذ عام ٢٢١ / ٨٣٦ م ، أي في عهد زيادة الله ، سبع عشرة بلاطة بدلا من ثمان عشرة ، وثمانية أساكيب بدلا من سبعة ، واتخذ الجامع صورته التخطيطية النهائية في عهد ابراهيم بن أحمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م إذ أضيفت الى الصحن مجنباته الاربعة وبكل منها رواقان ، وأقيمت قبة اليهو على نهاية بلاطة

(١) لا يتسع المجال لذكر كل المراجع والأبحاث المتعلقة بتلك المسألة ، ولذلك يكتفي بمراجعة ما ورد في مؤلفات كل من د. فكري ، د. سالم ، د. سعد زغلول عبد الحميد ، د. حسين مؤنس (كتاب المساجد) ، د. عيسى سلمان (العمارات العربية في العراق) ، د. أيمن فؤاد سيد (الدولة الفاطمية)
د. محمد الكحلأوي (عمائر الموحدين الدينية بالمغرب) والعديد من رسائل الآثار بكلية الآداب جامعة الاسكندرية وغير ذلك .

المحراب^(١) (شكل ٨) .

وبلاحظ في هذا النص أن (الدكتور فكرى) قد استخدم ثلاثة مصطلحات وهى البلاطة والاسكوب بالنسبة لبيت الصلاة ، والرواق بالنسبة للمجنبات وهو يرى أن الرواق فى المجنبه هو « الممر الموازى لواجهتها على الصحن والذى يمتد من بداية المجنبه إلى نهايتها وكذلك بالنسبة لمؤخر المسجد »^(٢) . ويدل هذا الرأى على أن الرواق فى المجنبه والمؤخر هو المقابل والمرادف لمصطلح الاسكوب فى بيت الصلاة ، وهو الأمر الذى يدل من جهة أخرى على أن البلاطة مصطلح قائم بذاته حيث أنه غير مرادف لكل من الاسكوب والرواق .

أما البكرى فيذكر عن جامع القيروان فى عهد كل من زيادة الله وإبراهيم بن أحمد مانصه وعدد ما فى الجامع من الاعمدة أربع مائة وأربعة عشر عمودا ، وبلاطاته سبعة عشر بلاطا ، وطوله مائتان وعشرون ذراعا وعرضه مائة وخمسون ذراعا ، ثم يضيف قائلا « ولما ولى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب زاد فى طول بلاطات الجامع وبنى القبة المعروفة بباب البهو على آخر بلاط المحراب »^(٣) . (شكل ٨) . وبلاحظ فى هذا النص أنه يخلو من

(١) أحمد فكرى : المدخل - ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٢) المرجع نفسه - ص ٩٢ حاشية ٢ .

ونضيف على ذلك فنذكر أن هذا التعريف يتعارض مع التعريف الذى كان قد أورده (د. فكرى) قبل ذلك فى كتابه عن مسجد القيروان حيث قال « أما الأروقه فالممرات المتجهة إلى حائط المحراب »

أحمد فكرى : مسجد القيروان - ص ١٩ حاشية ٣ .

وبلاحظ مرة أخرى أن هذا التعريف للأروقه هو نفسه تعريف البلاطات الذى أورده (د. فكرى) فى كتابه المدخل والذى أشرنا إليه من قبل ، وهو ما يجعل كل منهما مرادفا للآخر ، إلا أن (سيادته) لم يلتزم بهذا التعريف الأول للأروقه الذى أورده فى كتاب مسجد القيروان ، واقتصر فى جميع أبحاثه على التعريف الذى أورده للبلاطات فى كتاب المدخل مع أنه فى كلا التعريفين قد قصر كل من (الرواق والبلاطة) على الاتجاه العمودى وهذا لا أساس له من الصحة كما سيثبت من خلال هذا البحث .

(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب - ص ٢٣ - ٢٤ .

الإشارة الى كل من مصطلحي الاسكوب والرواق كما اشار د. فكرى فى وصفه وأنه يقتصر على مصطلح البلاطة فحسب ، ومن المعروف أن البلاطات فى جامع القيروان وغالبية جوامع الغرب الاسلامى تتجه عمودية على جدار القبلة .

أما عن جامع قرطبة فيذكر (د. فكرى) أنه فى بادئ أمره - أى فى عهد عبد الرحمن الداخل - كان بيت صلاته (المقدم) يشمل اثنى عشر اسكوبا تنقسم الى تسع بلاطات ، ثم زاد فيه عبد الرحمن الاوسط زيادتين الاولى سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٤ م وفيها أضيفت الى بيت الصلاة بلاطتان واحدة شرقية وأخرى غربية ، وأضيفت الى الصحن مجنبتان واحدة شرقية والأخرى مقابلة لها فى امتداد البلاطتين الجديدتين ، أما الزيادة الثانية فتمت فى ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م وفيها هدم جدار القبلة وزيد المسجد من جهتها ثمانية أساكيب وبذلك أصبح بيت الصلاة يشمل عشرين اسكوبا تنقسم الى احدى عشرة بلاطة ، ثم زيد فى المسجد مرة رابعة فى عهد الحكم المستنصر ٣٥١ هـ / ٩٦١ م فهدم جدار القبلة مرة ثانية وأضيفت الى بيت الصلاة اثنى عشر اسكوبا أى أن بلاطات المسجد الاحدى عشرة أصبحت تحتاز كل منها اثنين وثلاثين اسكوبا ، وعلى يدى المنصور بن أبى عامر زيد فى المسجد مرة خامسة وذلك عام ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م وتمت الزيادة هذه المرة شرقى بيت الصلاة والصحن فأضيفت ثمان بلاطات امتدت مثل امتداد البلاطات السابقة ، وبذلك أصبح بيت الصلاة يشمل تسع عشرة بلاطة واثنين وثلاثين اسكوبا ، ^(١) (شكل ٩) .

أما (البكرى) فيوضح المراحل المختلفة لتخطيط الجامع فيقول « وكان طول مسقف البلاطات من المسجد الجامع وذلك من القبلة الى الجوف قبل الزيادة ، مائتين وخمسا وعشرين ذراعا ، والعرض من الشرق الى الغرب ، قبل الزيادة ،

(١) أحمد فكرى : المدخل - ص ٢٤٤ - ٢٤٧ .

مائة ذراع وخمسة أذرع ، ثم زاد الحكم فى القبلة مئة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد بن أبى عامر بأمر هشام بن الحكم فى عرضه من جهة الشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتين وثلاثين ذراعا ، وكان عدد بلاطاته احد عشر بلاطة عرض أوسطها ستة عشر ذراعا ، وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربعة عشر ذراعا ، وعرض كل واحد من الستة الباقية أحد عشر ذراعا ، وزاد ابن عامر فيه ثمانى بلاطات عرض كل واحدة عشرة أذرع (١).

ويلاحظ أن هذا النص يخلو أيضا من الإشارة الى كل من مصطلحى الرواق والاسكوب ويقتصر على مصطلح البلاطة فحسب . وقد استمر التعبير بهذا (المصطلح) ، أى البلاطة ، فى غالبية المصادر التاريخية المتعلقة بالغرب الاسلامى ، ونكتفى بأن نذكر من بينها كل من ابن عذارى وقد ذكر بخصوص جامع قرطبة هذا المصطلح أكثر من مرة « وتم بناؤه وكملت بلاطاته واشتملت أسواره فى سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦ م » ومنها قيل أنه - أى عبد الرحمن الناصر - أتفق فى صومعه المسجد وفى تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الأحد عشر بلاطا شبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية ، ومنها مايتعلق بزيادة الحكم المستنصر حيث قال « فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء مادا بالطول لأحد عشر بلاطا ، وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعا وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع سواء » .

ومنها مايتعلق بزيادة المنصور بن أبى عامر حيث قال « فبدأ ابن أبى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى اخره » ويضيف فيذكر أن

(١) البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجى - ط ١ - بيروت ١٩٦٨م - ص ١٠١ ، ١٠٣ .

هذه الزيادة كانت بشرقي المسجد ^(١) . أما المؤرخ الآخر فهو (المقرئ) الذي حوى كتابه نقولات العديد من المؤرخين والرحالة ، ومنها ما هو خاص بالمراحل المختلفة لبناء جامع قرطبة والزيادة فيه ولم يرد فيما ذكره أى اشاره لكل من مصطلحي الرواق والاسكوب ، واقتصر على مصطلح البلاطات فحسب فضلا عن مصطلح آخر مرادف لها وهو الأبهاء (مفردا بهو) كما سنشير فيما بعد ، ونكتفى هنا بالإشارة الى مصطلح البلاطة الذي تنائر في ثنايا الكتاب ومن ذلك (وكان سقف البلاط ... وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطه) وأربعة في بلاطاته ، « فبدأ ابن أبى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولاً من أول المسجد الى آخره ^(٢) وخمس بلاطات من الزيادة الحكمية » ، (البلاط الاوسط) ثم أخيراً ذكر ما نصه وقال ابن سعيد نقلاً عن ابن بشكوال وعدد أبهائه عند اكتمالها بالشمالية التى زادها المنصور ابن أبى عامر تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات ^(٣) .

وتتجلى قيمة هذا النص الهام فى أنه أضاف مصطلحا جديدا مرادفا لمصطلح البلاطة فى الغرب وهو البهو .

هذا ولم يقتصر التعبير بمصطلح البلاطة على الرحالة والمؤرخين فحسب ، وإنما يقابلنا أيضا هذا المصطلح فى العديد من النصوص المسجلة على جدران العماائر الباقية فى الغرب الاسلامى ، ونكتفى بأن نذكر من بينها نص هام يوضح ما قام به السلطان المرينى أبو يعقوب من زيادة فى مسجد تازى بالمغرب الاقصى

(١) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج ٢ - تحقيق كولان (ج . س) ، بروكسسال (ليفى) ط ٣ - بيروت ١٩٨٣ م - ص ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٨٧ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب - ج ٢ - ص ٨٤ - ٨٦ .

(٣) المصدر نفسه - ص ٨٧ - ٨٩ .

سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م ، وهذا النص بصيغة « أمر أمير المسلمين ببناء الزيادة التي زيدت في هذا الجامع وذلك أربعة بلاطات في قبلته وبلاطان شرقي وغربي الصحن ^(١) » ، مما تقدم يتضح أن مصطلح البلاطة كان هو المصطلح السائد والمتداول في اقطار الغرب الاسلامي ، وأنه لم يرد في المصادر المختلفة أي ذكر لمرادف آخر لهذا المصطلح باستثناء ما أورده المقرئ (نقلا عن ابن سعيد الذي نقل بدوره عن ابن بشكوال) من أن أبهاء المسجد تسمى البلاطات كما سبق القول ونضيف على ذلك فنذكر بأنه لما كانت البلاطات في غالبية جوامع الغرب الاسلامي تتجه عمودية على جدار القبلة ، ولذلك كان الرحالة أو المؤرخ يحرص على تجديد الاتجاهات وخاصة عند الإشارة الى حدوث زيادة أو اضافة في الجامع فاذا قال أحدهم أن فلانا زاد في طول بلاطات المسجد فإن هذا يعني ان الزيادة شملت عمق بيت الصلاة (المقدم) من القبلة الى الجوف أي من عند جدار القبلة الى الصحن وهو ما يعرف بالمحور الطولي ، أما اذا قال أنه زاد في طول البلاط في القبلة فهذا يعني ان الزيادة شملت عمق المسجد من جهة جدار القبلة فحسب على نحو ما ذكر (البكري) عند الإشارة الى زيادة الحكم المستنصر بمسجد قرطبة أما اذا ذكر أحدهم ان فلانا زاد في عرض البلاطات ، فان هذا يعني ان الزيادة شملت جانبي بيت الصلاة (المقدم الشرقي والغربي وهو ما يعرف بالمحور العرضي ، أما اذا اقتضت الزيادة على جانب واحد فقط ففي هذا الحالة كان المؤرخ أو الرحالة يكتفى بالقول بأنه زاد في عرض البلاطات من الجهة التي زيدت منها على نحو ما ذكر (البكري) وغيره عند الإشارة الى زيادة المنصورين أبي عامر بمسجد قرطبة والسابق الإشارة اليها ، أما في حالة ما تكون عقود البائكات موازية لجدار القبلة فكان الرحالة أو المؤرخ يكتفى بالقول بان هذه البلاطات تمتد من الشرق الى الغرب أو العكس كما سنشير فيما بعد .

جـ - الرواق : الرواق في اللغة هو « روق البيت مقدمه وروقه ورواقه ما بين يديه ، وقيل سماوته وهي الشقة التي دون العليا والجمع أروقة ، قال الجوهري

(١) محمد الكحلوي : عمائر الموحدين الدينية بالمغرب - ص ١٥٣ .

الروق سقف في مقدم البيت ، والرواق ستر يمد دون السقف يقال بيت مروق و
وقال بعضهم رواق البيت مقدمة ، وقال ابن سيدة : رواقا الليل مقدمة وجوانبه و
الارواق الفسطاطيط ، الليث : بيت كالفسطاطط يحمل على سطاق واحد في
وسطه والجمع اروقة ويقال ضرب فلان روقه بموضع كذا اذا نزل به وضرب
خيمته^(١) .

وقال في مختصر الصحاح « الرواق بيت عال » وبالكسر سقف في مقدم
البيت وبيت مروق : له رواق^(٢) . ونخرج من تفسير هذا النص اللغوي بحقيقة
فحواها أن الرواق هو أحد المصطلحات المتعلقة بالمنشآت السكنية كالدور والبيوت
وغيرها وهو يقصد به من جهة الإشارة الى جزء مهم من مكونات البيت وهو
(الشقة التي دون العليا) وعلى ذلك فهو يقابل ما يعرف باسم الطبقة أو القاعة
ويؤكد هذا التفسير ما ورد في الوثائق المختلفة المتعلقة بالمنشآت السكنية فبعض
الأروقة تتكون من أيوان ودرقاعة أو أيوانين متقابلين بينهما درقاعة فضلا عن

(١) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية - ج ٤ - ص ١٤٨٥ - ١٤٨٦ .

ابن منظور : لسان العرب - مادة رواق .

الفيروز ابادي : القاموس المحيط - ج ٣ - ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

الزبيدي : تاج العروس - ج ٦ ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

Dozy , Op. Cit, Vol. pp. 571 _ 572 .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن (د . المليجي) قد اكتفى في تعريفه للرواق بذكر التعريف
الوارد في المعاجم اللغوية كإبن منظور والفيروز آبادي ولكن دون أن يفسر هذا النص اللغوي
ويربط بينه وبين المصطلح واستخدامه وهو الأمر الذي أوقعه في خطأ كبير إذ ذكر أن الرواق
بمعنى الممر المتدبين صفيين من الياثكات هو المعنى الاصلى لهذا المصطلح وأنه بعد
ذلك قد تخطى هذا المعنى فأصبح يستخدم بمعنى الرواق السكني أو وحده سكنيه .

على المليجي : المرجع السابق - ص ١٠ .

ولعل ما ذكرناه في تفسيرنا للنص اللغوي للمصطلح ينفي ما ذكره (د . المليجي) لأن
العكس هو الذي حدث فالرواق أصلا أحد المصطلحات المتعلقة بالمنشآت السكنية عامة
وبالسقائف التي تتقدم مداخل الدور خاصة فيقال بيت مروق أي ذو سقيفه تتقدمه ثم لم
تلبث أن استعيرت هذه اللفظة بهذا المدلول الأخير وصارت إصطلاحا في العمائر الدينية
كما سبق أنوضحنا في متن هذا الفصل .

(٢) البكري : القول المقتضب - ص ١٢٠ .

بعض المنافع والمرافق كالحزانات التومية (المراقد) وخزانة الكسوة والمطبخ والمرحاض وكان الرواق يسقف بالخشب النقي المدهون ويفرش بالبلاط أو الرخام الملون وتسبل جدره بالملاط وأحيانا كان يشرف كل إيوان أو أحدهما على الدرقاعة بكردين تمتد فيما بينهما من أعلى معبرة^(١) ومن جهة ثانية يقصد بمصطلح الرواق السقيفة التى تتقدم مقدم البيت أى مدخله الرئيسى ولذلك كان يقال له بيت مروق أى ذو سقيفة تتقدمه ، وقد استعيرت هذه اللفظة بهذا المدلول الأخير الى العمارة الدينية وصارت اصطلاحا يقصد به المساحة أو الممر المسقف المحصور بين صفيين من الأعمدة أو الدعامات أو بين جدار وصف من الأعمدة أو الدعامات وهو ما يعرف باسم البائكة وهو نفس التخطيط الذى تكون عليه السقيفة التى تتقدم مداخل الدور والبيوت من جهه ومداخل العماثر الدينية من جهه ثانية ومن نماذج هذه السقائف التى تتقدم المساجد ما نراه فى مسجد أبو فتاته بسوسة فى تونس ، ومسجد الصالح طلائع بالقاهرة والعديد من المساجد السلجوقية والعثمانية^(٢) . (اشكال ٢٨ - ٣٢) .

ويعزز هذا التفسير ويؤكد ادلة كثيرة مستمدة من المصادر التاريخية والوثائق المختلفة فضلا عن النصوص الكتابية المسجلة على جدران العماثر الاثرية الباقية فى مصر وأقطار المشرق الاسلامى ، ومن هذه الأدلة ما ذكره المقرئى عند حديثه عن الجامع الأزهر بقوله « وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمنة المحراب والمنبر »^(٣) (شكلا ١٨ - ١٩) .

-
- (١) عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار - ص ١٢١ حاشية ١ .
وثيقة قراقجا الحسنى - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد ١٨ - ج ٢ -
ديسمبر ١٩٥٦ م ص ٢٣١ تحقيق ٤١ .
محمد أمين (ولى إبراهيم) : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية - ص ٥٧ -
٥٨ .
محمد عبد القادر موافى : تاريخ الوقف فى مصر العثمانية - رسالة دكتوراه غير منشورة -
جامعة الزقازيق ١٩٩٣ م - ص ١٤٨٨ .
(٢) محمد حمزه الحداد : العمارة الاسلامية فى مصر - من الفتح العثمانى إلى نهاية عهد
محمد على - المدخل - القاهرة ١٩٩٢ - ص ٣١ - ٣٦ .
(٣) المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٢٧٣ .

يدل هذا النص الهام على أن الرواق هو المساحة أو الممر المسقف المحصور بين جدار القبلة والبائكة الاولى التى تلى هذا الجدار .

وتزودنا وثيقة مدرسة المنصور قلاوون بشارع المعز لدين الله بالقاهرة بنص هام يؤكد هذا المعنى أيضا حيث تذكر أن المدرسة تشتمل على « ايوانين متقابلين أحدهما قبليا والثاني بحريا ، فأما الايوان القبلى فإنه معقود القوصرة بالطوب الاجر ... وبكل من جانبي الايوان المذكور رواق ... »^(١) (شكلا ١٦٨ - ١٦٩) ومن المعروف ان كل رواق من هذين الرواقين الجانبين محصور بين البائكة من جهه والجدار من جهه ثانية .

أما وثيقة سودون من زاده فتذكر ان جامعة بشارع سوق السلاح بالقاهرة يشتمل على « ست رواقات ثلاث منها قبلية والثلاث رواقات الباقية احدها بحرى والثاني شرقى والثالث غربى محمولة على عمد صوان عدتها ثمانية عشر عمودا علوها عقود وقناطر مبنية بالحجر الفص النحيت والطوب والجبس .. »^(٢) . (شكل ٢١٣) .

يتضح من هذا النص أن الجامع عبارة عن مقدم يشتمل على ثلاثة أروقه ومؤخر يشتمل على رواق واحد ، ومجنتان تشتمل كل منهما على رواق واحد ويلاحظ هنا أن مدلول الرواق قد اتسع معناه فصار يقصد به البائكات (صفوف الأعمدة وما يعلوها من عقود) والمساحات أو الممرات المسقوفة المحصورة بينها .

(١) محمد سيف النصر أبو الفتوح : مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالنحاسين بالقاهرة . دراسة اثرية فى ضوء وثيقة جديدة مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء - ١٩٨٤ ص ١١٠ - ١١١ أسطر ١٦ - ٢٣ .

محمد حمزة الحداد : السلطان المنصور قلاوون - ط ١ - القاهرة ١٩٩٣ م ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) حسنى نوبصر : مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعه - مدرسة الأمير سودون من زاده بسوق السلاح - القاهرة ١٩٩٣ م ص ٧١ - ٧٣ .

هذا وتزخر المصادر التاريخية الأخرى ووثائق الوقف المختلفة بإشارات كثيرة يستدل منها على أن مصطلح الرواق كان هو المصطلح السائد والمتداول في العمارة المصرية الإسلامية عبر العصور التاريخية المختلفة ، ولذلك فانه من الخطأ السير على نهج (د . فكرى) عند وصف تخطيط المساجد والجوامع المصرية بأن بيوت صلاتها (المقدم) تشتمل على اساكيب وبلاطات ^(١) ، لأنه لم ترد أية اشارة في الوثائق والمصادر التاريخية نفي استعمال اى من هذين المصطلحين ولو مرة واحدة في مصر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان مدلول مصطلح البلاطة لدى (د . فكرى) يقتصر فقط على الممر الممتد رأسياً (أى عمودياً) في بيت الصلاة من جدار القبلة الى الصحن كما سبق القول ، ومثل هذا الوضع لا يوجد له مثال واحد في المساجد والجوامع المصرية الباقية حيث تتجه جميع عقود البائكات موازية لجدار القبلة وليست عمودية عليه كما هو الحال في مساجد وجوامع الغرب الإسلامي ، ويستثنى من ذلك ما نشاهده في كل من جامعى الأزهر والحاكم من وجود رواق أوسط ، هو المعروف خطأً بالمجاز القاطع ، تتجه عقود بائكته عمودية على جدار القبلة (شكلاً ١٨ - ١٩) .

ومما له دلالة في هذا الصدد ما نشاهده في بعض دراسات العلماء والباحثين المصريين عند وصف المساجد والجوامع المختلفة من محاولة الجمع بين كل من مصطلحي الرواق والبلاطة في آن واحد ، فالمسجد عبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة . يشتمل كل رواق منها على عدد من البلاطات يختلف من مسجد لآخر وبطبيعة الحال فان رواق القبلة يشمل أكبر عدد من

(١) راجع على سبيل المثال ما ورد بشأن تخطيط جامع بن طولون ، والجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله ، وجامع الأقمر ، وجامع الصالح طلائع في كل من المدخل ، العصر الفاطمي (للدكتور أحمد فكرى) ، وما أورده (د . حسين مؤنس) في كتابه المساجد المشار إليه

البلاطات فى المسجد (١) .

وهذا الجمع بين كل من المصطلحين لم ترد عنه أية إشارة فى الوثائق والمصادر التاريخية المختلفة حيث أن مصطلح البلاطة لم يكن سائدا ومتداولاً بمصر فى أى عصر من عصورها التاريخية كما سبق القول هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه سوف يثبت لنا فى هذا البحث أن مصطلح البلاطة فى الغرب الإسلامى هو المرادف والمقابل لمصطلح الرواق الذى ساد وانتشر فى مصر وأقطار المشرق الإسلامى كما سنشير فيما بعد .

-
- (١) كمال الدين سامح : العمارة فى صدر الإسلام - القاهرة ١٩٧١ ص ٢٧ ، ١٠٨ .
العمارة الإسلامية فى مصر - القاهرة ١٩٧٠ - ص ١٩ ، ٣٧ ، ٤١ .
محمد مصطفى نجيب : العمارة فى عصر المماليك - ضمن كتاب القاهرة مؤسسة الأهرام ١٩٧٠ م ص - ٢٤٣ .
عبد الرحمن فهمى : العمارة قبل عصر المماليك (ضمن كتاب القاهرة المشار اليه) - ص ٢٢٣ .
مسجد الصالح طلائع . (ضمن كتاب القاهرة المشار اليه) ص ٤٦٤ .
محمد عبد الستار عثمان : أحميم فى العصرين القبطى والإسلامى - ط ١ - ١٩٨٢ م - ص ٧٦ ، ٧٩ - ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ .
جرجا وآثارها الإسلامية فى العصر العثمانى - مجلة دراسات آثارية إسلامية - المجلد ٣ - القاهرة ١٩٨٨ م ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .
سامح فهمى : جامع الظاهر بيبرس - مجلة دراسات آثارية المشار إليها ص ١١٠ - ١١١ .
كذلك تجدر الإشارة إلى أنه أحيانا كان البعض يكتفى بأن يذكر أن كل رواق من الأروقة الأربعة يشمل عدداً من الأروقة أكبرها بطبيعة الحال أروقة رواق القبلة على حد قول هؤلاء الباحثين وهذا الوصف أيضاً غير دقيق فكيف يمكن لنا أن نتصور أن رواقاً واحداً يشمل على رواقين وأن كل رواق من الأروقة الثلاثة الأخرى يشمل على رواق واحد .
انظر على سبيل المثال كنموذج لهذا الوصف غير الدقيق .
على الطائش : دراسة معمارية لجامع بدر الدين الونائى بالقاهرة - مجلة التاريخ والمستقبل - قسم التاريخ بآداب المنيا - المجلد ٣ - العدد ٢ - يونيو ١٩٩٣ م - ص ٣٢٨ .

ومادام الأمر كذلك فكيف يجوز الجمع بين مترادفين في آن واحد ؟ ولذلك يجب الاقتصار على أحدهما ووضع الآخر بين قوسين ، وحيث أن مصطلح الرواق هو السائد والمتداول في مصر ، لذلك يجب الاقتصار عليه عند دراسة ووصف المساجد والجوامع المختلفة على أن يوضع المصطلح المرادف (وهو البلاطة) بين قوسين .

هذا ولم يكن مصطلح الرواق هو المصطلح السائد والمتداول في مصر فحسب ، وإنما كان كذلك في أقطار المشرق الإسلامي كما يستدل من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين المشاركة من جهة والوثائق والنصوص الكتابية المسجلة على جدران العمائر الأثرية الباقية في بعض هذه الأقطار من جهة ثانية .

ولا يتسع المجال لذكر كل النصوص المتعلقة بمصطلح الرواق بالمشرق الإسلامي ولذلك نكتفي بالإشارة إلى بعضها ومنها ماورد في بعض المصادر التاريخية وكتب الرحالة من أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان أول من عمل للمسجد الحرام الأروقة حين وسعه وزاد فيه سنة ٢٦هـ / ٦٤٦ م^(١) ومنها ما أشار إليه النرشخي عنه حديثه عن بناء مسجد بخارى الجامع ومراحل بنائه المختلفة بقوله « وبالمسجد كله خمسة أروقة داخلية والرواقان المطلان على المدينة مع المنار من بناء أرسلان خان (٥١٥هـ / ١١٢١ م) وهذا الرواق الأكبر والمقصورة من بناء شمس الملك وبين هذه رواقان داخليان منذ القدم والذي بقرب الحصار (أى القلعة) من آثار إسماعيل الساماني وقد بناء ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م والآخر الذي في ناحية بيت أمير خراسان من بناء الأمير

(١) المأموني ابراهيم : تهتة أهل الاسلام بتجديد بيت الله الحرام . (مخطوطه بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض) عن : فوزية مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي ط١ - جده ١٩٨٢ - ص ٩٦ .
عبد الغنى النابلسي : الحقيقة والمجاز - ص ٤٤٥ .
ياقوت الحموي : معجم البلدان - المجلد ٨ - ط١ القاهرة ١٩٠٦ م - ص ٥٠ .

الحميد نوح بن نصر بن إسماعيل الساماني سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ... (١).

وما أشار إليه النابلسي في حديثه عن أحد جوامع بيروت بقوله « وفي دائر هذا الجامع رواقات بأقبية على عواميد عالية عظيمة » (٢) وما أشار إليه الخطيب البغدادي عند حديثه عن مسجد الخليفة المنصور الذي كان ملاصقا لقصر الذهب بمدينة المدورة (أي بغداد) والزيادة فيه بقوله « ثم زاد المعتضد بالله ... وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها إلى الصحن ثلاثة عشر وإلى الأروقة أربعة ... » (٣).

وما أشار إليه المقدسي عند حديثه عن جامعى بلده أمل قصبة طبرستان باقليم الديلم بقوله أنه يحيط بكل جامع منهما رواق ، وعند حديثه عن جامع إيران شهر قصبة نيسابور بقوله أنه « يدور على قاعته ثلاثة أروقة » (٤).

وما أشار إليه الهروي عند حديثه عن قبة الصخرة بقوله « ورواق قبة الصخرة مبنى على ست عشرة اسطوانة من الرخام وعلى ثمانية أركان والقبة التى داخله مبنية على أربعة أركان واثنى عشر عموداً ودائرها ستة عشر شباكاً » (٥).
(شكلا ١ - ٢).

(١) النرشخي : (أبى بكر محمد بن جعفر) .

تاريخ بخارى - ترجمة نصر الطرازى وأمين عبد المجيد بدوى القاهرة ١٩٦٥ م - ص ٧٧.

(٢) عبد الغنى النابلسي الرحلة الطرابلسية - ص ٤٢ .

(٣) يعقوب ليسز : خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى - ترجمة صالح أحمد العلى - مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٤ م (وفيه نشر وتحقيق وتعليق لخطط بغداد للخطيب البغدادي) - ص ١١٢ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ٢٤٨ ، ٢٧٥ .

(٥) الهروى (أبى الحسن على بن أبى بكر)

الاشارات الى معرفة الزيارات تحقيق ونشر جانين سورديل طومين - دمشق ١٩٥٣ م -

ص ٢٦ .

وما أشار إليه ابن الديبغ عند حديثه عن عمارة السلطان عامر بن عبد الوهاب للجامع الكبير بزييد باليمن ٨٩٧هـ / ١٤٩١ م بقوله « وزاد في مقدمة ادخال الرواق القبلى من الشمسية فيه وزاد الأروقة القبلىة فى توسيع الشمسية واتسعت اتساعاً عظيماً ... » (١) .

وما ورد فى بعض الوثائق ومنها الوقفية الغسانية وقد ورد بها وصف المدرسة الظاهرية فى تعز (باليمن) ، وهى مدرسة الآن ، وفيها أن « الصرحة (أى الصحن) محفوفة بأربعة أروقة من الجهات الأربع يحمل كل رواق ثلاثة عقود وفى كل ركن من الأروقة المذكورة قبة ... » (٢) .

ومن بين النصوص التأسيسية التى ورد بها مصطلح الرواق نكتفى بأن نشير إلى نصين اثنين أولهما بالمسجد الأقصى والآخر بالجامع المنصورى الكبير بطرابلس الشام .

أما عن النص الأول فهو بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم » أنشأ هذه الأروقة الشمالية سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم أبو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبى بكر (٣) بن أيوب خلد الله ملكه وذلك فى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧ م .

والنص الثانى بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم » إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر . أمر بإنشاء هذه الرواقات تكملة الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ... محمد بن قلاوون خلد الله ملكه ... وكان الفراغ منه

(١) ابن الديبغ : بغية المستفيد - ص ٧٠ - ٧٣ .

(٢) القاضى إسماعيل الأكوع المدارس الإسلامية فى اليمن (وفيه نشر لبعض ما ورد فى الواقفيه الغسانية) - ص ٢٩٨ .

(٣) عارف العارف : تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك - القدس ١٩٥٥م - ص ١٦٤ .

فى شهور سنة خمس عشر وسبعمائة / ١٣١٥ م^(١).

ورغم وضوح النص فى إشارته إلى مصطلح الرواقات التى أضافها الناصر محمد إلا أن (أستاذنا د . سالم) قد عبر عن الجامع وتخطيطه بالمصطلحات السائدة بالمغرب بقوله أنه « يشتمل على ثلاث مجنبات تحيط بصحن مستطيل وعلى بيت للصلاه وتعلو هذه المجنبات قبوات متعارضة (أى أقبية متقاطعة) ومجنبات الصحن أقيمت فى عهد الناصر محمد ٧١٥هـ / ١٣١٥ م ... ويشتمل بيت الصلاه على بلاطين موازيين لجدار القبلة ينقسمان إلى أربعة عشر اسطواناً ، ويعلو كل اسطوان منها قبوة متعارضة فيما عدا أسطوان المحراب فتعلوه قبة قائمة على مقرنصات مقوسة^(٢) (شكل ٢٢) .

مما تقدم يتضح ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن مصطلح الرواق كان هو المصطلح السائد والمتداول فى أقطار الشرق الإسلامى ، ولذلك فإنه من الخطأ السير على نهج (د. فكرى) عند وصف تخطيط المساجد والجوامع الباقية فى هذا الأقطار بأن بيوت صلاتها (المقدم أو الحرم كما هو مصطلح عليه لدى الدارسين والباحثين فى هذه الاقطار) تشتمل على أساكيب وبلاطات^(٣) لأنه لم ترد أية إشارة فى "وثائق والمصادر التاريخية المختلفة فضلاً عن النصوص التأسيسية تفيد استعمال أى من هذين المصطلحين ، ولذلك يجب الاقتصار على مصطلح (الرواق) على أن يوضع المصطلح المرادف له (وهو البلاطة) بين قوسين .

والآن بعد أن بينا أن مصر وأقطار الشرق الإسلامى قد اختصتا بمصطلح

(١) السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى - ص ٤٠٤ .

(٢) المرجع نفسه - ص ٤٠٣ - ٤٠٥ .

(٣) لا يتسع المجال لذكر كل المراجع والأبحاث المتعلقة بتلك المسألة ، ولذلك يكتفى بمراجعة ما ورد عن المساجد فى المشرق الإسلامى فى (كتاب المدخل للدكتور فكرى ، وكتاب المساجد للدكتور حسين مؤنس ، وكتاب طرابلس الشام للدكتور عبد العزيز سالم ، وما ورد فى كتاب عيسى سلمان عن العمارة العربية الإسلامية فى العراق - ج ١) .

(الرواق) وأن اقطار الغرب الإسلامى قد اختصت بمصطلح (البلاطة) ، يبرز أمامنا تساؤل هام يطرح نفسه فى إلحاح ، وهو هل كل من المصطلحين مترادفين لبعضهما البعض ؟ أم أن كل مصطلح منهما ذو مدلول خاص يختص به يختلف عن الآخر كما ذهب إلى ذلك (د. فكرى) ومن نهج نهجه ؟

والحق ان كتابات الرحالة وبعض المؤرخين المغاربة عن العمائر التى شاهدها فى الشرق تيسر لنا مهمة الإجابة على هذا التساؤل ، وذلك من خلال عقد مقارنة ومقابلة بين المصطلحات التى عبر بها المغاربة وما يقابلها من مصطلحات عبر بها الرحالة والمؤرخين المشارقه لنفس هذه العمائر التى شاهدها المغاربة وخاصة تلك العمائر التى ما تزال محتفظة بتخطيطها الأصيلى حتى الآن ، أو على الأقل تلك العمائر التى أسفرت دراسات علماء الآثار على معرفة تخطيطها الأصيلى وما جرى عليه من اضافات وزيادات عبر العصور التاريخية كالمسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة وغير ذلك .

وبادئ ذى بدء يمكن القول بأن الرحالة المغاربة قد عبروا عن مشاهداتهم للعمائر المختلفه فى الشرق الإسلامى بالمصطلحات المتداولة فى الغرب الإسلامى ، وفى بعض الأحيان كانوا يشيرون إلى المصطلحات المقابله والمرادفة لها فى الشرق على نحو ما بيننا من قبل ، وبطبيعة الحال كانت المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها من أشهر مساجد الشرق الإسلامى التى حظيت بتدوين كل صغيرة وكبيرة من قبل الرحالة وبعض المؤرخين المغاربة ، وهذه المساجد هى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، فضلا عن المسجد الأموى بدمشق ، ومسجد الكوفة ، ومسجد حران ، ومسجد حلب وغير ذلك ، ولنبدأ بذكر المسجد الأموى بدمشق على اعتبار أنه ما يزال يحتفظ بتخطيطه الأصيلى حتى الآن وعنه يذكر ابن جبير « .. وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف

وقد قامت على ثمانية وستين عموداً ... وأربع أرجل (دعائم) ... قائمة في البلاط الأوسط تقل قبة ... ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية ... (١) (شكل ٥) .

والحق ان هذا الوصف يكاد يطابق الواقع تماماً ، فتخطيط الجامع الأموي عبارة عن صحن أوسط تحيط به من جهاته الأربع بلاطات (أروقة) منها ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة يقطعها البلاط الأوسط (الرواق الأوسط) وهو المعروف خطأً بالمجاز القاطع ، العمودي على المحراب ، وبكل جهة من جهات الصحن الثلاث الأخرى بلاط (رواق) . (شكل ٥) .

ونخرج من هذا الوصف الذي أورده ابن جبير بحقيقة مؤداها أن البلاطة هي المصطلح المرادف والمقابل للرواق حيث أن هذا المصطلح الأخير هو الذي استعمله كل الرحالة والمؤرخين المشاركة عند وصفهم للجامع الأموي هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإنه يلاحظ أن ابن جبير قد استعمل مصطلح البلاطة على البائكات التي تتجه عقودها موازية لجدار القبلة وعلى البائكتين اللتين تتجه عقودهما عمودية على جدار القبلة (أي البلاط أو الرواق الأوسط) في آن واحد وهو الأمر الذي ينفي تماماً ماذهب إليه (د. فكري) من أن مصطلح البلاطة إنما يقصد به الممر الممتد رأسياً (أي عمودياً) في بيت الصلاة من جدار القبلة إلى الصحن فحسب كما سبقت الإشارة إليه .

أما المقدسي فيذكر عن الجامع الأموي انه يشتمل على ثلاثة صفوف واسعة

(١) ابن جبير : الرحلة - ص ١٨٥ .
وانظر ايضاً

ابن بطوطة : الرحلة - ص ٦٣ .

الحميري : الروض المطار - ج ٢ - ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

جداً وفي الوسط ازاء المحراب قبة كبيرة ، وادير على الصحن أروقة (بلاطات في نص ابن جبير) متعالية بفراخ فوقها ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض ... » (١) .

ويؤكد ابن فضل الله العمرى ذلك فيقول « والمسجد - أى المسجد الأموى - ذو صحن ... ويدور به - أى بالصحن - رواق قد أشرت جدره وسواريه بالرخام الملون وعقدت رؤوس عمدته وسواريه بالقناطر - أى بالعقود وجعل على كل قنطرة منها طاقات صغار ، يفصل بين كل اثنين منهما عمود رخام أو سارية ، وفي قبلته ثلاثة أروقة وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر ... » (٢) .

وعن المسجد الأقصى يذكر المقدسى أنه يتكون من جزئين هما المغطى والصحن وأن للمغطى « ستة وعشرون بابا ... وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخام أحدثه عبد الله بن طاهر ، وعلى الصحن من الميمنه أروقة على أعمدة رخام وأساطين ، وعلى المؤخر أروقة أزاج من الحجارة ، وعلى وسط المغطى جمل (أى سقف جمالونى) عظيم خلف قبة حسنة ... وليس على الميسرة أروقة والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقى ... » (٣) (شكل ٦) .

وعلاوه على قيمة هذا النص الأثرية وأهميته فى معرفة تخطيط المسجد الأقصى فى عهد الخليفة العباسى المهدي ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م ، فإن له فى بحثنا أهمية أخرى وهى أنه يدل على أن مصطلح الرواق لا يقتصر فقط على البائكات الموازية لجدار القبلة ، كما ذهب إلى ذلك (المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب) (٤) . وإنما يقصد به أيضا البائكات التى تتجه عقودها عمودية على جدار

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ١٣٨ .

(٢) العمرى (ابن فضل الله) :

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ج ١ - تحقيق أحمد زكى باشا - القاهرة ١٩٢٤م - ص ١٩٥

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٤) حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية - ص ٣٠ .

القبلة والمساحات المحصورة بينهما كما هو الحال فى بائكات المسجد الأقصى .
(شكل ٦) .

وعلى ضوء ما انتهى بنا البحث إلى القول بأنه لافرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة وأن كليهما مرادف للأخر وأن الأول قد اختصت به مصر وأقاليم الشرق الإسلامى والثانى اختصت به أقاليم الغرب الإسلامى ، فإننا نستطيع أن نضع لهما تعريفاً جديداً وهو أنه يقصد بهما (أى بالرواق فى المشرق والبلاطة فى المغرب) صفوف البائكات والمساحات المسقوفة المحصورة بينهما سواء كانت عقودها تسير موازية لجدار القبلة أو تتجه عمودية على ذلك الجدار . أو تتقاطع فيما بينها أى تسير عموديه وموازيه لجدار القبلة فى ذات الوقت^(١) .

ونستعرض فيما يلى بعض أوصاف الرحالة والمؤرخين المغاربة التى تساعد على تأكيد هذا التعريف ومنها ما أورده (ابن عبد ربه) عن صفة مسجد الرسول ﷺ بقوله « بلاطاته فى قبلته معترضه من الشرق إلى الغرب - أى أنها تسير موازية لجدار القبلة - فى كل صف من صفوف عمدتها سبعة عشر عموداً ما بين كل

(١) يعد هذا التعريف أنسب وأشمل التعريفات للاروقه (البلاطات) لانه يعبر بدقه عن الاوضاع المختلفة التى ظهرت عليها هذه الاروقه (البلاطات) فى المساجد والجوامع الإسلامية فى مصر أو المشرق أو المغرب (اشكال ٣ - ٢٣ ، ١١٠ - ١٤٤) وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأن التعريف الذى إنتهى إليه (د. على المليجى) يعد غير دقيقاً وقاصراً فى ذات الوقت فهو يذكر أن كلا من الرواق والبلاطة والاسكوب مسميات مختلفة لمسمى واحد بمعنى الممر أو المسافة الممتدة بين صفين من البائكات أو بين جدار وبائكة أو بين صفين من العمد وهذا المفهوم هو الأصل ويجب التمسك به ، وأن العبارة هنا باتجاه عقود البائكات سواء كانت موازية لجدار القبلة أو عمودية عليه .

على المليجى : المرجع السابق ، ص ٨ ، ١٦ .

ومن الملاحظ أن هذا التعريف قد أغفل من جهة الإشارة إلى ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح الاروقه (البلاطات) المتقاطعه أى التى تتجه عقود بائكاتها موازيه وعموديه على جدار القبلة فى ذات الوقت (اشكال ١٢٠ - ١٢٢) هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه فات على صاحب هذا التعريف أن مدلول الرواق قد إتسع معناه وبخاصة خلال العصر المملوكى فصار يقصد به صفوف البائكات والمساحات والممرات المسقوفة المحصورة بينها ومن ثم كان يشار إليه فى الوثائق المختلفة بالرواق القبلى والرواق البحرى والرواق الغربى والرواق الشرقى وكل رواق منها يشتمل على عدد من البائكات .

عمودين منها فجوة كبيرة واسعة ... وقبالة المحراب منسطة البلاطات بلاط مذهب كله ، شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ... (١) .

هذا عن صفة مسجد الرسول ﷺ فى الربع الأول من القرن ٤ هـ / ١٠ م أما عن تخطيط المسجد النبوى عند ابن جبير فهو المسجد المبارك مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ووسطه كله صحن مفروش بالرمال والحصى فالجهة القبلىة منها لها خمسة بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق (أى أنها تسير موازية لجدار القبلة) ، والجهة الجوفية (أى المؤخر) لها أيضا خمسة بلاطات على الصفة المذكورة والجهة الشرقية لها ثلاثة بلاطات والجهة الغربية لها أربعة بلاطات (٢) شكلا ٤ - ٤ م .

ويدل كل من هذين النصين على أن مصطلح البلاطة يقصد به صفوف البائكات الموازية لجدار القبلة ، ويستثنى من ذلك البلاط (الرواق) الأوسط الذى ورد فى نص (ابن عبد ربه) فإنه كان يتجه عموديا من الصحن وينتهى عند البلاط الأول ، مما يلى جدار القبلة . حيث أنه كان لا يشقه (أى يخترقه) على حد قوله . أما هذا البلاط فمن الملاحظ أن نص ابن جبير يخلو من الإشارة إليه مما يدل على أنه قد أزيل ولم يعد بنائه فى الفترة فيما بين الربع الأول من القرن ٤ هـ / ١٠ م ، والربع الأخير من القرن ٦ هـ / ١٢ م (٣) .

(١) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م

العقد الفريد - ج ٧ - تحقيق عبد المجيد الترحينى بيروت - د . ت ص ٢٨٨ .

(٢) ابن جبير : الرحلة - ص ٢٤٠ .

(٣) هذا وتجدر الإشارة إلى أن المشروعات التى رسمت لتخطيط المسجد النبوى وخاصة فى عهد المهدي العباسى (شكل ٤ مكرر) غير دقيقة ولا سيما فيما يخص تخطيط مقدم المسجد ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن هذه المشروعات قد اعتمدت على وصف ابن جبير واعتبرته وصفا لحالة المسجد ونظامه فى عهد المهدي ، وحيث أنه قد ثبت لدينا أن (ابن عبد ربه) قد زار المسجد ووصفه قبل ابن جبير بفترة طويلة كما سبق القول ، فإن ذلك يدل دلالة أكيدة على أن تغييراً قد حدث فى تخطيط مقدم المسجد وأن ذلك التخطيط هو الذى شاهده ابن جبير ووصفه وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن وصف ابن جبير ليس وصفاً لحالة المسجد ونظامه فى عهد المهدي العباسى كما يرى العديد من =

ويؤكد هذا المعنى أيضا ماورد بشأن مسجد الكوفة ومسجد حران فالمسجد الأول منهما كان يشتمل على « في الجانب القبلى منه خمسة أبلطة وفى سائر الجوانب بلاطان ، وهذه البلاطات على أعمدة من السوارى الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسى عليها ... وهى فى نهاية الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون فى تفاوت ارتفاعها فما أرى فى الأرض مسجدا أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا (١) . (شكل ٣) .

وبدل هذا النص أيضا على أن مصطلح البلاطة يقصد به صفوف الأعمدة (أى البائكات) الموازية لجدار القبلة حتى فى حالة عدم وجود عقود تعلوها وفى ذلك يذكر « ولا قسى (أى عقود) عليها على الصفة التى ذكرناها فى مسجد الرسول ﷺ » حيث أنها هى الأخرى لم تكن تعلوها العقود (٢) وعن المسجد الثانى ، أى مسجد حران ، يقول ابن جبير « والجامع المكرم سقف بجوائز الخشب والحنايا ، وخشبة عظام طوال لسعة البلاط ، وسعته خمس عشرة خطوة ، وهو خمسة ابلطه وما رأينا - أى ابن جبير - جامعا أوسع حنايا منه وجداره المتصل بالصحن ... » (٣) (شكل ١٧) .

= العلماء والباحثين العرب والاجانب هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الاقرب إلى الصواب أن يكون وصف (ابن عبد ربه) إنما هو فى واقع الأمر وصفا لحالة المسجد ونظامه فى عهد المهدي ، وربما تزودنا المصادر التاريخية فى المستقبل القريب بمعلومات هامة عن إجراء عمارة أو مرمره أو توسعه وزياده فى المسجد النبوى فى الفترة الممتدة فيما بين الربع الأول من القرن ٤هـ / ١٠م والربع الأخير من القرن ٦هـ / ١٢م .
انظر على سبيل المثال :

أحمد فكرى : المدخل - ص ص ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٩٥ - شكل ٨٣ .

حسنى نويصر : الآثار الإسلامية - ص ٤٥ .

أحمد رجب محمد على : رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوى وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية - ص ٢٦٩ ، ٢٧١ .

(١) ابن جبير : الرحلة ص ١٥٣ .

وانظر أيضا : ابن بطوطة : الرحلة - ص ١٤٦ .

حيث يذكر « وجامعها الأعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبعة قائمه على سوارى حجارة ضخمة منحوتة ، قد صنعت قطعا ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهى مفرطة الطول »

(٢) ابن جبير : الرحلة - ص ١٤٢ ، ١٥٣ .

(٣) نفسه - ص ١٧٥ .

هذا وقد كشفت الحفائر الأثرية عن بعض آثار هذا المسجد ، وهذا الكشف يطابق ما ذكره ابن جبير عن هذا المسجد من حيث كثرة أبوابه المفتوحة على الصحن واتساع الباب الأوسط منها ، ومن حيث بلاطاته التي تسير موازية لجدار القبلة ، ورغم وضوح ذلك فإن د . فكري أن بيت الصلاة (المقدم أو الحرم) يشمل أربعة أساكيب تنقسم بدورها إلى عشر بلاطات ^(١) (شكل رقم ١٧) .

وخير ما نختم به هذه الأدلة من كتابات الرحالة ماورد بشأن المسجد الحرام وتخطيطه ، ومن ذلك ما ذكره ابن جبير بقوله « والمسجد الحرام يطيف به ثلاثة بلاطات على ثلاث سوار من الرخام منتظمة كأنها بلاط واحد ... وما بين البلاطات فضاء كبير ... والكعبة في وسطه على استواء من الجوانب الأربعة ... » ^(٢) .

ويوضح ابن بطوطة هذا النص بتفاصيل أكثر منها بقوله « وسقفه أى المسجد » على أعمدة طوال مصطفه ثلاث صفوف بأتقن صناعة وأجملها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد ... » ^(٣) .

وهذا الوصف يكاد يطابق ماورد في المصادر التاريخية المختلفة عن عمارة الخليفة العباسي المهدي ١٦١ - ١٦٤ هـ / ٧٧٧ - ٧٨٠ م والتي استقرت بمقتضاها حدود الجوانب الأربعة من جهة وصارت الكعبة الشريفة تتوسط المسجد الحرام من جهة ثانية ^(٤) .

(١) أحمد فكري : المدخل ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .

(٢) ابن جبير : الرحلة - ص ٧٧ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة - ص ٩١ .

وانظر أيضا (ابن عبد ربه) حيث يذكر عن صفة المسجد الحرام ما نصه « صحفه كبير واسع .. وله ثلاث بلاطات محدقة به من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض » . ابن عبد ربه : العقد الفريد - ص ٢٨٢ .

وبدل هذا النص على أن التخطيط لم يتغير منذ أن شاهده (ابن عبد ربه) في الربع الأول من القرن ٤ هـ / ١٠ م وحتى شاهده (ابن بطوطة) قبل منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م .

(٤) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية - ص ٩٧ .

فوزية مطر : تاريخ عمارة الحرم المكي - ص ١٣٩ - ١٤٥ .

ومما له دلالة في هذا الصدد ما أشار إليه كل من ابن جبير وابن بطوطة من وجود لوحة تأسيسية في أعلى جدار البلاط الغربى تسجل عمارة المهدي ونصبها « أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين ، أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة » (١) .

ويمثل هذا التاريخ الوارد في النص ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م نهاية أعمال المهدي المعمارية ، وهو ما يتطابق مع ما هو باق من نصوص تأسيسية مسجلة على بعض أعمدة المسجد الحرام التي لا تزال قائمة في الناحية الجنوبية على مدخل باب الصفا وهي تسجل عمارة المهدي للاسطواناتين (العمودين) لتكون علما لطريق رسول الله ﷺ الذي كان يسلكه إلى الصفا بعد الانتهاء من الطواف ليقترن به حجاج بيت الله الحرام وذلك في سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م . ويعتبر هذا النقش من أقدم النقوش الأثرية بالمسجد الحرام (٢) .

ونعتقد أن في هذا القدر الكفاية بعد أن تبين لنا بأدلة كثيرة قاطعة أنه لا فرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة كاصطلاح معماري ، ومادام الأمر كذلك فإنه يحق لنا أن نستبدل المصطلح المتداول والمعروف خطأ بالمجاز القاطع (٣) Transept بمصطلح الرواق الأوسط أو البلاط الأوسط (حيث أنه يتفق مع ماورد في المصادر التاريخية وكتابات الرحالة عند الحديث عن بلاطات (أروقة) مقدم المسجد سواء كانت عقود البائكات عمودية على جدار القبلة كما

(١) ابن جبير : الرحلة - ص ٧٧ - ٧٨ .

ابن بطوطة : الرحلة - ص ٩١ .

(٢) فوزية مطر : المرجع السابق - ص ١٤٦ - ١٥٣ .

(٣) فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ٢٤٣ .

عبد القادر الريحاوي : العمارة العربية - خصائصها وآثارها في سورية ص ٥١ .

عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية - ص ٣٤٩ .

ايمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد - ط ١ - القاهرة ١٩٩٢م -

ص ٣٩٠ .

حسنى نويسر : الآثار الإسلامية - ص ١٢٤ ، ١٧٤ ، ١٨٧ .

هو الحال فى المسجد الأقصى ومسجد القيروان ومسجد قرطبة (بل وغالبية
مساجد الغرب الإسلامى وبعض مساجد الشرق الإسلامى التى على هذا النمط
أو كانت موازية لجدار القبلة وتقطعها بلاطة (رواق) عمودية على جدار القبلة
كما هو الحال فى المسجد الأموى، وقد عبر عنها ابن جبير والحميرى (بالبلاط
الأوسط)^(١) والمقدسى وابن فضل الله العمرى بالوسط (أى الرواق الذى
يتوسط الآروقة الموازية لجدار القبلة)^(٢) وكما كان عليه الحال فى المسجد النبوى
الشريف فى الربع الأول من القرن ٤ هـ / ١٠ م كما أشار إلى ذلك ابن عبد
ربه وعبر عنها (موسطة البلاطات) أى البلاط الأوسط (الرواق) الذى كان
يقطع صفوف بئكات البلاطات الموازية لجدار القبلة ، وكان يبدأ من الصحن
وينتهى عند البلاط الأول (الرواق الأول) مما يأتى جدار القبلة حيث أنه كان
لا يشقه (أى يخترقه) على حد قوله .^(٣) وفى أحيان أخرى كان يكتفى
بالإشارة إلى اتساع هذا الرواق عن اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا ، واقتصر
البعض الآخر على تسميته ببلاط (أى رواق) المحراب وهو ما ظهر لنا من
استعراض النصوص التاريخية المختلفة ، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها .

أما عن مصطلح المجاز القاطع فهو ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبى Tran-sept
حيث اعتقد العلماء الأجانب أن هذا الرواق العمودى (البلاط العمودى)
إنما يحى ذكرى فناء البازيليكيات المسيحية أو قاعات الاستقبال فى القصور
الرومانية وهو الرأى الذى فنده (د . فكرى) بأدلة قاطعة فى أبحاثه المتعددة ،

(١) ابن جبير : الرحلة - ص ١٨٥ .

الحميرى : الروض المعطار - ص ٢٣٩

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم - ص ١٤٥ .

ابن فضل الله العمرى . مسالك الأبصار - ج ١ - ص ١٩٥ .

(٣) ابن عبد ربه . العقد الفريد - ج ٧ - ص ٢٨٨

وانتهى إلى القول بأن تشبيه بلاطة المحراب (أى الرواق الأوسط) يرحبه الكنيسة وفنائها لا أساس له من الصحة وأن بلاطة المحراب ليست مجازا فى بيت الصلاة (المقدم أو الحرم) وليست هى الممر الرئيسى لهذا البيت أو مدخل الشرف فيه اذ أن أبواب المسجد الكبرى قد فتحت فى جداريه الشرقى والغربى عن يمين المحراب ويساره ، ويدخل المصلون إلى بيت الصلاة من هذه الابواب اما مباشرة بالنسبة للابواب المفتوحة فى هذا البيت ، أو عن طريق الأبواب المفتوحة فى أروقة الصحن ، والأمر كذلك فى جميع المساجد الأولى الباقية ، ويضيف (د.فكرى) فيذكر أن السبب فى وجود هذا الرواق (البلاطة) يرجع إلى ضروره معمارية وهى تمهيد قاعدة مربعة لاقامة القبة التى تغطى المساحة المربعة التى تتقدم المحراب (١) على حين يرى البعض الآخر أن السبب فى ذلك هو تأكيد أهمية المحراب الذى يعين اتجاه القبلة الصحيحة نحو الكعبة المشرفة (٢) .

وأيا ما كان من أمر هذين الرأيين ، فإن الأمر الثابت والمؤكد هو أنه لم يرد فى المصادر المختلفة وخاصة الوثائق ما يفيد اطلاق هذا المصطلح - أى المجاز - على هذا الرواق الأوسط (البلاطة الوسطى) فى المسجد هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإنه يستفاد من تلك المصادر فضلا عن المعاجم اللغوية أنه كان يقصد بهذا المصطلح الدلالة على الممر أو الدهليز الذى يسلك من مكان لآخر سواء كان أرضيا أو علويا ، وفى بعض الأحيان كانت توضع به بعض المنافع والمرافق البسيطة كالمرحاض وبيت الازيار (المزملة أو المزيره) وفى هذه الحالة الأخيرة كان يزود بمنور (ملقف هواء) لتبريد المياه فى المزملة) .

وفى المساجد كان يقصد بهذا المصطلح الممر الذى يلى باب الدخول للمسجد وتكون أرضيته منخفضة عن أرضية الرواق أى مساوية لأرضية صحن

(١) أحمد فكرى : مسجد القيروان - ص ٣٠ - ٣٤ .

مسجد الزيتونة الجامع فى تونس - المجلة التاريخية المصرية - المجلد الرابع - العدد الثانى - القاهرة ١٩٥٢ م - ص ٧٥ - ٧٧ .

مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ - العصر الفاطمى ص ١٢٧ - ١٤٠ .

(٢) فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية - ماضيها وحاضرها ومستقبلها - ص ١١ .

المسجد كما هو الحال فى كل من مسجد الناصر محمد (بالقلعة) ومسجد الماردانى (بالتبانة) ومسجد شيخو (بالصليبة) ومسجد ميرزه (ببولاق) ومسجد الكخيا (على رأس شارع قصر النيل عند تقاطعه مع شارع الجمهورية) والمجازات الثلاثة بحرم (صحن) مسجد سليمان باشا (مسجد سارية الجبل) بالقلعة وغير ذلك .

وحدث تطور آخر لهذا المصطلح وخاصة فى المساجد التى تنتمى إلى التخطيط الذى اصطلاحنا على تسميته بالتخطيط ذى الأروقة دون الصحن ، حيث صار يقصد بهذا المصطلح الممر أو الرواق الأوسط الذى يصل بين بابى الدخول للمسجد كما هو الحال فى مسجد مراد باشا (بالموسكى) شكل (٢١٩) وبما أن أروقة هذا المسجد تسير موازية لجدار القبلة ، فإنه يمكن القول بأن مصطلح المجاز لا يقتصر مدلوله على الرواق العمودى على جدار القبلة فحسب كما أشار المرحوم حسن عبد الوهاب (١) ، وإنما كان يقصد به علاوة على ذلك الرواق الموازى لجدار القبلة .

وعلى ضوء هذا الاستنتاج يمكن القول بأن جميع أروقه المساجد وخاصة تلك التى صممت وفق التخطيط التقليدى المتأثر بتخطيط مسجد الرسول ﷺ ، سواء كانت موازية لجدار القبلة أو عمودية على ذلك الجدار هى مجازات فى

(١) حسن عبد الوهاب : المصطلحات الفنية - ص ٣٠ .

هذا ويلاحظ أن ما ذكره المرحوم حسن عبد الوهاب وأيضاً تعليق (د. المليجى) على هذا النص يعد استنتاجاً فى غير محله إذ ذكر أن تعريف المرحوم حسن عبد الوهاب (للرواق والمجاز) فى بحثه عن المصطلحات يتعارض مع ذكره فى وصفه للجامع الطولونى ذلك لأن بائكات مقدم ومؤخر الجامع تجرى من قبلى إلى بحرى (أى من الجهة الجنوبية الغربية إلى الجهة الشمالية الشرقية) .

أما بائكات جانبي الصحن فإنها تجرى من الشرق إلى الغرب أى من الجهة الجنوبية الشرقية (جهة القبلة) إلى الجهة الشمالية الغربية (البحرية) .

على المليجى : المرجع السابق - ص ٢٣ .

والصواب فى ذلك أن بائكات مقدم ومؤخر الجامع الطولونى تجرى من الغرب إلى الشرق أما بائكات المجنبتين فهى التى تجرى من قبلى إلى بحرى . (شكل ٢٠) .

نفس الوقت حيث يمكن للمرء أن ينتقل بيسر وسهولة عبر جميع الأروقة داخل مقدم المسجد ، بل وينتقل من رواق لآخر (فى مؤخره المسجد وفى المجنبتين) دون أن تطأ قدمه صحن المسجد وهو ما يتفق مع المدلول اللغوى لهذا المصطلح والذي ورد بشأنه هذا النص « جاز جوازا المكان وبالمكان سار فيه ، وجازا المكان تركه خلفه وقطعه وجاوز المكان تعداه ... المجاز والمجاز الطريق والمسلك والمعبر... »^(١).

مما تقدم يتضح أن المصطلح الذى رده كل من الرحالة والمؤرخين وهو (الرواق الأوسط) بالنسبة للمشرق الإسلامى (أو البلاط الأوسط أو البلاطة الوسطى) بالنسبة للمغرب الإسلامى يعد أنسب مصطلح للدلالة على ذلك الجزء الأوسط من أروقة (بلاطات) المسجد نظرا لارتباطه التاريخى به سواء فى المشرق أو فى المغرب من جهة فضلاً عن دلالة الواضحة بالنسبة للتخطيط من جهة ثانية .

د- البهو :

لهذه اللفظة دلالات اصطلاحية مختلفة^(٢) ، غير أن الذى يعنينا منها فى هذا البحث هو أنها مرادفة لمصطلح (البلاطة) فى الغرب الإسلامى ويستدل على ذلك من خلال ما أورده كل من الرحالة والمؤرخين ، ونذكر من بينهم (البكرى) عند حديثه عن زيادة إبراهيم بن أحمد الأغلبى بقوله « وبنى القبة المعروفة بباب البهو على آخر بلاط المحراب .. »^(٣) (شكل ٨) .

وما أورده المقرئ ، نقلا عن ابن الفرضى وغيره ، عند حديثه عن جامع مدينة الزهراء ٣٢٩هـ / ٩٤٠م الذى جاء فى غاية الاتقان على حد قوله ، فذكر

(١) ابن منظور : لسان العرب - مادة جوز .

المنجد فى اللغة والأعلام - مادة جاز .

(٢) عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية - ص ٩٢ .

Dozy, Op. Cit., pp. 123 - 124 .

(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب - ص ٢٤ .

أنه يشتمل على « خمسة ابهاء عجيبة الصنعة وأن » وعرض البهو الأوسط من ابهائه من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعاً وعرض كل بهو من الأربعة المكتتفة له اثنا عشر ذراعاً ... » ويدل هذا النص على أن مقدم هذا الجامع كان يشتمل على خمسة بلاطات وهي التي عبر عنها بالابهاء أوسطها أوسعها وهو الذي عبر عنه بالبهو الأوسط . وكان لهذا الجامع بطبيعة الحال صحن مكشوف تتوسطه فواره فضلاً عن المنبر والمقصورة العجيبة الصنعة والصومعة أي المئذنة ^(١) .

وما أورده (المقرئ) ، نقلاً عن ابن سعيد نقلاً عن ابن بشكوال ، عند حديثه عن مسجد قرطبة (شكل ٩) بقوله « وعدد أبهائه عند اكتمالها بالشمالية (الصواب الشرقية) التي زادها المنصور ابن أبي عامر تسعة عشر بهواً وتسمى البلاطات ^(٢) » ولهذا النص الأخير أهمية خاصة فهو يدلنا بل ويؤكد على أن البهو مرادف للبلاطة وبالتالي فإن المقصود بقبة باب البهو في نص (البكري) هو القبة التي تعلو مقدمة البهو الأوسط (البلاط الأوسط) من عند الصحن ، وعلى ذلك يمكن القول بأن ما ذهب إليه (العالم الفرنسي سوفاجية) ^(٣) ، من أن لفظ البهو كان يطلق في بادئ الأمر على البلاطة الوسطى ثم أخذ ينكمش حتى أطلق على نهاية البلاطة فحسب لا أساس له من الصحة ، لأن الأبهاء هي مرادفة للبلاطات كلها وليس للبلاط الأوسط فحسب هذا من جهه ، ومن جهه ثانية فإن هذا النص الأخير يدلنا على أن قبة البهو إنما عرفت بهذه التسمية ليس لأنها مطلة على الصحن كما هو معروف . وإنما لأنها أضيفت في نهاية البهو الأوسط (أي البلاط الأوسط) من عند الصحن وظلت علماً عليه حتى بعد اختفاء مصطلح البهو كمرادف لمصطلح البلاطة ، ولذلك يمكن القول بأن بقاء

(١) المقرئ : نفح الطيب - ج ٢ - ص ١٠٠ وانظر أيضاً

أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة - الاسكندرية - ١٩٨٣ م - ص ٢١٥ - ٢١٧ .

Pavon (B.), Las excavaciones de le Mazquita de Madinat Al- Zahra, Madrid, 1966.

(٢) المقرئ : نفح الطيب - ج ٢ - ص ٨٧ .

(٣) Sauvaget (J.) La Mosquee Omeyyade de Medine Paris, 1947. pp.

واستمرار هذه التسمية (قبة البهو) حتى الآن إنما هو فى حد ذاته قرينه تاريخية تؤكد هذا التفسير .

ومن بين نماذج قباب البهو الباقية نذكر قبة البهو فى كل من مسجد القيروان ومسجد الزيتونة بتونس ، وقبة البهو بالجامع الأزهر بالقاهرة^(١) شكلا (١٩ ، ٨) أما عن استعمال هذا المصطلح - أى البهو - كمرادف لمصطلح الرواق فى مصر وأقطار المشرق الإسلامى ، فإنه يمكن القول بأنه لم تصادفنى فى المصادر المختلفة العديدة التى اطلعت عليها أية إشارة تفيد ذلك ، ولكن بما أنه قد ثبت أن البهو مرادف للبلاطة فى الغرب الإسلامى ، وأن هذه الأخيرة مرادفه للرواق فى

فى مصر والمشرق الإسلامى ، فإنه بالتالى يصح لهذا المصطلح - أى البهو - أن يكون مرادفا للرواق على أن يوضع بين قوسين وخاصة عند وصف مساجد مصر والمشرق الإسلامى .

هـ - الكور^(٢) :

لم تصادفنى هذه اللفظة ، حتى الآن ، الا فى مصدر واحد وهو الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمؤرخ القدس القاضى مجير الدين الحنبلى المتوفى ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م ويستدل من خلال ماورد فى هذا الكتاب أن هذا المصطلح يرادف مصطلح الرواق ، ويؤكد ذلك مجير الدين عند حديثه عن صفة للمسجد الأقصى وما هو عليه فى عصره « بقوله » ... فالجامع الذى هو فى صدره عند القبلة التى تقام فيها الجمعة وهو المتعارف عند الناس أنه المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة وتحت القبة المنبر والمحراب وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال وهو سبع أكوار (أى ارقة) متجاورة مرتفعة على العمدة الرخام والسوارى فعدة مافيه من العمدة خمسة

(١) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ - العصر الفاطمى ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب - مادة كور
Dozy , op. cit., vol . 2 pp. 496 - 497 .

منها ثلاثة وثلاثون من الرخام ومنها اثنا عشر مبنية بالأحجار وهى التى تحت
الجميلون وعمود ثالث عشر مبنى عند الباب الشرقى تجاه محراب زكريا ، وعدة
مافيهما من السوارى المبنية بالأحجار أربعون سارية، وسقفة فى غاية العلو
والارتفاع، فالسقف مما يلى القبلة من جهتى المشرق والمغرب مسقف
بالخشب الأوسط منها هو الجملون وهو أعلاها واثنان وهما الى جانب
الجميلون من المشرق والمغرب دونه ، وبقية الأكوار (الاروقة) وهى أربع اثنان
من جهة المشرق واثنان من جهة المغرب معقود ذلك بالحجر والشيد .. » (١)
ولهذا النص أهمية خاصة فهو يسجل ما كان عليه تخطيط المسجد الأقصى فى
أواخر القرن ٩هـ / ١٥م أى وقت وصف مجير الدين الحنبلى الذى فرغ من
تأليف كتابه فى سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م، وبما أن هذا الوصف يكاد يتطابق مع
التخطيط الحالى للمسجد الأقصى (شكل ٧) وعلى ذلك يمكن القول بأن
تخطيط المسجد لم يتغير منذ أواخر القرن ٩هـ / ١٥م وحتى الآن .

وهذا التخطيط عبارة عن سبعة اروقة متجاورة (وهى التى عبر عنها الحنبلى
بسبعة أكوار متجاورة) عمودية على جدار القبلة أوسطها أوسعها وأهمها وهو
المغطى بالجميلون ، أما الاروقه الأخرى فقد سقف رواقين منهما ، وهما اللذين
يليان الرواق الأوسط من الشرق والغرب ، بسقف خشبى أقل ارتفاعا عن سقف
الرواق الأوسط ذو الجملون ، والاروقة الأربعة الأخرى سقفت بالأقبية المتقاطعة،
وهو ما يتفق مع ما أورده (الحنبلى) بأنها معقودة بالحجر والشيد ، ومن
المعروف أن هذه العبارة الأخيرة يقصد بها ، كما يستدل من الوثائق العديدة ، أن
السقف مغطى بالقباب أو الأقبية ، وهذه الأخيرة - أى الأقبية - هى التى ماتزال
تغطى أو تسقف الاروقة الأربعة الجانبية للمسجد .

(١) مجير الدين الحنبلى : (القاضى مجير الدين أبو اليمن) الأنس الجليل بتاريخ القدس
والخليل ج ٢ - مصر ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦م - ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

مما تقدم يتضح أن مصطلح الكور هو المرادف والمقابل لمصطلح الرواق ،
ويؤكد ذلك نص آخر أورده (مجير الدين الحنبلي) بقوله « ولهذا الجامع عشرة
أبواب يدخل منها اليه من صحن المسجد فسبعة أبواب منها في جهة الشمال
وكل باب منها ينتهى الى كور (أى رواق) من الأكوار السبعة المتقدمة
ذكرها ... » (١) ، وهذا الوصف يتطابق أيضاً مع التخطيط الحالى حيث توجد
سبعة أبواب يفضى كل باب منها الى داخل كل رواق من أروقة المسجد وهذه
الأبواب فى الجهة الشمالية وتوجد كذلك ثلاثة أبواب فى جدار القبلة.

وإذا كان (مجير الدين) قد عبر عن الأروقة الداخلية للمسجد بالأكوار
كما سبق القول فإن ذلك لايعنى أنه أغفل ذكر مصطلح الرواق فقد عبر بهذا
السطح عن الرواق الخارجى (السقيفة) للمسجد بقوله « ويظهر الأبواب
السبعة رواق على سبع قناطر (أى عقود) وكل باب قبال (أمام أو تجاه)
قنطرة .. » (٢).

ويتفق هذا الوصف مع التخطيط الحالى للرواق الخارجى أى السقيفة التى
تتقدم المسجد من الجهة الشمالية . (شكل ٧) .

كذلك عبر (مجير الدين الحنبلي) بهذا المصطلح (أى الرواق) عن
الأروقة الخارجية (٣) المحيطة بالمسجد سواء الأروقة الشمالية أو الأروقة الغربية ،
وبعض هذه الأروقة لا سيما الشمالية) ترجع الى العصر الأيوبي أما الأروقة
الغربية فترجع الى العصر المملوكى وعليها نصوص تأسيسية بصيغة « أنشئ هذا
الرواق المبارك ... » (٤).

(١) مجير الدين الحنبلي : المصدر السابق ص ٣٦٨ .

(٢) المصدر نفسه - ص ٣٦٨ .

(٣) نفسه - ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٤) عارف العارف : تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى - ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

ومن المؤرخين المحدثين الذين نهجوا نهج (مجير الدين الحنبلي) مؤرخ القدس الشهير (عارف العارف) وذلك عند وصفه للمسجد الأقصى كما رآه عام ١٩٥٨ م بقوله « طوله من الداخل ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا وهو ممتد من القبلة الى الشمال في سبعة أكوار مرفوعة على ٥٣ عمودا من الرخام : ١٤ منها في الرواق الأوسط و ١٢ في الاروقة الثلاثة الشرقية و٨ تحت القبة و ١١ في جناح القبة من الشرق و ٧ في جناحها من الغرب وواحد في مقام الأربعين ، و ٩ سارية من الحجارة : ٤ منها تحت القبة ، ١٢ في الرواق الغربي و ٤ في الرواق الشرقي و ٣ في جناح القبة من الغرب والباقيات متفرقات هنا وهناك... » (١).

ويضيف في موضع آخر « والمسجد عبارة عن سبعة أروقة : ثلاثة من الشرق وأخرى مثلها من الغرب وواحد بينهما في الوسط ، والرواق الأوسط واسع ومرتفع سقفه من الخشب ركب بشكل أفقي .. فوق هذا السقف الخشبي جسر من حديد وفوق الحديد خشب تكسوه صفائح الرصاص .. » (٢) .

يتضح من خلال هذا الوصف مدى تطابقه مع وصف (مجير الدين الحنبلي) في أواخر القرن ٩هـ / ١٥م ، ويستثنى من ذلك اختلاف عدد الأعمدة والسواري وتغيير سقف الرواق الأوسط وكلها أمور لم تغير من جوهر التخطيط الداخلي للمسجد ، كذلك يلاحظ أن (الاستاذ عارف العارف) قد وصف المسجد بأنه عبارة عن سبعة أكوار في قول وسبعة أروقة في قول آخر مما يدل على أنهما مترادفين لبعضهما البعض .

(١) المرجع السابق - ص ١٨٤ .

(٢) نفسه - ص ١٨٥ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب - مادة عزب ، عبد الرحيم غالب : المرجع السابق - ص ٣٩٦ .
Dozy, Op. Cit., Vol. 2., p. 124 .

د. المعزبه :

لهذه اللفظة دلالات مختلفة (٣) غير أن الذى يعنينا منها فى هذا البحث ، هو أنها مرادفة لمصطلح الرواق فى المشرق الإسلامى ، ويستدل على ذلك من خلال كتابات بعض العلماء والدارسين السوريين المحدثين ومنهم (د.عفيف بهنسى ، د.عبد القادر الريحاوى) .

أما عن الأول فقد وصف العديد من المساجد الباقية ومنها كل من :

مسجد القيروان حيث قال « ومخطط المسجد مؤلف من صحن وحرم ويحاط الصحن باروقه مؤلفة من معزبتين ذات أقواس (أى عقود) حدوية تحملها أعمدة أما الحرم فمؤلف من سبعة عشر معزبه (أى رواقا أو بلاطا) قائمة على جدار المحراب مؤلفة من أقواس محمولة على أعمدة والمعزبه الوسطى (أى الرواق الأوسط أو البلاط الأوسط) هى أكثر عرضا وتتجه نحو المحراب الذى يقع فى منتصف الجدار القبلى .. » (١) . (شكل ٨) .

وعند وصفه لمسجد ابى دلف بسامرا (العراق) يقول (ويبلغ عدد الدعائم سبعة عشر تشكل خمسة معازب أما الجناح الأوسط فهو أكثر عرضا من الأجنحة الأخرى ويمتد على طول جدار القبلة حيث المحراب ممر هو بمثابة جناح مصالب لحرم الصلاة (٢) (شكل ١٣) .

وعند وصفه للجامع الطولونى (بالقاهرة) يقول « .. صحن محاط من جهاته الثلاث باروقه مضاعفة ، ويمتد من الجهة الجنوبية الشرقية الحرم وهو قليل العمق له ثلاثة أجنحة عرضانية يضم كل جناح سبع عشرة معزبه .. » (٣) (شكل ٢٠) .

(١) عفيف بهنسى : الفن الإسلامى - دمشق ١٩٨٥ م - ص ١٦٠ .

(٢) المرجع نفسه - ص ١٧٦ .

(٣) نفسه - ص ١٧٦ .

وعند وصفه لجامع الصالح طلائع (بالقاهرة) يقول « .. الحرم لا يحوى أكثر من ثلاثة أجنحة معترضة تقطعها معزبه محورية أكثر عرضا تزيد الممر الذى يؤدى الى المحراب فخامة » (١) (شكل ٢١)

مما تقدم يتضح أن (د. عفيف بهنسى) قد استخدم مصطلح المعزية كمرادف لمصطلح الرواق سواء كانت موازية لجدار القبلة أو عمودية على ذلك الجدار ، بل انه أطلق على الرواق الأوسط (البلاط الأوسط) مصطلح المعزية الوسطى هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فانه يلاحظ أنه استخدم المعزبه بمدلول آخر وهو المساحة المحصورة بين الأعمدة أو الدعائم وهى فى هذه الحالة يقصد بها جزء من الرواق وليس الرواق كله ويؤكد ذلك ما أورده بخصوص جامع أحمد بن طولون فهو يقول أن كل جناح (أى رواقا) يضم «سبعة عشرة معزبه» كما سبق القول ويؤكد هذا المعنى الأخير (د. الريحاوى) عند حديثه عن خصائص الطراز العثماني فى تخطيط المساجد السورية حيث يقول « ان الحرم أو المصلى أصبح يبنى على شكل قاعة مربعة مسقوفة بقبة كبيرة لها رقبة من طابق واحد كثيرة النوافذ وبذلك أصبح المصلى قليل الأعمدة والعضائد (أى الدعائم) التى كانت تقسمه الى أروقة ومعاذب » (٢).

يدل هذا النص على أن المعزبه جزء من الرواق وليس الرواق كله ، وأن هذا النوع من التخطيط كان سائدا فى سوريا قبل العصر العثماني .

أما عن استعمال هذه اللفظة كمرادف لمصطلح الرواق فى المشرق

(١) عفيف بهنسى : المرجع السابق - ص ١٨٣ .

ونضيف فنذكر أن وصفه لتخطيط كل من جامع ابن طولون والصالح طلائع يحوى الكثير من الأخطاء منها أن جامع ابن طولون يحوى خمسة أروقه وليس ثلاثة كما ذكر (سيادته) ، كما أن جامع الصالح طلائع لا يحوى بلاطة وسطى (معزبه محورية على حد قوله) وغير ذلك

(٢) عبد القادر الريحاوى : العمارة العربية الإسلامية - ص ٢١٤ .

الاسلامى ، فلم تصادفنى أية إشارة فى المصادر التاريخية المختلفة وفى وثائق الوقف العديدة تفيد ذلك ، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه ايجاد تفسير لعدم شيوع هذه اللفظة وتداولها بين المؤرخين والرحالة القدامى ، فضلا عن غالبية العلماء والدارسين المحدثين ، وفى ضوء ذلك لا يصح التعبير بهذا المصطلح عن أروقة (بلاطات) المسجد .

و- الجناح :

لهذا المصطلح دلالات مختلفة ،^(١) غير أن الذى يعنينا منها فى هذا البحث ، هو أنها مرادفة لمصطلح الرواق فى المشرق الاسلامى ، ويستدل على ذلك من خلال كتابات العلماء والدارسين العرب المحدثين فضلا عن بعض الدراسات الأجنبية المعربة . ومن بين الدراسات العربية الحديثة نذكر كل من دراسة (د. طاهر مظفر العميد) عن العمارة العباسية فى سامرا فهو يصف الحرم (مقدم المسجد) فى جامع أبى دلف بسامرا بقوله « وللحرم ست عشرة دعامة تكون سبع عشرة بلاطة وكل بلاطة تتكون من خمسة أقواس (أى عقود) .. وأمام هذه الأقواس السبعة عشر جناح عمقه ٦٠ ر ١٠ م يمتد على طول عرض الجامع ويقع بين جدار القبلة والصفوف الأخير من الحرم (بيت الصلاة) الموازية لجدار القبلة ويبدو أن مثل هذا الجناح ظهر لأول مرة فى الجوامع الاسلامية »^(٢) . (شكل ٤) .

ويلاحظ فى هذا النص أن (د. طاهر مظفر) قد أطلق على الرواق الأول مما يلى جدار القبلة ، وهو الموازى لهذا الجدار ، مصطلح الجناح ، أما (د. فكرى) فقد أطلق عليه مصطلح « أسكوب المحراب »^(٣) (شكل ١٤) ويتضح من

(١) ابن منظور : لسان العرب - مادة جنح .

Dozy, Op. Cit., Vol. 223., p. 224 .

(٢) طاهر مظفر العميد : العمارة العباسية فى سامرا - الجمهورية العراقية السلسلة الفنية (٣٢) - بغداد ١٩٧٦ م - ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) أحمد فكرى : المدخل - ص ٢٤٠ ، شكل ٩٨ .

دراسة أخرى أن هذا الرواق كان يشتمل على بئكتين موازيتين لجدار القبلة وتتقدمانه بحيث منعت احدهما بئكتات أروقة الحرم (المقدم) العمودية من أن تمتد حتى تلتقى بجدار القبلة (١). (شكل ١٥) والدراسة الثانية هي دراسة (د.عفيف بهنسى) وقد أكثر فيها من استخدام مصطلح الجناح كمرادف لمصطلح الرواق فضلاً عن مصطلح المعزية كما سبق القول.

وقد أشرنا الى بعض المساجد التي عبر عن تخطيطها بكل من مصطلحي الجناح والمعزية ونكتفى هنا بالإشارة الى بعض المساجد الأخرى التي عبر عنها بمصطلح الجناح ومنها المسجد الأموي بدمشق وقد وصفه بقوله « يتألف الجامع من صحن عرضاني ومن حرم ويحيط بالصحن من جهاته الثلاثة عدا الجنوبية أروقة عالية محمولة على أعمدة اسطوانية وعضادات (أى دعائم) أما الحرم فهو مؤلف من ثلاثة أجنحة عرضانية (أى أروقة موازية) وجناح متوسط معترض يصل بين المحراب والصحن (أى الرواق الأوسط المعروف خطأً بالمجاز القاطع كما سبق القول) (٢) (شكل ٥) .

ومنها المسجد الأقصى المبارك وقد وصفه بقوله « ومخطط حرم المسجد بسيط فهو مؤلف من جناح أساسى يتجه نحو القبلة والى جانبه جناحان صغيران، وتقوم القبة على مصلبة فى نهاية الجناح وقرب المحراب ، وعلى طرفى الجناحين مجازان فى كل طرف أنشأ فى العهد العباسى والفاطمى وكانت هذه حدود الجامع القديم ثم أنشئ بعد ذلك أربعة مجازات فى كل طرف من الشرق والغرب واتسعت بذلك حدود المسجد » (٣) (شكل ٧) .

(١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية - ص ٢٤٥ ، شكل ١٦٩ .

(٢) عفيف بهنسى : الفن الإسلامى - ص ١٥٥ .

(٣) المرجع نفسه - ص ١٤٩ .

ويتضح من هذا الوصف أن (د. بهنسى) قد أطلق على الأروقة السبعة للمسجد الأقصى مصطلحين في أن واحد وهما الجناح والمجاز ، أما الجناح فقد أطلقه على كل من الأروقة الثلاثة أى الرواق الأوسط والرواقين اللذين يليانه غربا وشرقا ، والمجاز فقد أطلقه على الأروقة الأربعة الأخرى المغطاه بالأقبية المتقاطعة .

من كل ماتقدم يتضح أن (د. بهنسى) له مصطلحاته الخاصة به والتي لا تتفق مع ماورد فى المصادر التاريخية أو فى وثائق الوقف من جهة ولا تتفق مع تخطيط المساجد نفسها من جهة ثانية وهو الأمر الذى نتج عنه التضارب والخلط والتخبط فى آرائه المختلفة .

كذلك فقد كثر استعمال هذا المصطلح كمرادف لمصطلح الرواق فى بعض الدراسات الأجنبية المعربة ومنها دراسة بعنوان : حول بعض المباني الإسلامية فى اليمن بقلم : بربارة فنستر ، وقد نقلها عن الألمانية د. عبد الفتاح البركاوى - ويلاحظ أن المترجم قد استعمل مصطلح الجناح للدلالة على أروقة المسجد والأكثر من ذلك فانه قسم كل جناح عدة مجالات ، والمجال فى نظره هو جزء الجناح الذى تحيط به الأعمدة أى بمعنى آخر المساحة المحصورة بين الأعمدة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب وإنما أطلق على الرواق الأوسط العمودى على جدار القبلة والموجود فى بعض المساجد اليمنية مصطلح جناح التصالب وأحيانا الجناح الأوسط (١) .

أما عن استعمال مصطلح الجناح كمرادف لمصطلح الرواق فى مصر وأقطار المشرق الإسلامى ، فلم تصادفنى أية إشارة فى المصادر المختلفة تفيد ذلك ، حيث كان يقصد بهذا المصطلح فى اليمن ميمنة وميسرة صحن المسجد (٢) .

(١) فنستر (بربارة) : حول بعض المباني الإسلامية فى اليمن - ترجمة عبد الفتاح البركاوى - المعهد الألمانى للآثار بصنعاء - ج١ - ١٩٨٢م - ص ٤٨ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٤ .

(٢) الحجرى : مساجد صنعاء - ص ٢٩ ، ٣١ .

هذا فى حالة تخطيط المساجد المتأثرة بتخطيط مسجد الرسول ﷺ وفى هذه الحالة يعد مصطلح الجناح مرادف لمصطلح المجنبه فى المغرب الاسلامى ، ومن المعروف أن الجناح أو المجنبه قد يشتمل على بائكة واحدة أو أكثر وبالتالى رواق واحد أو أكثر وعلى ذلك فالرواق يعد من مفردات تخطيط الجناح أو المجنبه وليس مرادفا لأى منهما هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فانه كان يقصد بمصطلح الجناح أيضاً الايوان الجانبى ويستدل على ذلك من وثيقة بيبرس الجاشنكير فقد ورد بها مانصه « بالايوان الكبير جناحين » (١) . أى ايوانين صغيرين على جانبى الايوان الأوسط الكبير الذى يتوسط صدره المحراب ، ويؤكد ذلك أيضاً ماورد فى وثيقة السلطان الغورى عند وصف الخانقاه بأنها « ذات قلب وجناحين بوسطها محراب يكتنفه عمودان رخاما وشباكان نحاسا مطلان على الحوش يقابلهما شباكان مطلان على القصبة العظمى (شارع المعز لدين الله الآن) وشباكان مطلان على الطريق المتوصل منه للجامع الأزهر » (٢) (اشكال ٢٠٣ ، ٢٠٩ - ٢١٠) .

وبمطابقة هذا الوصف مع التخطيط الحالى للخانقاه يتضح أن المقصود بالقلب هو الدرقاعة التى تتوسط الخانقاه والتى يتوسط صدرها المحراب ، وأن المقصود بالجناحين هو الايوانين الجانبين اللذين يشغلان كل من الضلعين

(١) وثيقة بيبرس الجاشنكير رقم ٢٢ محفوظة رقم ٤ بدار الوثائق القومية بكونينش النيل بالقاهرة (محكمة) .

(٢) وثيقة السلطان قانصوه الغورى (أوقاف رقم ٨٨٣)

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه أطلق على كل من هذين الجناحين فى بعض الوثائق مصطلح السدلتين أى الايوانين الصغيرين أيضاً ومن بينها وثيقة الأمير صرغتمش فقد ورد بها أن بالايوان القبلى مدرسته سلتان يمنه ونسره (شكل ١٥٨) .

عبد اللطيف إبراهيم : نصاب جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش - ص ١٤٣ .

محمد حمزه الحداد : المدخل إلى دراسة المصطلحات - ص ٨٠ ، لوحات ٣١ - ٣٢ .

الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى للقلب أى للدقاعة .

ويقابلنا نفس هذا المدلول فى المدارس اليمنية (شكلا ٥٩ ، ٨٠) حيث تحتوى كل مدرسة على مجلس قبلى ويطرفيه جناحان شرقى وغربى يغطى كل منهما القباب وهو ما يستدل عليه من خلال ما ورد فى الوقفية الغسانية فضلا عن المدارس الباقية (١) .

ويمكن أن نضيف مصطلحا جديدا يرادف مصطلح الجناح وقد أورده كل من المسعودى وياقوت الحموى وذلك عند حديثهما عن الطراز المعروف بالحيرى والكمين (على حد قول المسعودى) (٢) والحارى بكمين (على حد قول ياقوت) (٣) والمقصود بالكمين هنا هو الميمنة والميسرة حيث كان هذا الطراز يشتمل على قلب وجناحين أيضاً.

كذلك فقد ورد فى بعض النصوص التأسيسية بالمسجد الاقصى مصطلح الجناح بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الجناح المبارك » (٤) ، وهو مايستدل منه على أن المقصود بمصطلح الجناح هو الزيادة فى الجامع من أى

(١) القاضى إسماعيل الأكرع : المدارس الإسلامية فى اليمن - ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨ .

إبراهيم المطاع : المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن - ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .
مصطفى شبحه : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، ص ٩٠ ، ٩٥ ، ١٠١ - ١٠٢ .

آمال حامد المصرى : مدارس مدينة تعز باليمن فى عصر بنى رسول - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٥م - ص ١٠٧ - ١٦٢ ، ٢١٩ - ٢٢٢ ، ٢٥٧ - ٢٦٢ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب - ج ٤ - ص ٨٧ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان - ج ٣ - ص ٢٠١ .

(٤) عارف العارف : المرجع السابق - ص ١٦٧ .

أحمد عبد الرازق : أضواء على المسجد الأقصى وبعض الكتابات الأثرية فيه المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٢٧ - القاهرة ١٩٨١م - ص ١٠٤ .

جهة من جهاته سواء من الداخل أو من الخارج ، ومن المعروف أن مثل هذه الزيادات قد تشتمل على رواق أو أكثر وهو أمر له دلالة إذ يشير إلى أن الرواق يعد من مفردات تخطيط الجناح وليس مرادفاً له .

ويؤكد هذا التفسير أيضاً الجناح الشرقي الذي أضافه الملك المؤيد إسماعيل الملقب بأبي الفداء في الجامع النوري بحماه وهو المعروف بالروشن .

وقد أنشأه أبو الفداء ليكون معهداً علمياً ودينياً وبقيت الدراسة فيه لعهد قريب وكانت له أوقاف تكفيه وألحق به حوض ماء للسبيل وهو عبارة عن مساحة مستطيلة تشتمل على بلاطتين (رواقين) متلاصقتين تغطيهما القباب ..^(١) .

مما تقدم يتضح أن مصطلح الجناح لم يستخدم كمرادف لمصطلح الرواق في أى من أقطار الشرق الإسلامى ، وبالتالي فإنه لا يصح التعبير بهذا المصطلح (أى الجناح) عن اروقه (بلاطات) المسجد سواء كانت موازية لجدار القبلة أو عمودية على ذلك الجدار كما هو مشاهد في بعض المراجع العربية الحديثة فضلاً عن بعض الدراسات الأجنبية المعربة .

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم عرضه أن المصطلحات التي وردت في كتابات الرحالة قد شملت غالبية أنماط العمارة والعمران في مختلف الأقطار الإسلامية فضلاً عن العناصر المعمارية والزخرفية ، وتكاد تكون هذه المصطلحات متطابقة مع مثيلاتها التي وردت في المصادر التاريخية والوثائق المختلفة .

كذلك فقد ثبت من هذه الدراسة مدى أهمية كتابات الرحالة في دراسة وتوحيد المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية فمن جهة كان الرحالة لا يكتفى بالإشارة إلى المصطلح المتداول والشائع في بلده فحسب وإنما كان يشير إلى ما يقابله في البلاد الأخرى أثناء زيارته لها سواء كان متفقاً معه أو مختلفاً عنه

(١) أحمد غسان سبانو : مملكة حماه الأيوبية - دمشق ١٩٨٤م - ص ١٣٠ .

أو مرادفا له ، ومن جهة ثانية فإن أوصاف الرحالة للعمائر المختلفة وخاصة المساجد تكاد تطابق الواقع وهو ما أيدته المصادر التاريخية والوثائق فضلا عن الواقع المادي المتمثل في العمائر الباقية وما تحويه من نصوص تأسيسية .

ولما كانت هذه الدراسة قد ركزت على بعض المصطلحات التي لا تزال موضع خلاف بين الدارسين والباحثين ، وخاصة في مجال تخطيط المساجد والجوامع الإسلامية فقد أثبتت هذه الدراسة أهمية كتابات الرحالة في حسم هذا الخلاف من جهة ووضع المصطلحات العربية الصحيحة التي كانت شائعة ومتداولة وقتئذ من جهة ثانية وهي المصطلحات التي وردت أيضاً في الوثائق والمصادر التاريخية والنصوص التأسيسية سواء في المشرق أو في المغرب ، ومن هذه المصطلحات (المقدم - المؤخر ، المجنبتان) ونعتقد أنها أنسب المصطلحات للدلالة على عناصر تخطيط المساجد والجوامع في العمارة الإسلامية وذلك بدلا من المصطلحات الحالية المتباينة المستخدمة في الدراسات العربية على نحو ما بينا في هذا البحث .

أما بالنسبة للمصطلحات الأخرى المستخدمة في الدراسات العربية الحديثة للدلالة على مفردات تخطيط المساجد والجوامع وهي (الرواق والبلاطة والاسكوب والمعزبه والكور والجناح والبهو) فقد ثبت من هذه الدراسة عدة حقائق منها :

* أنه لا فرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة وأن كليهما مرادف للآخر فبينما انتشر مصطلح الرواق في مصر وأقطار المشرق الإسلامي نجد أن مصطلح البلاطة انتشر في أقطار المغرب الإسلامي ، وبالتالي فقد أمكن وضع تعريف جديد ثابت لكلا المصطلحين وهو أنه يقصد بهما - أي بالرواق والبلاطة - الدلالة على صفوف البائكات والمساحات المسقوفة المحصورة بينها سواء كانت عمودية على جدار القبلة أو موازية لذلك الجدار أو تتقاطع فيما بينها أي تسير عمودية وموازية لجدار القبلة في ذات الوقت .

* ان مصطلح الرواق الأوسط (أو البلاط الأوسط) هو المصطلح الشائع والمتداول فى كتابات الرحالة فضلا عن المصادر التاريخية الأخرى للدلالة على ذلك الجزء الأوسط من مقدم المسجد والذي يكون عموديا على جدار القبلة ويخترق الأروقة فيما بين المحراب والصحن ، وبذلك يعد هذا المصطلح أنسب من مصطلح المجاز القاطع المتداول فى الدراسات العربية والأجنبية الحديثة على السواء .

أما عن المصطلحات الأخرى (وهى الكور والبهو) فقد ثبت أنها مترادفات لكل من مصطلحي الرواق والبلاطة كما ورد فى كتابات الرحالة والمؤرخين الا أنه لم يقدر لها الذبوع والانتشار .

وبخصوص كل من مصطلحي (المعزبه والاسكوب) فقد ثبت أنه لم ترد عنهما أية اشارة فى كتابات الرحالة ولا فى المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ومن ثم فهما من الألفاظ الدارجة المتداولة فى بعض الأقطار الإسلامية كالمغرب وسوريا فضلا عن أن مدلولهما اللغوي والاصطلاحي يدل على أنهما مترادفات لكل من مصطلحي الرواق والبلاطة وبالتالي فإنه لا يصح شيوع التعبير بهذين المصطلحين أو على الأقل يكتفى بوضعهما بين قوسين .

وبالنسبة لمصطلح الجناح فقد ثبت أنه لم يرد عنه أية اشارة فى كتابات الرحالة ولا فى المصادر التاريخية والوثائق المختلفة تفيد أنه كان مرادفا لمصطلح الرواق أو البلاطه ، حيث أنه كان يقصد به اما ميمنة وميسره الصحن وإما الاشارة إلى حدوث اضافة أو زيادة فى المسجد من أى جهة من جهاته المختلفة ، واما كان يقصد به الاشارة إلى الايوانين الجانبيين ، وبالتالي فإنه لا يصح شيوع التعبير بهذا المصطلح للدلالة على الأروقة (البلاطات) .

وعلى ضوء ما تقدم توصى هذه الدراسة بضرورة توحيد المصطلحات المتعلقة بعناصر تخطيط المسجد ومفرداته المختلفة .

ونقترح أن يكون وصف المساجد التي صممت وفق التخطيط التقليدي المتأثر بتخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو التخطيط المصطلح عليه بالتخطيط ذى الاروقة (البلاطات) حول صحن أوسط مشتملا على المصطلحات التالية :

يتكون داخل المسجد أو الجامع من صحن أوسط ومقدم ومؤخر ومجنبتان ، ويشتمل المقدم على أكبر عدد من الاروقة بالنسبة لمصر وأقطار المشرق الإسلامى (البلاطات بالنسبة لأقطار المغرب الإسلامى) سواء كانت عقود البائكات تسير موازية لجدار القبلة غالبا ويخترقها أحيانا رواق أوسط (بلاط أوسط) أو تسير عمودية على ذلك الجدار ويكون الرواق الأوسط (البلاط الأوسط) غالبا أكثر الاروقة اتساعا وارتفاعا ، أما العناصر الثلاثة الأخرى ، وهى المؤخر والمجنبتان ، فتشمل على بعض الاروقة (البلاطات) التى يختلف عددها من مسجد لآخر سواء كانت موازية أو عمودية على جدار القبلة (اشكال ٣ - ٢١) .

أما عن وصف المساجد والجوامع الأخرى التى صممت وفق التخطيط غير التقليدي وهو التخطيط الذى اصطلحنا على تسميته بالتخطيط ذى الاروقة دون الصحن فنقترح أن يشتمل على المصطلحات التالية :

يتكون المسجد أو الجامع من مساحة مستطيلة أو مربعة تشتمل على رواقين (بلاطتين) أو أكثر يسيران موازيين لجدار القبلة أو عموديين على ذلك الجدار وهذا الوصف ينطبق على المدارس والجوامع والمساجد التى تكون مسقوفة بسقف مسطح كما هو الحال فى المدرسة الطبرسية بالأزهر وجامع مراد باشا بالموسكى (شكلا ١٩٨ ، ٢١٩) وغير ذلك .

أما فى حالة المساجد التى تكون مسقوفة بالأقبيه أو القباب أو كليهما معا . فيكون وصفها بأنها تشتمل على عدد من الاروقة (البلاطات) المتقاطعه . يختلف من مسجد لآخر حيث أن عقود البائكات تسير موازية وعمودية على

جدار القبلة في نفس الوقت حتى يمكن تسقيف المسجد بالقباب أو الأقبية أو كليهما كما هو الحال في كل من مسجد بوفتاته بسوسة ومسجد بلخ (بأفغانستان) ومشهد آل طباطبا (بعين الصيرة بالقاهرة) وغير ذلك من الأمثلة الباقية المنتشرة في المشرق والمغرب على السواء (أشكال ١١٠ - ١٣٧ ، ١٤٢ - ١٤٤).

وختاما فإذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فله الحمد وهو من وراء القصد خير معين وإن كنت قد قصرت ، فحسبى أن يكون هذا البحث لبنة صغيرة في مجال دراسة العمارة الإسلامية عامة. وأند يكون بمثابة صرخة مخلصة للدارسين والباحثين كي يتكاتفوا حتى يتم توحيد المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية منعا لاختلاف التعبير عنها من جهة وعدم حدوث اللبس والتخبط والاضطراب من جهة ثانية واحلال المصطلحات العربية الصحيحة محل المصطلحات الأجنبية من جهة ثالثة .

الفصل الثانى

عمائر الوزير قوجه سنان باشا (المتوفى ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥م)

الباقية فى القاهرة ودمشق

« دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وإصوله المعمارية »

نشر هذا البحث فى مجلة العصور بالملكة العربية السعودية التى تصدرها دار المريخ للنشر والانتاج الفنى - الجزء الأول المجلد التاسع - يناير ١٩٩٤ م .

وكان هذا البحث قد القى فى ندوة تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى التى نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة القاهرة فى الفترة ١ - ٣ سبتمبر ١٩٩٣ .

مقدمة

كانت الفتوحات العثمانية للأقطار العربية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، نقطة تحول خطيره ترتبت عليها نتائج بعيدة المدى سواء فى تاريخ الدولة العثمانية نفسها من جهة أو فى تاريخ تلك الاقطار من جهة ثانية .

وقد توفر على دراسة هذه النتائج وإبرازها عدد كبير من العلماء والباحثين الغرب والأتراك والاجانب على السواء وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالا لها قيمتها وأصالتها العلمية .

ولا يعنينا فى هذا المقام سوى ما ترتب على هذه الفتوحات من نتائج حضارية وخاصة فى مجال العمارة والفنون ، فإنه على الرغم من أن سياسة الدولة العثمانية ، وهى الخاصة بإبقاء الأوضاع على ما هى عليه ، قد ساهمت ، هى وعوامل أخرى عديدة فى احتفاظ كل قطر من الأقطار العربية بطرازه المحلى الموروث واستمراره خلال العصر العثمانى ، الا أن ذلك لم يحل دون تسرب الطراز العثمانى إلى تلك الأقطار من جهة وتبادل التأثيرات المعمارية والفنية بينه وبين الطرز المحليه من جهة ثانية .

وتعكس العمائر الباقية فى الأقطار العربية الشقيقه هذه النظرة بحق فمن جهة شيدت غالبية هذه العمائر وفق الطراز المحلى الذى كان سائدا ومنتشرا فى كل قطر فيها قبل الفتح العثمانى ، ومن جهة ثانية شيدت بعض العمائر الأخرى وفق الطراز العثمانى ومن جهة ثالثة حدث نوع من التطور المحلى لبعض العمائر التى شيدت وفق الطراز العثمانى ومما له دلالة فى هذا الصدد أننا لا نجد صدى لهذا التطور فى العمائر العثمانية نفسها سواء فى المدن التركيه أو فى مدن البلقان المختلفة . ومن جهة رابعة تبودلت التأثيرات المعمارية والفنية بين عمائر الطراز

المحلى والطراز العثماني في كل قطر من الأقطار العربية .

والحق ان عمائر الوزير سنان الباقية في القاهرة ودمشق تعد نموذجا صادقا يؤكد هذه النظره بحق ، ولذلك فقد وقع اختيارى على دراسة هذه العمائر في هذا البحث .

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتناول بالتفصيل دراسة هذه العمائر الباقية فهذا يحتاج إلى مجلد قائم بذاته ، ولذلك سوف نكتفى في هذا البحث بالدراسة التحليلية المقارنة لتخطيط هذه العمائر ، مع تتبع لاصول هذا التخطيط من جهة وما أدخل عليه من تطور محلى من جهة ثانية .

وينبغى قبل أن نتعرض لدراسة هذه العمائر أن نتناول بإيجاز جانبا من سيرة الوزير سنان باشا ونسلط الضوء على تاريخه وأهم أعماله ومآثره .

أولاً : نبذه تاريخه عن الوزير سنان باشا وأهم أعماله ومآثره :

يعد الوزير قوجه سنان باشا واحدا من أبرز الشخصيات التى أسهمت بدور كبير خطير الشأن فى تاريخ الدولة العثمانية فى الربع الأخير من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى . ونشير بادئ ذى بدء ، إلى أن سيرة ، سنان - قبل أن يظهر أمره - لا تكاد تتميز عن سيرة كثير من الباشوات العثمانيين ، ذلك أنه من المعروف أن تاريخ المراحل الأولى من حياة هؤلاء الباشوات قد اتسم بالغموض والابهام : اذ تضاربت روايات المؤرخين وتباينت أقوالهم حول أصلهم ونشأتهم الأولى ، وفى ضوء ذلك لا نتظر اجماعا على رواية واحدة بخصوص نشأة هؤلاء الباشوات بصفه عامه وسنان باشا بصفه خاصة (١) .

(١) لم يرد اسم سنان باشا كاملا الا فى حجة الوقف الخاصة بعمارة بمصر عامه وهولاق خاصة وهو : سنان باشا بن على بن عبد الرحمن .

حجة وقف سنان باشا (أوقاف رقم ٢٨٦٩) .

أما عن أصلة ومراحل نشأته الاولى فقد اختلفت الاراء وتباينت الاقوال فمن قائل أنه =

والثابت أن سنان باشا قد وافته المنية في أوائل شهر شعبان ١٠٠٤ هـ /
١٥٩٥ م وعمره يربو على الثمانين عاما كما ورد في بعض المصادر التاريخية (١).

= من أصل ألباني وأبوه فلاح من ديره في رواية أو من دلغينو في رواية أخرى وهناك من ذكر أنه جركسي الأصل ارنائوطي المولد والتربية ، وقيل أيضا أنه من أصل تترى وأنه ينتمي بصلة القرابة إلى الأمير المملوكي الشهير سيف الدين سلار نائب السلطنة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمتوفى ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م وبخصوص نشأته الأولى قيل أنه قد قدم إلى السراي سلطان كأحد أجلاب الدوشرمة Devsirme (أى أنه كان من بين الاطفال المسيحيين الذين يجمعون ويجندون لخدمة الدولة العثمانية) غير ان ورود اسمه كاملا في حجة الوقف ربما ينفي هذا القول ، ويدل في ذات الوقت على أنه ابن أحد المسلمين وهو على بن عبد الرحمن ، وان كان اسم ابوه يدل على أنه كان مسيحيا لم اسلم وتسمى بهذا الاسم .
عثمان زاده (نائب افندى) .

حديقة الملوك والوزراء (باللغة التركية) - استانبول بدون تاريخ ص ٥٢ .
ثريا (محمد) سجل عثمانى (باللغة التركية) - ج ٣ استانبول ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م ص ١٠٩ .

حسن قاسم : الميزات الاسلامية والاثار العربية في مصر والقاهرة المعزى ج ٦ - القاهرة ١٩٤٥ م - ص ٢٣ .

دائرة المعارف الاسلامية المعربة (مادة قوجه سنان باشا) .

Islam Ansiklopedisi , Art . Sinan Pasa .

(١) عثمان زاده : حديقة الملوك والوزراء - ص ٥٥ .
الحبى (محمد) : خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادى عشر - ج ٢ - المطبعة الوهبية بمصر - ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م - ص ٢١٦ .
كاتب جلى (مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة) ت ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧ م
فذلكة التواريخ (باللغة التركية) ج ١ - استانبول ١٢٨٦ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٦٩ م - ١٨٧٠ م ، ص ٦٩ .

نعيم (مصطفى) ت ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م
روضة الحين في خلاصة أخبار الخافقين المشهور بتاريخ نعيم (باللغة التركية) ج ١ - استانبول ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

دائرة المعارف الاسلامية المعربة (مادة سنان باشا) .

أوزتونا (يلماز) : تاريخ الدولة العثمانية - ترجمه عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الانصارى - ط ١ - استانبول ١٩٨٨ م - مج - ص ٤٠٧ ، ٤٢٤ .

Islam Ansiklopedisi , Art . Sinan Pasa .

وفي ضوء ذلك يرجع أنه ولد عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤ م أو قبل ذلك بسنوات معدودة أى خلال العقد الثانى من القرن ١٠هـ / ١٦ م .

ومهما يكن من أمر هذه المرحلة الأولى من حياة سنان باشا ، فإن نجمه بدأ يظهر خلال عهد السلطان سليمان القانونى ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ / ١٥١٩ - ١٥٦٦ م حيث أخذ يتدرج ويتقلب فى الوظائف والمناصب المختلفة ، ومنها أنه عين فى بادئ أمره جاشنكير باشى^(١) للسلطان سليمان القانونى ، ثم لم يلبث خلع عليه بالاماره وأنعم عليه بتربية صنجق بك (أمير لواء) وتولى حكم بضعة صناجق (ألوية) هى على التوالى : سلاطيه (فى الأناضول الوسطى) وقسطنطينى (فى الأناضول الغربى) وغزه وطرابلس الشام^(٢) .

وبعد ذلك رقى سنان باشا إلى رتبة بكربكى (ميرميران ، أمير الأمراء) وتولى حكم كل من إيالتى ارضروم (فى الأناضول الشرقية) وحلب^(٣) .
وعندما جلس السلطان سليم الثانى ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤

(١) جاشنكير باشى : تعنى رئيس أو كبير الجاشنكيرية أى من يتولون مهمة تلوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان نخشة أن يكون مسبوما .

حسن باشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية - ج١ - القاهرة ١٩٦٥ م - ص ٣٤٤ .

أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجيزى من الدخيل - القاهرة ١٩٧٩ م - ص ٣٦ (مادة الباش) .

(٢) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٢ .

نرها : سجل عثمانى ص ١٠٩ ، دائرة المعارف الإسلامية المعربة (مادة سنان باشا) .

حسن قاسم : المرجع السابق - ص ٢٣ .

(٣) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٢ .

نرها : المصدر السابق - ص ١٠١ ، حسن قاسم المرجع السابق - ص ٢٣ ، دائرة المعارف الإسلامية المعربة (مادة سنان باشا) .

م على عرش السلطنة العثمانية فوض إلى سنان باشا حكم ولاية مصر للمرة الأولى ، وقد استمرت هذه الولاية ما يقرب من عشرة أشهر وذلك فيما بين شعبان ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م وجمادى الآخرة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م (١) . وقد منح السلطان سليم الثانى بكل بكى مصر سنان باشا براءة تعيينه سردارا (قائدا عاما) على العساكر المرسله إلى اليمن وأنعم عليه برتبة الوزراء وذلك فى ٢١ صفر ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م .

وبذلك يكون سنان باشا قد قضى ما يقرب من أربعة أشهر فى اعداد حملته

-
- (١) الاسحاقى (محمد عبد المعطى بن أبى القتح) ت ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م
أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من ارباب الدول - مصر ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م ص ١٥١ .
- البكرى (محمد بن محمد أبى السرور البكرى الصديقى) ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م
المنح الرحمانية فى تاريخ الدولة العثمانية - مخطوطة - (دار الكتب المصرية رقم ١٩٢٦ تاريخ) - ص ٤٠ .
- النزه الزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزیه - مخطوطة (دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢٦ تاريخ) ص ٢٥ .
- الكواكب السائرة فى اخبار مصر القاهرة - مخطوطة - نسخة مصورة عن نسخة المتحف البريطانى محفوظه بمعهد المخطوطات العربيه (رقم ٤١٩ تاريخ) - ص ٢٦ .
- بن يوسف (مرعى) .
نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين - مخطوطة - نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربيه (رقم ١٢٨٣ تاريخ) - ص ١٧٧ .
- بن الوكيل (يوسف أفتدى الملوانى) .
تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب - مخطوطة - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (رقم ٥٦٢٣ تاريخ) ص ١٥٨ .
- بن عبد الفتى (أحمد شلى)
أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ المعنى - تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٧٨ م - ص ١١٦ .

وتجهيزها بالجنود والاموال والمؤن والسلاح علاوة على خطوات تأمين الطريق الذي ستسلكه الحملة وذلك فيما بين ٢١ صفر و ١٧ أو ١٨ جمادى الآخرة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م وهو تاريخ بداية سير الحملة عن طريق البر بقيادة سنان باشا (١) .

وقد نجحت حملة سنان باشا ٩٧٦ - ٩٧٨ هـ / ١٥٦٨ - ١٥٧٠ م في تحقيق أهدافها وتثبيت الوجود العثماني في اليمن (٢) ، بعد أن كادت جذوره تقتلع على يد الزيديين بزعامة المطهر بن الامام شرف الدين (٣) .

(١) محمد عيسى صالحه : وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن - (حوليات كلية الاداب - جامعة الكويت - الحولية الثامنة - الرسالة الثانية والاربعون ١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م) ص ١٩ ، ٢١ ، ٥٦ .

(٢) كانت هذه الحملة موضع عناية العديد من المؤرخين والباحثين الذين تناولوها بالدراسة والتحليل ونذكر من بين هؤلاء ، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من : النهر والى (قلب الدين محمد بن أحمد) ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م .
البرق اليماني في الفتح العثماني - أشرف على طبعه حمد الجاسر ط ١ - الرياض ١٩٦٧ م ص ٢١٠ - ٤٤٣ .

بن المطهر (عيسى بن لطف الله) ت ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م .
روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح - ط ٢ - دمشق ١٩٨١ - ج ٢ - ص ١٦ - ٢٤ .

بن الحسين (يحيى) ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م .
غاية الاماني في أخبار القطر اليماني - تحقيق وتقديم سعيد عاشور - مراجعة محمد مصطفى زيادة - سلسلة تراثنا القاهرة ١٩٦٨ م - ق ٢ - ص ٧٢٣ - ٧٤٣ .
سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الاول لليمن - ط ٣ - القاهرة ١٩٧٨ م - ص ٢٥١ - ٣٠٢ .

اوزتونا : المرجع السابق - ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٣) هو المطهر بن الامام شرف الدين ينتهي نسبه الى الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكانت وفاته في رجب ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م .
بن المطهر : روح الروح - ج ٢ - ص ٢٨ - ٢٩ .

وهكذا تحقق على يد سنان باشا الفتح العثماني لليمن^(١) ، ولذلك اشتهر بلقب فاتح اليمن .

وعقب فتح اليمن أدى سنان باشا فريضة الحج ثم عزم على المسير إلى مصر ليتوجه منها إلى الباب العالي ، وبينما هو في الطريق إلى مصر ، جاءه رسول من السلطان يهنئه بهذا الفتح ويخبره بأن السلطان قد أنعم عليه بولاية مصر للمرة الثانية وذلك مكافأة له على ما لاقاه من المحن وما ناله من التعب أثناء حملته اليمن^(٢) .

وقد استمرت هذه الولاية الثانية نحو سنة واحدة وأحد عشر شهرا وذلك فيما بين صفر ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م وذى الحجة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م^(٣) .

وعندما عزل سنان عن ولاية مصر سافر إلى استانبول واستقبله السلطان وكبار الوزراء أحسن استقبال ، وعقب ذلك أنعم عليه السلطان باستمراره في

-
- (١) النهر والى : المصدر السابق - ص ٢٠٩ .
الاسحاقى : اخبار الاول - ص ١٥١ .
سلانيكى (مصطفى) ت ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م : تاريخ سلانيكى . ج ١ . استانبول ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م . ص ٩٥ .
سيد مصطفى سالم : المرجع السابق - ص ٢٥١ .
محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي - القاهرة ١٩٨٥ م - ص ١٣٤ .
عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر - ط ٥ - القاهرة ١٩٩٠ م . ص ٣٢ .
(٢) النهر والى : المصدر السابق - ص ٤٥٨ .
(٣) الاسحاقى : المصدر السابق - ص ١٥٢ .
البكرى : المنح الرحمانية - ص ٤١ ، النزعة الزهية - ص ٢٦ ، الكواكب السائرة - ص ٢٧ .
مرعى بن يوسف : نزعة الناظرين - ص ١٧٧ .
بن الوكيل : المصدر السابق - ١٥٨ .
بن عبد الغنى : المصدر السابق - - ص ١١٨ .

وظيفة الوزراء وعوائدها ورسومها وأمره بالجلوس في الديوان السلطاني مع الوزراء الكبراء^(١) .

ولما علم السلطان سليم الثاني نبأ احتلال الاسبان لتونس ٩٨١هـ / ١٥٧٣ م بادر على الفور بتجيش الجيوش ، وأنعم على سنان باشا بتعيينه سردارا (قائدا عاما) على العساكر السلطانية الذاهبه لفتح تونس وإستردادها من يد الاسبان^(٢) .

وقد نجحت حملته سنان باشا ٩٨٢هـ / ١٥٧٤ م في تحقيق أهدافها وتثبيت الوجود العثماني في تونس ، وقد أقام بها سنان باشا بعض الوقت ريثما يتم له تطبيق النظام العثماني في الحكم والاداره ثم عاد مره ثانيه إلى استانبول^(٣) . وهكذا تحقق على يد سنان باشا الفتح العثماني لتونس ولذلك اشتهر بلقب فاتح تونس ايضاً^(٤) .

(١) النهر والى : المصدر السابق - ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

(٢) المصدر نفسه - ص ٤٦٤ - ٤٦٧ .

(٣) كانت هذه الحمله موضع عناية العديد من المؤرخين والباحثين الذين تناولوها بالدراسة والتحليل ، ونذكر من بين هؤلاء ، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من : النهر والى : المصدر السابق - ص ٤٦٨ - ٤٧٣ . تاريخ سلافيكي ص ١١٥ .

المجيبى : خلاصة الاثر - ج٢ - ص ٢١٦ .

حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس - ط ٣ - تونس ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م - ص ١٣٠ - ١٣٣ .

اوزتونا : المرجع السابق - ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

دائرة المعارف الاسلاميه المعريه (مادي حلق الوادى) .

(٤) Islam Ansiklopedisi , Art . Sinan Pasa .

Schwarz (K) undkurio (K) Die stifungen des Osmanischen Grobwesires Koga Sinan Pasca (gest . 1569) in Usungaova / Bulgarien , Berlin , 1983 . P . 2 .

وعقب عودة سنان باشا من تونس إلى استانبول ٩٨٢هـ / ١٥٧٤ م رقى إلى منصب وزير القبه (قبه وزيرى) (١) .

وخلال عهد السلطان مراد الثالث ٩٨٢ - ١٠٠٣هـ / ١٥٧٤ - ١٥٩٤ م ارتفع شأن سنان باشا وعلت مكانته وزاد نفوذه بدرجة كبيرة ففى عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨ م صار الوزير الرابع فى الديوان ثم الوزير الثالث فى العام التالى أى ٩٨٧هـ / ١٥٧٩ م (٢) .

وفى عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠ صار الوزير الثانى فى الديوان ، وتم تعيينه سرداراً (قائدا عاما) للجيش العثمانى فى حربه ضد الصفويين (٣) التى كانت قد بدأت بالفعل قبل ذلك بعامين أى فى عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨ م (٤) .

(١) دائرة المعارف الاسلاميه المعريه (مادة سنان باشا) .

وعن استحداث نظام وزراء القبه وأهميته انظر :

عبد العزيز الشناوى : الدوله العثمانيه - دوله اسلاميه مفترى عليها - ج١ - القاهره ١٩٨٤ م - ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

اوزتونا : المرجع السابق - ج٢ - استانبول ١٩٩٠م - ص ٣٤٠ .

(٢) اوزتونا : المرجع السابق ج١ - ص ٣٩٩ ، ٤٠٦ .

(٣) عثمان زاده : حديقته الملوك والوزراء - ص ٥٣ .

دائرة المعارف الاسلاميه المعريه (مادة سنان باشا) .

حسن قاسم : المرجع السابق - ص ٢٣ .

اوزتونا : المرجع السابق - ج١ - ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

Islam Ansiklopedisi , Art . Sinan Pasa .

(٤) عن أحداث هذه الحرب وتفاصيل المعارك وما انتهت اليه انظر ، على سبيل المثال لا الحصر ، كل من :

بديع جمعه وأحمد الخولى : تاريخ الصفويين وحضارتهم - ج١ ط١ - ١٩٧٦م - ص ١٦٨ - ١٧٨ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ .

محمد عبد اللطيف هريدى : الحروب العثمانية الفارسيه وأثرها فى انحسار المد الاسلامى عن أوربا ط١ - القاهره ١٩٨٧م - ص ٧٠ - ٧٢ .

اوزتونا : المرجع السابق - ص ٣٩٨ - ٤٢٢ .

غير أنه في شهر ربيع الأول من نفس العام أي ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م توفي
الصدر الأعظم أحمد باشا ومن ثم تولى سنان باشا الصدارة العظمى للمرة الأولى
في حياته (١) ، ومنذ هذا التاريخ وحتى وفاته في شعبان ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م
ارتقى سنان باشا هذا المنصب الخطير خمس مرات متفرقة ومجموع صداراته
التحس بلغت ما يقرب من سبع سنوات ونصف سنة . وفي عام ٩٩٠ هـ /
١٥٨٢ م سخط السلطان مراد علي سنان باشا فعزله من منصبه وأمر بنفيه إلى
ديموتيقا ثم إلى ملغره (٢) ، وبقي في هذه الأخيرة حتى شهر ذي الحجة
٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م ، حين نجح في أن يستبدل بنفيه إلى ملغره ولايته على
دمشق وكان الفضل في ذلك راجع إلى نفوذ الحريم وما بذله من هديه قدرها
١٠٠٠٠٠ دوقات (٣) .

وقد استمرت ولاية سنان باشا على دمشق نحو سنتين ونصف سنة وعدة أيام .
وذلك فيما بين ذي الحجة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م وجمادى الآخرة / ١٥٨٨ م (٤) .

(١) عثمان زاده : حديقة الملوك والوزراء - ص ٥٣ .

المحبي : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢١٦ .

تاريخ سلاتيكي ص ١٦٩ .

(٢) تاريخ سلاتيكي - ج ١ - استانبول ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م ص ١٧٠ .

دائرة المعارف الإسلامية العربية - مادة سنان باشا .

(٣) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٣ .

دائرة المعارف الإسلامية العربية (مادة سنان باشا) .

(٤) بن جمعه المقار (محمد) توفي بعد منتصف القرن ١٢ هـ / ١٨ م .

الباشات والقضاة في دمشق - (نشرة وحققه صلاح الدين المنجد في كتابة عن ولاية

دمشق في العهد العثماني - دمشق ١٩٤٩ م) ص ٢٠ .

بن القاري (رسلان بن يحيى) ق ١٣ هـ / ١٩ م .

الوزراء الذين حكموا دمشق (نشر في كتاب المنجد المشار اليه سابقا) - ص ٧٣ .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ تولية سنان باشا على دمشق عند ابن القاري اضبط وأصح

كما أورده ابن جمعه .

وعقب عزله من ولاية دمشق عاد إلى استانبول وتولى منصب الصدر الأعظم للمرة الثانية بدلا من سياوش باشا الذي عزل بسبب ثورة الانكشارية الأولى (١) . وظل سنان باشا يشغل هذا المنصب حتى عزل في شوال ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م (٢) .

وفي شهر ربيع الأول ١٠٠١ هـ / ١٥٩٢ م حدثت ثورة الانكشارية الثانية مما أدى إلى عزل سياوش باشا من منصبه وتوليه سنان باشا صدراً أعظم للمرة الثالثة (٣) ، وانصرف منذ ذلك الحين إلى السعى في الفوز بانتصارات حربية في الغرب وخاصة في هنغاريا (المجر) فقد تولى بنفسه سردارية (القيادة العامة) الجيش العثماني في الحملة الهنغارية في ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م وقد نجحت هذه الحملة في الاستيلاء على كثير من الحصون والمعاقل فضلا عن فتح قلعة يانق ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ولذلك اشتهر بلقب فاتح يانق أيضاً (٤) .

(١) عن أسباب هذه الثورة والتي تليها ومجريات الاحداث انظر :

عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٣ .

نعيم : المصدر السابق - ص ٧٨ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ١٠ .

ابن الوكيل : تحفه الاحباب - ص ١٢٧ - ١٢٨ .

اوزتونا : المرجع السابق - ج١ - ص ٤٢٨ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية المعربة (مادة سنان باشا) .

حسن قاسم : المرجع السابق - ص ٢٤ .

(٣) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٣ .

نعيم : المصدر السابق - ص ٧٨ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ١٠ .

(٤) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٣ . ابن الوكيل : تحفه الاحباب ص ١٢٨ .

نعيم : المصدر السابق - ص ٨١ - ١٠٠ ، ١٠٧ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ١١ - ٣٥ .

اوزتونا : المرجع السابق - ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

وعندما جلس السلطان محمد الثالث ١٠٠٣ - ١٠١٢ هـ / ١٥٩٤ - ١٦٠٣ م على عرش السلطنة العثمانية عقب وفاة والده السلطان مراد الثالث في جمادى الأولى ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م أمر بتوليته فرهاد باشا منصب الصدر الأعظم بدلا من سنان باشا الذى عزل من منصبه فى جمادى الآخرة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ونفى إلى ملغره ، غير أن بقاءه فيها هذه المرة لم يدم الا بضعة أشهر سرعان ما عاد بعدها ليتولى منصب الصدارة للمرة الرابعة فى شوال من نفس العام أى ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ بدلا من فرهاد باشا (١) .

وفى هذه المدة قاده سنان باشا حملته إلى الافلاق (رومانيا) غير أن فشل هذه الحملة وما تكبده الجيش العثمانى من هزيمة وخسائر فادحة أدى إلى عزل سنان باشا من منصبه ونفيه إلى ملغره وذلك فى ربيع الأول ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م (٢) .

وشاءت الظروف أن يتوفى خلفه لالا محمد باشا بعد تعيينه صدرا أعظم بوضعه أيام ومن ثم فقد أرسل فى طلب سنان باشا من منفاه ليتولى منصب الصدارة للمرة الخامسة والآخرى (٣) .

(١) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٤ .

نعيم : المصدر السابق - ص ١١٤ ، ١٢٢ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٤ .

نعيم : المصدر السابق - ص ١٢٥ - ١٢٨ ، ١٣٥ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ٥٢ - ٥٥ ، ٦٧ .

ابوزونا : المرجع السابق - ص ٤٣٥ - ٤٣٧ .

(٣) المحيى : المصدر السابق - ج ٢ - ص ١١٦ .

عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٤ .

نعيم : المصدر السابق . ص ١٣٥ .

كاتب جلبي : المصدر السابق - ص ٦٧ .

وظل سنان باشا يشغل هذا المنصب مدة أربعة أشهر وأياما بقى خلالها يحث السلطان ويرغبه فى الغزو والجهاد فى جبهة المجر ، وأعد الجيش بالفعل لذلك الغرض ^(١) غير أنه توفى فى يوم الأربعاء الخامس من شهر شعبان عام ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م ودفن بترته باستانبول ^(٢) .

صفات سنان باشا وأخلاقه :

حظيت شخصية سنان باشا باهتمام كبير من قبل المؤرخين العرب ، وقد اجتمعت كلمتهم على الاشادة به ووصفه بأحسن الصفات وأطيب الخصال ومن هؤلاء نذكر كل من المحبى الذى ذكر أنه كان « وزيرا على القدر رفيع الهمه » ^(٣) .

وابن جمعه الذى ذكر أنه كان « عارفا عاقلا كاملا عادلا يحب الرعيه والفقراء والمساكين والأولياء والمجازيب وله خيرات كثيرة فى غالب البلاد » ^(٤) .
واكتفى بعض المؤرخين بالاشارة إلى مآثره الحميده وخيراته الجسيمة وآثاره النافعه فى غالب البلاد وهو ما سنشير اليه عند حديثنا عن عمائره وأوقافه ، ومن هؤلاء كل من : النهر والى والاسحاقى والمحبى والحموى والغزى ومرعى بن يوسف والبكرى وابن الوكيل وابن عبد الغنى وغيرهم .

(١) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٤ .

نعيم : المصدر السابق - ص ١٣٦ - ١٣٧ .

كاتب جلى : المصدر السابق - ص ٦٨ .

دائرة المعارف الاسلاميه العربيه (مادة سنان باشا) .

(٢) عثمان زاده : المصدر السابق - ص ٥٤ ، ٥٥ .

نعيم : المصدر السابق - ص ١٣٧ - ١٣٨ .

كاتب جلى : المصدر السابق - ص ٦٩ .

(٣) المحبى : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢١٤ .

(٤) ابن جمعه : المصدر السابق - ص ٢٠ .

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه قد اتفق فى وصف خلق سنان باشا المؤرخون العثمانيون (وخاصة على فى كنه الاخبار) والغرييون كل الاتفاق ، وكان يخشاه المبعوثون الاوربيون لدى الباب العالى ، وكانوا جميعا لا يستطيعون أن يردوا عليه تلك الردود الحاده السديده التى عرف بها المبعوث النمىوى الدكتور بارتولد بيزن .

ويتفق كذلك المقيمون البنادقة لدى الباب العالى جميعاً فى وصفهم لهذا الرجل القوى ومنهم كارزىونى وأنطيونو تيبولو وبرنارد ومورو وماتىوزين وغيرهم^(١) .

عمائر سنان باشا وأوقافه :

استطاع سنان باشا خلال سنى حياته أن يجمع مالا وفيرا وثروة طائلة ، وقد مكّنه ذلك من امتلاك العديد من العقارات والاطيان ، وبناء العديد من العمائر الحربية والدينية والمدنية المتنوعة الأغراض فى العديد من البلاد .

وفضلا عن ذلك ، كانت للوزير سنان باشا أوقاف وصداقات وخيرات كثيرة فى غالب البلاد جعلها لارباب الوظائف بعمائره المختلفة التى قام بانشائها أو تجديدها من جهة وعلى جميع لوازم ومهمات تلك العمائر من جهة ثانية فضلا عما كان يصرف للفقراء والمنقطعين والمجاورين وخاصة بمكة والمدينة وغير ذلك من وجوه البر والخير المختلفة .

وقد لفتت هذه العمائر وتلك الأوقاف أنظار المؤرخين فأشادوا بصاحبها ووصفوه بأحسن الصفات وأطيب الخصال ، ومن هؤلاء نذكر كل من المحبى الذى وصفه بأنه « صاحب الآثار العظيمة فى البلاد » وأنه « أكثر وزراء آل

(١) دائرة المعارف الاسلاميه العربيه - مادة سنان باشا .

عثمان آثارا وأعظمهم نفعا للناس»^(١). ومنهم الاسحاقى الذى ذكر أن له «مآثر جميله وآثار حميده وخيرات جسيمه لا تنقطع على توالى الايام وعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والشغور والبتادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله»^(٢).

ومنهم ابن جمعه الذى ذكر أن له «خيرات كثيره فى غالب البلاد»^(٣)، ولقبه بعض المؤرخين بلقب «صاحب الخيرات»^(٤). وذكر بعض المؤرخين الاتراك المحدثين أن سنان باشا ترك «أعمالا خيره تحير العقل»^(٥).

وختاما يكفى أن نشير إلى ما ذكره النهاروالى بأنه «لم يعهد أحد قبله من السلاطين والوزراء فعل مثل هذه الخيرات والمآثر التى صدرت منه»^(٦).

أما عن عمائر سنان باشا المتعدده والمتنوعه الأغراض فقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت «تنوف على المائه»^(٧)، وذكر البعض الاخر أن سنان باشا قد بنى مالا يقل عن أربعين مسجدا جامعا فى مناطق مختلفة^(٨).

(١) المحبى : المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٢) الاسحاقى : أخبار الأول - ص ١٥٢ .

(٣) ابن جمعه : المصدر السابق - ص ٢٠ .

(٤) بن القارى : المصدر السابق - ص ٧٣ .

الشرقاوى (عبد الله) : تحفه الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين (على هامش أخبار الاول للاسحاقى) - ص ١٥٢ .

(٥) اوزتونا : المرجع السابق - ج ١ - ص ٤٠٧ .

(٦) النهر والى : البرق اليماني - ص ٤٥٦ .

(٧) المحبى : المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٨) عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر - من الفتح العثمانى إلى حمله نابليون بونابرت - ط ٢ - دمشق ١٩٦٨م - ص ١٥٣ . (نقلا عن : الغزى : لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادى عشر) .

والحق ان عمائر سنان باشا الباقية في العديد من المدن العربية والتركية والاوربية فضلا عن وثائقه العديدة المحفوظة في مصر وتركيا وأوربا^(١) ، تثبت وتؤكد صدق ما ورد في المصادر التاريخية .

ونستطيع في ضوء ما ورد في الوثائق والمصادر التاريخية فضلا عن العمائر الباقية أن نحصر عمائر وأوقاف سنان في بضعة دول وذلك على النحو التالي :

أ - مصر : كانت لسنان باشا عمائر وأوقاف كثيرة في القاهرة والاسكندرية ودمياط والسويس وبنى سويف والغربية والقليوبية والمنوفية وغير ذلك .

وهذه العمائر هي :

- مدينة القاهرة : وقد تركزت أغلب عمائره ببولاق وتنحصر في جامع وحمام وسبيل ومكتب للسبيل وثلاث خانات وبيت للقهوة وبيت للسكن ، أما بقية عمائره فمنها بيت كبير كان يطل على بركة الفيل بالقرب من قناطر

(١) حجة وقف سنان باشا (أوقاف رقم ٢٨٦٩) .

Schwarz , Op . Cit , pp . 37 - 66 .

وفيه دراسته ونشر لوثيقة سنان باشا المحفوظة في دار الكتب ببرلين والخاصة بعمائره وأوقافه في أوزنجه أو (أوزانكوف) في بلغاريا

OZ (T) , Topkapi sarayi muzesinde Yemen Fatihi Sinan Pasa arsivi , in : Belleten , X (1946) PP . 171 - 193 .

وهذا البحث يتناول دراسة وصفية لارشيف سنان باشا الذي وجد بداخل تربته باستانبول ثم نقل منها إلى متحف طويقا بوسراي ، ويضم هذا الارشيف ٢٥٠ وثيقة من كافة الانواع .

Kalesi (H) , Veliki vezir Kodza Sinan - Pasa . njegove zaduzbine i njegova vakufnama , i : Gjurmme Albanolo Jike , 2 , (1965) PP . 106 - 143 .

وهذا البحث يتناول دراسته ونشر لوثيقة سنان باشا المؤرخة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م والخاصة بعمائره وأوقافه في بعض المدن مثل اسكوب وغيرهما

السباع (ميدان السيدة زينب الآن) ومنها المدرسة السنانية بشارع الصنادقية بالازهر .

- المدن المصرية الأخرى : كانت لسنان باشا عدة عمائر فى بعض المدن المصرية ومنها خان بالسويس ، وبالإسكندرية مسجد وسوق وحمام فضلا عن إعادة حفر الخليج الذهاب إلى الإسكندرية وما ترتب على ذلك من منافع عظيمة ، ومنها حمام بينى سويف ، ومنها جامع بيندر القصير وغير ذلك من العقارات والأوقاف فى بعض المدن الأخرى بالوجهين القبلى والبحرى^(١) ، هذا ولم يتبق من عمائر سنان باشا المتعددة بمصر سوى الجامع والحمام ببولاق .

ب - سوريا : كانت لسنان باشا عدة عمائر وأوقاف كثيرة فى دمشق وحلب وغيرهما من مدن الشام^(٢) ، وأهم هذه العمائر عمائره بمدينة دمشق

(١) حجة وقف سنان باشا : (أوقاف رقم ٢٨٦٩) .

النهر والى : البرق اليماني - ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

الاسحاقى : أخبار الاول - ص ١٥٢ .

المحبى : خلاصة الاثر - ج٢ - ص ٢١٤ .

مرعى بن يوسف : نزعة الناظرين - ص ١٧٧ .

ابن الوكيل : تحفة الاحباب - ص ١٥٨ .

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديده لمصر القاهرة - ج٥ - ط٢ - القاهرة ١٩٨٦ م - ص ٤٩ - ٥٢ .

(٢) المحبى : المصدر السابق ص ٢١٤ .

اوزونا : المرجع السابق - ج٢ - ص ٧٩٨ - ٧٩٩ ، ٨١٠ .

Schwarz, Op . Cit, P . 3 .

Heyd (.) , Ottoman documents on palestine, 1552 - 1615 .

Astudy of the Firman according to the Muhimme Defteri, Oxford 1960 , (Appendix II.)

وتتضم جامع وحمام وسبيل ومكتب للسبيل وسوق^(١) .

ج - مكة : كانت لسنان باشا عدة عمائر وخيرات كثيرة بمكة منها
تعمير وتجديد سبيل التنعيم للمعتمرين واجراء الماء اليه من « بئر بعيدة يجرى
منها الماء إلى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالحصى والنوره وعين لها خادما
يستقى من البئر ويصب من الساقية فيصل الماء إلى السبيل ليشرب منه ويتوضأ
المعتمرون وعين لمصارف ذلك من ريع اوقاف له بمصر »^(٢) . ومنها أنه « بنى
حول المطاف الشريف وفرشه بالحجر المنحوت مثل فرش المطاف ، وكان هذا
المحل مميزا عن باقى المسجد بافريز دائر عليه من الطرف إلى الطرف وباطن الافريز
الى المطاف نحو ثلاثة أذرع كان مفروشا بالحصى الصغار كباقي المسجد ، وفرشه
بالحجر المنحوت مثل المطاف وانتفع المصلون بالصلاة فيه لملاسته وحسنه بالنسبة
لباقي المسجد ، فصار مثل المطاف الشريف ، الا أن بينه وبين المطاف افريز آخر ،
فيه وضعت الاساطين النحاس التي تعلق فيما بينها القناديل حول المطاف »^(٣) .
كذلك أمر بحفر عدد آبار في طريق المدينة المنورة في المقاطع والمعاطش وكانت

(١) المحيى : المصدر السابق ص ٢١٤ .

ابن جمعه : الباشات والقضاة في دمشق - ص ٢٠ ،

عبد القادر الريحاوى : العمارة العربية الاسلاميه - خصائصها وآثارها في سورية - دمشق
١٩٧٩ - ص ٢٢٦ .

Wulzinger (K.) und watzinger (C.) Damaskus, Die Islamische
stadt . Berlin und Leipzig, 1924 . PP . 68 80 .

Sauvaget (J.) , Les Monuments Historiques de Damas, Beyrouth
1932 PP . 81 , 84 - 86 .

(٢) المحيى : المصدر السابق - ص ٢١٥ .

(٣) النهروالى : البرق اليماني - ص ٤٥٥ .

عظيمة النفع لقوافل الزوار وغيرهم^(١).

د - تركيا : حظيت تركيا بالنصيب الاوفى من عمائر سنان باشا وأوقافه ولم يتبق من هذه العمائر سوى بضعة عمائر نكتفى بذكر بعضها وهى :

استانبول : تحتفظ استانبول حتى الان ببضعة عمائر لسنان باشا منها مسجدين أحدهما باسكدار ويرجع الى عام ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م ، والآخر فى أق ميدان ويرجع الى عام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م.

ومنها مجمع (كليت) سنان باشا ويضم مدرسة وسبيل وتربة وقد شيد هذه المجموعة المهندس داود أغا وعندما توفى سنان باشا فى شعبان ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م دفن بتربة هذه^(٢).

بورصة بنى شهرى : وبها مجمع (كليت) آخر لسنان باشا يضم جامع ومدرسة ومطبخ خيرى (عمارت)^(٣).

هـ - بلغاريا : كانت لسنان باشا عمائر وأوقاف كثيرة فى بلغاريا وخاصة

(١) المحبى : المصدر السابق - ص ٢١٦ .

النهرالى : المصدر السابق - ٤٥٦ .

(٢) Oz(t). Istanbul Gamileri, I. Gilt. Ankara,. 1962,s

43, II. Gilt, Ankara, 1965. S. 59.

Refik (A.) Turk Mimarlari, Istanbul, 1977. S. 64. Unsal (B.), Istanbul Turbeleri Uzerinde still Arstirmasi . In : Vakifler Dergisi, sayi. 16, Ankara, 1982, s. 85.

Reyhanli (T.) Bursa Yenisehrinde Koca Sinan Pasa (٣)

Gamive Imareti . Ataturk Universitesi Edebiyat Fakultesi Arastirma Dergisi, sati, 9 in: Memorian prof. Albert Louis Gabriel Ozel Sayisi. Ankara, 1978. Otuken (S.) , at. al., Turkiye de Vakif ABIDELER VEESKI ESERLER, IV, Ankara, 1986. S. 610-618.

فى مدينة أوزنجه أو (وتسمى الان أوزانكوكا) وكانت هذه المدينة فى ذلك الوقت أى سنة ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م عبارة عن خراب على حد قول (نعيما) أو صحراء على حد قول الوثيقة ، فأمر سنان باشا بعمارته فأنشأ فيها عدة عمائر منها جامع وخانين كبيرين وعدة دكاكين وطواحين وفرنين ومطبخ خيىرى (عمارت) وحمامين وغير ذلك (١) .

ولم يتبق من هذه العمائر سوى بقايا خان والمسجد إلا أنه حول إلى كنيسة منذ عام ١٩٠٦م (٢) .

و - دول ومدن أخرى : كانت لسنان باشا عدة عمائر وأوقاف كثيرة فى بعض الدول والمدن الأخرى ومنها تونس واليمن واليونان ورومانيا ومن المدن لارنده وملغره وسالونيك وميلجيك والقدس وطرابلس الشام وغير ذلك (٣) .

وأكتفى فى هذا المقام بالإشارة إلى عمائر سنان باشا فى كل من اليمن ورومانيا حيث أنها من نوع العمائر الحربية التى كانت ذات صلة بالفتوحات والحروب التى خاض غمارها سنان باشا سواء فى اليمن أو فى رومانيا .

- اليمن : أمر الوزير سنان باشا أحد أمرائه أن يعمر ما تهدم من قلعة شماط ويحفظها ويحصنها وذلك حتى لا يستولى عليها الزيديين ويحصنونها هم من جهة أو يكمن فيها قطاع الطريق لمنع القوافل التى ترد بالميرة اللازمة للعسكر من جهة ثانية (٤) .

(١) نعيما : المصدر السابق - ص ٨٢ - ٨٣ .

Schwarz, Op. Cit., pp. 3 - 5, 24 - 47 .

Ibid. p. 6. 8 .

(٣) راجع المصادر والابحاث الواردة فى هامش رقم ١ ص ١٠٠ من هذا الفصل .

(٤) النهروالى : البرق اليماني - ص ٤١٢ - ٤١٣ .

- رومانيا : أمر سنان باشا بتشديد قلعتين في رومانيا الأولى في بخارست والثانية في تاركوفيشته (على بعد ٧٥ كم في الشمال الغربي من بخارست)^(١).

وختاماً بقى أن نشير إلى أن سنان باشا في سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠ م قد أحيا المشروع القديم الذي كان يهدف إلى ربط البحر الأسود بخليج نيوميدية وذلك بحفر قناة بحر صبانجه إلى هذا الخليج ، ولكن يبدو أن هذا المشروع قد وُثِدَ بسبب الحروب^(٢).

نخلص من كل ما تقدم إلى القول بأن شهرة ومكانه سنان باشا لم تكن بسبب فتوحاته وحروبه وصداراته الخمس فحسب ، وإنما شاركت عمائره وأوقافه بتصيب كبير في تحقيق هذه الشهرة وتلك المكانة .. ويكفي للدلالة على ذلك أن نشير إلى ما ذكره المحبى من أنه - أى سنان باشا - كان « أكثر وزراء آل عثمان أثارا وأعظمهم نفعا للناس »^(٣).

ثانيا : عمائر سنان باشا الباقية في القاهرة ودمشق :

سبق القول بأنه لم يتبق من بين عمائر سنان باشا المتعددة بمصر عامة والقاهرة خاصة سوى الجامع والحمام ببولاق ، ولذلك سوف تقتصر الدراسة عليهما ، وعلى ما يماثلهما بدمشق - أى جامع وحمام سنان باشا بدمشق - أما العمائر الأخرى الباقية بدمشق ، وهى السبيل ومكتب السبيل والسوق ، فلا تدخل في نطاق هذه الدراسة ، وذلك لاندثار ما يماثلها في بولاق القاهرة .

(١) اوزتونا : المرجع السابق - ج١ - ص ٤٣٦ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية المعربة (مادتا سنان باشا ، صبانجه) .

(٣) المحبى : خلاصة الاثر - ج٢ - ص ٢١٤ .

١ - جامع سنان باشا في القاهرة ودمشق :

- جامع السنانية بالقاهرة :

يقع هذا الجامع بشارع السنانية ببولاق^(١) ، وقد أمر بإنشائه هو والمجموعة المعمارية الضخمة السابق الإشارة إليها ، الوزير سنان باشا في ٩٧٩هـ / ١٥٧١م أى خلال السنة الأولى من فترة حكمه الثانية ، إلا أنه لم يبق من هذه المجموعة سوى الجامع والحمام كما سبق القول .

(١) ظهرت جزيرة بولاق إلى الوجود في الطرح السادس للنيل الذي ظهر في عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١م ، وفي عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م صرح السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) بالعمارة والبناء في تلك الاراضى فتسابق الامراء والاجناد والكتب والتجارة والعامة في البناء وأنشأوا المنشآت المتنوعة الاغراض . ولزادت أهمية بولاق خلال العصر العثماني نظرا لكونها نفرا تجاريا هاما فضلا عما كان يتم فيها من حفلات استقبال الولاة العثمانيين الجدد اذا ما قدموا بحرا ، ومن ثم نما عمران بولاق وازداد اتساعها ، فقد حرص الباشوات والامراء وأعيان التجار وغيرهم على انشاء المنشآت المتنوعة الاغراض وتزخر المصادر التاريخية والوثائق المختلفة التي تعج بها دور المحفوظات بالقاهرة بإشارات كثيرة تكفى لكتابة عدة مجلدات عن بولاق التي بلغت عصرها الذهبي خلال العصر العثماني ثم في عهد محمد علي والخديوي إسماعيل انظر ، على سبيل المثال ، كل من :

المقريزي : الخطط - ج ٢ - ص ١٣١ .

جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل - ترجمة أيمن فؤاد سيد - ط ١ - القاهرة ١٩٨٨م - ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

هزول : القاهرة أصلها واتساع نطاقها (ملاحظات عن تأثير نهر النيل وتغيراته) - ترجمة محمود عكوش - مطبعة الاعتماد - القاهرة بدون تاريخ - ص ٩ - ١٠ .

محمد رمزي : الجغرافى التاريخية لمدينة القاهرة (شاطئ النيل تجاه مصر القديمة وما طرأ عليهما من التحولات من الفتح العربى لمصر إلى اليوم) - مجلة العلوم - السنة ٩ - المجلد ٤ - القاهرة ١٩٤٢م ص ٥٠٦ - ٥١٠ ، ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٨ ،

عبد الرحمن زكى : القاهرة - ط ١ ١٩٤٣م ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

Hanna (N.) an Urban Histoty of Bulaq in the Mamlík and Ottoman periods . le Caire, 1983. pp. 1 - 101 .

وقد حظى هذا الجامع منذ إنشائه باهتمام كبير سواء من قبل المؤرخين والرحالة^(١) أو من قبل العلماء والباحثين^(٢).

(١) من بين هؤلاء المؤرخين كل من الاسحاقى والبكرى والمجيبى والحموى والحموى وابن الوكيل ومرعى بن يوسف وابن عبد الغنى والجبرنى وعلى مبارك وقد أشرنا إلى أسماء مؤلفاتهم من قبل أما الرحالة فمن أهمهم كل من : النابلسى (عبد الغنى) ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م.

الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز - تقديم واعداد أحمد عبد المجيد مريدى - القاهرة ١٩٨٦م - ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

GELEBL (E), SEYAHATNAMEST, ONUNCU GILT, Istanbul, 1938. p. 293.

Franz pascha, Kairo, Leipzig, 1903 , 107 - 108 . (٢)

Briggs (m.) Muhammadan Architecture in Egypt and palestine, Oxford, 1924, pp. 138 - 139.

Devonshire (R.L.) L'Egypt Musulman et les Fondature de ses Minuments, paris, 1926.p. 122.

Hautecoeur (L.) et Wite (G.) Les Mosques du Caire. paris 1932, pp. 343 - 344. pauty (E.) L'Architecture Au Cairo Depuis La Conquete Ottoman (Bulletin de L'institut Francais D'Archellogie Orientale, Tome XXXVI, Le Cairo 1936. pp. 15 - 16 .

Williams (J.A.) the Monuments of Ottoman Cairo Colloque International Sur L'Histoiro du Cairo, 1969. p. 459.

Goodwin (G.), Ahistory of Ottoman Architecture, New - York,1987. p. 312 .

ومن العلماء والباحثين المصريين نذكر كل من :

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية - ج١ - القاهرة ١٩٤٦م - ص ٣٠٢-٣٠٥ .
سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٥ - القاهرة ١٩٨٣ - ص ١٣٨-١٤٠ .

محمد مصطفى نجيب : العمارة فى العصر العثمانى - بحث فى كتاب القاهرة مؤسسة الاهرام, ١٩٧٠م - ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

ويتكون تخطيط هذا الجامع (شكل ٢٤) من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٥ م ، ويتوسط صدر هذه المساحة (الضلع الجنوبي الشرقى) المحراب وعلى يساره المنبر الخشبي . وتوجد على جانبي المحراب دخلتان معقودتان يعقد مدبب ، يبلغ عمق كل دخلة منها ٢٢ ر٢ م وبصدر كل دخلة شباك من النحاس الأحمر يغلق عليه مصراعين من الخشب النقى ^(١) .

ويتوسط الضلع الشمال الغربى - تجاه المحراب - دخلة معقودة يعقد موتور يبلغ عمقها ٣٨ ر١ م وبصدر هذه الدخلة الباب البحرى للجامع وهو الآخر معقود بقصد موتور ويغلق على هذا الباب مصراعان من الخشب النقى . ويعلو هذا الباب دخلة معقودة يعقد مدبب تتقدمها دكة خشبية برسم المؤذنين ، وتوجد على جانبي هذا الباب دخلتان معقودتان يعقد مدبب بصدر كل دخلة منهما شباك من النحاس الأحمر يغلق عليه مصراعان من الخشب النقى ، ويوجد بالجهة اليسرى من دخلة الشباك الأيمن (بالنسبة للواقف تجاه الباب البحرى من داخل الجامع) باب يؤدي الى سلم حجرى مبنى فى سمك الجدار ويتوصل من هذا السلم إلى دكة المؤذنين وإلى الممشى أو الممر الذى يحيط بقمرىات رقبة القبة من الداخل . أما الضلعان الجانبيان فمتشابهين إذ يتوسط كل ضلع منهما دخلة معقودة يعقد مدبب يبلغ عمقها ٤٤ ر٢ م وبصدر هذه الدخلة باب للجامع معقود يعقد موتور ويغلق عليه مصراعان من الخشب النقى .

= هدايت تيمور : جامع الملكة صفية - رسالة ماجستير - غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٧ م - ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

سوزان محمد فتحى : وثائق وقف السلطان سليم الثانى وباشوات مصر فى عهده رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٨ م - ص ص ٩٣ - ١٠٦ ، ٣٩٤ - ٤٣٧ .

على المليجى : الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة أسيوط ١٩٨٠ م ص ص ٣٢٣ - ٣٣٥ ، ٤٢٠ - ٤٢٣ .

(١) يستفاد من حجة الوقف أن شبايك الجامع من النحاس الأحمر ، وإن جميع مصاريع الشبايك والابواب من الخشب النقى .

حجة وقف سنان باشا (أوقاف رقم ٢٨٦٩) .

وتوجد على جانبي هذا الباب ، بكل ضلع ، دخلتان معقودتان بعقد مدبب ، بصدر كل دخلة منهما شبك من النحاس الأحمر يغلق عليه مصراعان من الخشب النقي .

ويغطي هذا الجامع قبة حجرية ضخمة ^(١) تقوم على منطقة انتقال عبارة عن ثمانية عقود مدببة ، بواقع أربعة فى الأركان ومثلها فى الاواسط وذلك أعلى المحراب والدخلات الوسطى من كل ضلع ، وتحتصر فيها بينها - أى فى كوشاتها - مثلثات مقلوبة ، قممتها لاسفل وقاعدتها لأعلى ، خالية من حطات المقرنصات ، أما بالنسبة لعقود الأركان الأربعة فيحوى كل عقد منها بداخله عقد ثلاثى الفصوص (مدائنى) .

وبهذه الطريقة استطاع المعمار تحويل مربع القبة إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعا شغلت بالقمريات والمضاهايات ويعلو ذلك ممر أو ممشى مقرنص يحيط به درابزين خشبى ، ويلتف هذا الممشى حول قمريات الرقبة ويبلغ عددها ست عشرة قمرية من الزجاج الملون ، وتبدأ بعد ذلك صنججات القبة فى التكوير حتى القطب الذى تتدلى منه سلسلة لتعليق وسيلة الاضاءة الرئيسية بالجامع .

ويحيط بهذا الجامع من الخارج زياده ^(٢) يبلغ عرضها ٣٠م وهذه الزيادة

(١) أطلقت بعض الوثائق على هذا النوع من القباب مصطلح قبة مشايخي ومن هذه الوثائق وثيقة الأمير محمد بك أبو الذهب (أوقاف رقم ٩٠٠) ، ووثيقتا الأمير عبد الرحمن كتنخدا (أوقاف رقم ٤٦ ، ٩٤٤) الخاصة بعمائره التى قام بتجديدها مثل قبة المشهد الحسينى وقبنا الكردى والخواص بالحسينية .

(٢) ورد هذا المصطلح بحجة الوقف، كما ورد أيضا بحجة وقف الامير محمد بك أبو الذهب . حجة وقف سنان باشا (اوقاف رقم ٢٨٦٩) .

حجة وقف محمد بك أبو الذهب (أوقاف رقم ٩٠٠) .

هذا وتجدر الاشارة إلى أن بعض الوثائق الاخرى قد أطلقت على مثل هذه الزيادة التى تحيط بالجامع من الخارج مصطلح الخرجات (مفردا خرجة) كما هو الحال فى وثيقة الحاج عبد الباقي جوريجى المتعلقة بعمائره وأوقافه بالاسكندرية ومن بينها جامعته الشهير ، فضلا عن بعض الوثائق الأخرى المتعلقة بعمائر الاسكندرية الدينية .

انظر : حجة وقف الحاج عبد الباقي جوريجى - (اوقاف رقم ٢٣٨٣) .

عبارة عن ثلاثة أروقه تحيط بالجامع من ثلاث جهات ، عدا الجهة الجنوبية الشرقية (جهة القبلة) ويتوسط صدر كل من الرواقين الجانبيين ، الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي ، هيئة محراب صغير على جانبيه دخلتان معقودتان ، يصدر كل منهما شبك من النحاس كان يغلق عليه مصراعان من الخشب النقي ويغطي هذه الأروقة الثلاثة قباب ضحلة من الطوب المكسو بطبقة من الملاط يبلغ عددها أحد عشرة قبة بواقع ست قباب تغطي الرواقين الجانبيين ، ثلاثة بكل رواق ، وخمس قباب تغطي الرواق الشمالي الغربي (الرواق البحري) ، ولهذه الأروقة واجهات عبارة عن باثكات تتكون كل منها من عقود مديبه ، بعضها كبير والآخر صغير ، تتركز على أكتاف حجرية وأعمدة رخامية .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أن جوهره ، وهو المربع الذي تعلوه القبة ، لم يك شيئا مستحدثا في العمارة الإسلامية حيث أنه كان معروفا وشائعا قبل العصر الإسلامي بقرون عديدة ولا سيما في تصميم بعض الوحدات والأجزاء في العمائر المدنية وخاصة القصور فضلا عن العمائر الجنائزية كالمدافن والمزارات المختلفة كما هو الحال في جبانة البجوات بالدخلة في محافظة الوادي الجديد بجمهورية مصر العربية وغير ذلك ، وقد ظل هذا الإستخدام باقيا خلال العصر الإسلامي وتوجد منه نماذج رائعة فريدة ومبتكرة في العمارة الإسلامية عامة .

على أن إستخدام هذا النمط من التخطيط في تصميم مساجد أو جوامع قائمة بذاتها فضلا على بعض أنواع العمائر الدينية الأخرى كالزوايا والخوانق ، يعد بلا شك من الإضافات التي إستحدثها المعمار المسلم بل وقام بتطويرها وابتكار أنماط جديدة منها لم يسبق إليها .

هذا ويستدل من خلال بعض الإشارات المتناثرة في المصادر التاريخية المختلفة على أن هذا النمط من التخطيط (المسجد القبة) قد عرف وإستخدم منذ الفترة

المبكرة^(١)، غير أن أقدم أمثله الباقية توجد في المشرق الاسلامي ومن بينها نذكر كل من : مسجد يزدي - كاشت ، ومسجد ابرقوه ، ومسجد بيرون ومسجد قرقه في بلاد فارس^(٢). ومسجد الحديدية في قزوين (شكل ٢٦) ولم يلبث هذا التخطيط أن ذاع وانتشر في العمارة الاسلامية منذ أواخر القرن ١١هـ / ١١م وحتى النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م .

ومن بين النماذج الباقية التي ترجع إلى العصر السلجوقي في الاناضول نذكر على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من : مسجد طاش ٦١٢هـ / ١٢١٥م ومسجد بشاره بك ٦١٣هـ / ١٢١٦م ومسجد اردمشاه ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ومسجد قره طاي الصغير ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ومسجد صرجالي ويؤرخ بالنصف الثاني من القرن ٧هـ / ١٣م بقونية^(٣) (شكل ٢٧ - ٢٨) .

وتمتاز غالبية هذه المساجد بأنه يتقدمها رواق خارجي أو سقيفة غير أن بعض المساجد الأخرى التي تنتمي إلى هذا التخطيط تخلو من وجود هذا الرواق الخارجي ومن بينها ، على سبيل المثال ، مسجد كودوك منار في أقشهر ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م^(٤) .

(١) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م .
فتوح مصر وأخبارها - تقديم وتحقيق محمد صبيح - القاهرة ١٩٧٤م - ص ٨٦ - ٨٧ .
ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيمن العلالي) ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م .
الانتصار بواسطة عقد الامصار - ق ١ - بيروت بدون تاريخ - ص ٢٤ ، ٤٩ .
(٢) Ferrier (R.W.) The Arts of persia, Yale Univeristy Press, New Ha-
ven and London 1989. p. 81 .

(٣) أصلان آبا (أوقطاي)

فنون الترك وعمائرهم - ترجمة أحمد عيسى - استانبول ١٩٨٧م - ص ٩٠ - ٩١ - .
على المليجي : المرجع السابق - ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) Sonnez (z.) Anadolu Turk - Islam Mimarisinde Sanatci-
lar Ankara . 1989 , 46 - 250 . plan , 48 .

ونضيف على النماذج السابقة بعض المساجد الملحقه بالمدارس السلجوقيه^(١).

واستمر هذا النمط من التخطيط سائدا ومنتشرا في العديد من المدن الأناضولية خلال عصر الامارات التركمانية (عصر البكوات) ومن بين الامثلة العديدة الباقية نذكر على سبيل المثال وليس الحصر كل من : جامع نجار (Neccar) في قسطنونى ٧٥٤هـ / ١٣٥٣ م ، والجامع الكبير فى صندوقى ٧٨٠هـ / ١٣٧٨ م وجامع الياس بك فى بلاط ٨٠٧هـ / ١٤٠٤ م ، وجامع الشيخ مطر فى ديار بكر ٩٠٦هـ / ١٥٠٠ م ، وجامع لاله بك فى ديار بكر أوائل ق ١٠هـ / ١٦ م^(٢).

وقد استمر هذا النمط من التخطيط سائدا ومنتشرا فى العمارة العثمانية أيضاً (سواء فى عهد الامارة أو فى عصر السلطنة) واشتهر باسم طراز بورصة (أو بروسه) الاول على الرغم من أنه قد ساد وانتشر فى العديد من المدن سواء قبل فتح القسطنطينية ٨٥٧هـ / ١٤٥٣ م أو بعده .

والحقيقة التى يجب الا ننكرها فى هذا المقام هى أن المعمار المسلم عامة

(١) ومن أمثلة ذلك المسجد الملحق بمدرسة تاش فى اق شهر ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م والمسجد الملحق بمدرسة انجه مناره لى بقونه ٦٥٨ - ٦٦٣ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٦٥ م وغير ذلك . طلال محمد الشعبان : المدارس الباقية فى قونه والقاهرة خلال عصر سلاجقة الروم والممالك البحرية - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٥ م - ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

Kuran (A.) , ANADOLU MEDRESELERI , I . cilt, ANKARA , 1969 . 55 . 54 - 55 79 - 82 , sekil , 24 , 41 .
(٢) Yetkin (S . K ,) Islam Mimarisi . Ankara . 1959 , PP . 357 - 359 .

,Turk Mimarisi , Ankara , 1970 PP . 162 - 164 .

Sozen (M .) Diyarbakir Da Turk Mimarisi Istanbul . 1971 pp . 55 - 61 .

Sonnez, Op . Cit , pp . 339 - 340 , Plan 70 .

وخلال العصر العثماني خاصة لم يقف عند حد استخدام هذا الطراز بنمطه البسيط الموروث (المربع الذي تعلوه القبة وتتقدمه السقيفة غالبا ويخلو منها أحيانا) وإنما قام بتطويره والاضافة اليه وهو الأمر الذي نتج عنه ابتكار أنماط جديدة لم تكن معروفة من قبل وقد ظلت هذه الأنماط الجديدة تواصل تطورها في العصور اللاحقة.

ومن بين الامثلة العديدة الباقية لهذا النمط البسيط من التخطيط في العمارة العثمانية نذكر ، على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من : جامع حاجي أوزبك ٧٣٤هـ/١٣٣٣م ، وجامع حاجي حمزة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م في أزيق ، وجامع علاء الدين بك ٧٣٦هـ/١٣٣٥م ، ومسجد بايزيد (يلدريم) أواخر ق ٨هـ/١٤م في بروسه وجامع قوجه سنان باشا ٩٩٠هـ/١٥٨٢م في بروسه يني شهر . وجامع فيروز أغا ٨٩٦هـ/١٤٩١م وجامع ابراهيم باشا ٩٥٩هـ/١٥٥١م في استانبول^(١). (أشكال ٢٩-٣٢ ، ٤٤) وكل من : جامع بايزيد (يلدريم) في مودورنو ٧٨٤هـ/١٣٨٢م (شكل ٣٢) ، وجامع شعبان مصطفى باشا ٩٣٠هـ/١٥٢٣م في جبزة ، وجامع علي باشا

(١) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١٦٦ .

Gabriel (A) , Les Mosques De Contantinople . Syria , Tome VII, Paris , 1926, PP .

370 , 389,, Une Capital Turque Brousse , Bursa . Paris , Unsal (B.) Turkish Islamic Architecture in seljuk and Ottoman Times 1071 - n1923 .

New - York . 1973 pp. 20 - 21 .

Otuken , Op . Cit, pp . 204 - 205, 612 - 614 .

Goodwin, Op . Cit , PP . 17 - 18 , 166 167 , 243 - 244 .

Yetkin , Islam Mimarisi , p . 363 .

٩٤١-٩٤٤هـ/١٥٣٤-١٥٣٧م، وجامع اسكندر باشا
٩٥٨-٩٧٣هـ/١٥٥١-١٥٦٥م ، وجامع بهرام باشا ٩٧٢-
٩٨٠هـ/١٥٦٤-١٥٧٢م فى ديار بكر^(١).

ومسجد خسرو باشا على بحيرة وان ٩٧٥هـ/١٥٦٧م، وجامع السلطان
سليم الثانى (شكل ٣٥) (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) فى قره بينار على طريق
قونية - أرغلى وغير ذلك^(٢).

وكل من مسجد قاسم باشا وحاجى شهاب الدين باشا فى ادرنه وجامع
أحمد باشا فى انقره واورخان غازى فى جبزة والجامع الجديد (بنى جامع) فى
كوموتينى باليونان ومسجد ياكوفالى حسن باشا بالمجر (أشكال ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ -
٣٧ - ٤٠ - ٤١)

واستخدم هذا التخطيط أيضا فى تصميم بعض المدافن العثمانية ومن بينها
نذكر كل من تربة بايزيد يلدريم وتربة حاجى سلطان فى بورصة (أو بروسه)
(شكل ٣٨ - ٣٩) .

وقد عرف هذا النمط من التخطيط فى العمارة المصرية الاسلامية قبل
العصر العثمانى بوقت طويل ، واستخدم فى بادئ الأمر فى تصميم بعض المساجد

(١) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١٩٦ .

Sozen , Op . Cit , PP . 76 - 91 .

Sozen , Op . Cit , P . 385, plan , 86 .

(٢) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

Gabriel. Les Mosques De constantinople . :
PP. 368 . 372 . 286 . 392 Une Capital Turque Brousse.
Fige. 89. 91 - 92. 97 - 100

Kuran (A) the Mosque in early Ottoman Architecture
Chicago . 1968 PP 30 70

الصغيره كما يستدل من خلال ماورد فى المصادر التاريخية الموثوق بها^(١)، ثم استخدم بعد ذلك فى تصميم المدافن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والنسب والعناصر بطبيعة الحال ومن أمثلتها الباقية مدفن فاطمة خاتون (أم الصالح) ٦٨٢ - ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م ، ومدفن الاشرف خليل ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م ومدفن بيبرس الجاشنكير ٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م ويتقدم هذه المدافن رواق خارجى (أو سقيفة) مغطى بسقف خشبى وقد اندثر سقف رواق كل من مدفن فاطمة خاتون والاشرف خليل^(٢) (شكلا ٢٥٢ - ٢٥٣) .

وحدث بعد ذلك أن استخدم هذا النمط فى تصميم بعض الزوايا والخانقاوات كما يستدل من خلال ماورد فى المصادر والوثائق المختلفة فضلا عن العمائر الباقية .

ومن بين هذه الأمثلة نذكر كل من الزاوية المعروفة بقبة النصر (مدرسة) وخانقاة الأمير كافور الزمام بالقرافة (مدرسة) والتي أطلق عليها فى الوثيقة اسم القبة الخانقاة^(٣) .

ومنها زاوية الاحمدية الرفاعية المعروفة بقبة معبد الرفاعى (شكل ٤٥) (تجاه خانقاة الاشرف برسباى بقرافة صحراء المماليك) وهى تشبه كل من قبة

(١) انظر المصادر الواردة فى حاشيه (رقم ١ ص ١١١) من هذا الفصل .

(٢) Creswell (K.A. C.) the Muslim Architecture of Egypt . Vol . 2 . New - York . 1978, Figs, 106, 126, 142 .

(٣) محمد حمزه الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك - رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٧ م - ص ص ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .
الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثمانى - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٠ م - ص ص ١٤١ - ١٤٣ ، ٧٠٢ .

الهداوية وقبة قصر القبة للأمير يشبث من مهدى^(١١) ، وزاوية الدمرداش بالعباسية^(١٢) (شكل ٤٦)

ومن الملاحظ خلو هذه النماذج المملوكية الباقية من وجود الرواق أو السقيفة التي تتقدمها وقد استمر هذا النمط من التخطيط باقيا خلال العصر العثماني ولكن مع تطوير له ، وبعد جامع سنان باشا بيولاقي (شكل ٢٤) أقدم نموذج باق يتجلى فيه بوضوح هذا الإستمرار من جهة وذلك التطور من جهة ثانية ، ولكن نظرا للتشابه الكبير ، سواء في التخطيط المعماري أو في بعض التفاصيل ومن أهمها مناطق الانتقال ، بين هذه النماذج المملوكية وبين جامع سان باشا ، فإنه يمكن القول بأن تخطيط هذا الجامع ما هو الا تطوير محلي لكيان معماري وفد على مصر خلال العصر المملوكي الجركسي^(١٣)

ويتمثل هذا التطوير في اضافة زيادة تحيط بالجامع من ثلاث جهات ، عدا جهه القبلة ، وهذه الزيادة عبارة عن ثلاثة اروقه معطاه بالقباب الصحلة بواقع رواق بكل جهة كما سبق القول .

(١١) سامي عبد الحليم : الامير يشبث من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة - رسالة ماجستير - غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٦٩م - ص ١٤٥ - ١٦٧

محمد عبد الستار عثمان الآثار المعمارية للسلطان الاشرف برسباي بمدينة القاهرة - رسالة ماجستير - غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٧٧م - ص ٧٤ ، ١٨٨ - ١٩٠

Abouseif (D.B) Four Domes of the Mamluk Period
Annales Islamologiques Tome XVII Le cario 1981 PP
191 - 201 .

Abouseif (D,B) An Unlisted Mouments of the fifteenth (٢)
century " the dome of zawiyat Al-Damirdas " . Tome .
XVII . Le caire . 1982 . pp 105 - 115 .

Hautecoeur et Wiet Op Cit. pp 343 . 344 (٣)

Pauty Op Cit. PP 15 16 .

Williams, Op Cit, P . 459 .

محمد مصطفى نجيب العماره في العصر العثماني ص ٢٦٣

هدايت نيمور جامع الملكه صفيه - ص ٢٠٨

ومن المعروف أن نماذج هذا الطراز قبل ذلك سواء في العمارة السلجوقية أو في عمارة عصر البكوات أو في العمارة العثمانية ، تحتوى فقط على رواق واحد وهو السقيفة التى تتقدم المسجد أو الجامع والتى تغطى بالقباب أو الاقبية أو بالاثنين معا .

وفى أحيان أخرى يخلو المسجد أو الجامع من وجود هذا الرواق الخارجى .
كذلك تجدر الإشارة الى أن النماذج الباقية فى بعض الاقطار العربية الشقيقة التى شيدت وفق هذا الطراز تخلو من وجود الاروقة الثلاثة ، وتحتوى على الرواق الخارجى أو السقيفة فحسب ، وفى أحيان أخرى تخلو منها ، ومن بين هذه النماذج نذكر ، على سبيل المثال ، كل من جامع خسرو باشا ضمن مجمعه بحلب ٩٤٣ - ٩٤٤ هـ / ١٥٣٦ - ١٥٣٧ م ، وجامع عثمان باشا ضمن مجمعه بحلب أيضاً ١١٤٠ هـ / ١٧٣٠ م ^(١) (شكلا ٤٧ - ٤٨) وكذلك المسجد الملحق بكل من التكية السليمانية ٩٦٢ - ٩٦٧ هـ / ١٥٥٤ - ١٥٥٩ م ، والمدرسة السليمانية المجاورة لها ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م بدمشق (شكل ٢٧٧) ^(٢) ومنها مسجد المرادية ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ومسجد طلحة ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م بصنعاء اليمن والملاحظ أن الرواق أو السقيفة التى تتقدم هذا المسجد الاخير لاتقع على محور المحراب كما هى العادة ، وإنما تقع الى الغرب من المسجد وتشرف على الفناء الغربى بيئكة ذات عقدين ، ويغضى هذه السقيفة أربع قباب

(١) Sauvaget (J .) , A lep , B iliotheque Archeogique et Historique, Tome . XXXVI ,
Paris, 1941 . P. 235, Pi . LXVIII .
Goodwin , Op . Cit, P . 202 - 203 .

عبد القادر الريحاوى : العماره العربيه الاسلاميه - ص ٢٣١ - ٢٣٣ .
(٢) Wulzinger und Watzinger, Op . Cit, PP . 102 - 114 .
Sauvaget, Les Monuments Historiques de Damas . PP . 68 - 81.
عبد القادر الريحاوى : التكيه والمدرسة السليمانيتان بدمشق - الحوليات الاثريه السوريه - المجلد ٧ - ج ١ - ٢ - ١٩٥٧ م - ص ص ١٢٥ - ١٣٤ .
العمارة العربيه الاسلاميه - ص ٢٣٩ - ٢٤٧ .

صغيرة^(١) (شكل ٥٠) ومنها البكيرية بصنعاء اليمن أيضاً (شكل ٤٩) والتي تختلف في بعض التفاصيل هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الرواق الذي يتقدمها يشرف على الفناء (الصروح أو الصرحه) المكشوف^(٢).

ومنها المسجد الملحق بزاوية (مدرسة) عموره بجنزور ١١٣٤هـ/١٧٢١م (شكل ٥١) ومسجد مدرسة الكاتب بطرابلس الغرب ١١٨٣هـ/١٧٦٩م (٥١ مكرر) ومسجد الباشا بمدينة الخمس ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م في ليبيا^(٣).

ويحسن بنا أن نشير الى أن هذا النمط من التخطيط كان شائعاً ومنتشراً في شمال البنغال منذ اواخر القرن ٩هـ/١٥م وخلال القرن ١٠هـ/١٦م ثم انتقل الى جنوب البنغال ، وما تزال هناك نماذج عديدة متبقية يتقدم أغلبها رواق خارجي أو سقيفة مغطاه بالقباب أو الأقبية أو بالاثنين معا ، وبعض النماذج الاخرى تخلو من وجود هذه السقيفة ، والمهم أن ظاهرة وجود الاروقة الثلاثة لم توجد أيضاً في العمارة الاسلامية في البنغال .

(١) SerJents (R.B.) & Lewcock (R.) , Sanaa , an Arabian Islamic city , London . 1983 . PP . 375 , 381 - 382 .

ربيع خليفة : مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول - القاهرة ١٩٨٩ م - ص ص ٤٨ ، ٩٣ - ١٠١ .

(٢) محمد سيف النصر : المدارس اليمانية - الاكليل - السنة ٣ - العدد ١ - خريف ١٩٨٥م - ص ص ١١٤ - ١١٦ .

مصطفى شبيحه : مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية في الجمهورية اليمنية - ص ص ١٠٢ - ١٠٧ .

ربيع خليفة : البكيرية المسجد والمدرسة - الاكليل - السنة ٥ - العدد ١ صيف ١٩٨٧ م - ص ص ١٣٤ - ١٤٤ .

(٣) مسعود رمضان شقوف (وآخرون) : موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا - ج١ - طرابلس ١٩٨٠م - ص ص ١١٣ ، ١١٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ .

El Mahmudi (A) Post- Fi Fteenth Century A.D. Islamic Architctin Libya .

Universily of Victoria , 85 Fig . 32 .

ومن بين هذه النماذج الباقية نذكر كل من : مسجد القبة (Gopolgami) ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، ومسجد بارى (شكل ٤٢) ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، ومسجد (Chamkatti) ٨٨٣هـ/١٤٧٨م، ومسجد (Lattan) اواخر القرن ٩هـ/ ١٥م أو اوائل ق ١٠هـ/١٦م ومسجد (Goaldi) ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م (شكل ٤٣) ومسجد سورا (Sura) ١٠هـ/١٦م ومسجد عطية ١٠١٨هـ/١٦٠٩م وغير ذلك ^(١).

نخلص من كل ما تقدم الى القول بأن ظاهرة وجود الاروقة الثلاثة (أو الزيادة) لم تظهر قبل جامع سنان باشا ٩٧٩هـ/١٥٧١م فى أى من الجوامع أو المساجد التى صممت وفق هذا النمط البسيط من طراز الجامع القبة .

وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن اضافته هذه الزيادة قد جعلت من تخطيط هذا الجامع القبة أنموذجا فريدا غير مسبوق من جهة كما أنه اتخذ اماما نسج على منواله فيما بعد من جهة ثانية .

وتعد النماذج الباقية لهذا التخطيط الجديد ، والمعروفة حتى الآن قليلة بل أنها تكاد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ومنها الجامع الخزفى فى اسكدار ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م ^(٢) (شكل ٥٢) وجامع محمد بك أبو الذهب (تجاه الازهر) ١١٨٨هـ/١٧٧٤م (شكل ٢٥) الذى يكاد يكون نسخة مكررة من جامع سنان باشا ببولاق وصدق المؤرخ الجبترى حين ذكر أن جامع أبو

michel (G.) The Islamic Heritage of Bengal . Unesco. 194. pp. 67, (١) 77, 86, 133-134, 182, 185-187 .

Pauty , Op. Cit. p. 15 .

(٢)

هدايت تيمور: جامع الملكة صفية - ص ٢٠٨ .

الذهب بنى « على أرنيك جامع السنانية الكائن بشاطئ النيل ببولاق »^(١) ، غير أن ذلك لا يعنى عدم وجود بعض الفروق والاختلافات فى بعض العناصر والتفاصيل بين كل من الجامعين .

وختاما يحسن بنا أن نشير إلى أن بعض الجوامع التى صممت وفق هذا النمط البسيط من طراز الجامع القبة ، قد أضيفت لها فى تاريخ لاحق زيادة تحيط بالجامع من ثلاثة جهات ، عدا جهة القبلة ، ومن الأمثلة الباقية الدالة على ذلك الجامع الملحق بمشهد الشيخ عبد القادر الجيلانى ببغداد ٩٤١هـ / ١٥٣٤م حيث أمر الوزير حسين باشا السلحدار فى سنة ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م بتجديد كل من الجامع والمشهد وإضافة زيادة له تحيط به من ثلاث جهات ، عدا جهة القبلة ، وتتكون هذه الزيادة من رواقين بكل جهة وليس رواق واحد كما هو الحال فى جامع سنان باشا والنماذج التالية له ويغضى هذه الأروقة قباب ضحلة أيضا^(٢) (شكل ٥٣).

ب - جامع السنانية بدمشق : (شكل ٨٢) ، يقع هذا الجامع فى أول طريق الميدان بالقرب من باب الجابية^(٣) وكان يشغل موضعه مسجدا يعرف باسم مسجد البصل^(٤) ، وقد أمر سنان باشا عقب توليته حكم دمشق فى ذى

(١) الجبرنى : عجائب الآثار - ج ١ ص ٤٨٢ .

(٢) عيسى سلمان (وآخرون) : العمارات العربية الإسلامية فى العراق - ج ٢ - بغداد ١٩٨٢م - ص ١٢٦ - ١٣٢ .

Ulucam (A.) Irak Taki Turk Mimari Eserleri. Ankara, 1987, pp. 36 .

(٣) أبو الفرج العشي : آثارنا فى الاقليم السورى - ط ١ - دمشق ١٩٦٠م - ص ٥٤ عبد القادر الريحاوى : مدينة دمشق طبعة دمشق ١٩٦٩م - ص ٧٧ .

(٤) محمد كرد على : خطط الشام - ج ٦ - دمشق ١٩٢٨م - ص ٦٣ . محمد أسعد طلس : ذيل ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادى - بيروت ١٩٤٣م - ص ٢٢٦ (نقلا عن منادمة الاطلال ومسامرة الخيال لعبد القادر بدران) .

Wulzinger und Watzinger, Op. Cit, p. 78 .

الحجة ٩٩٤هـ/١٥٨٥ م بهدم هذا المسجد وانشاء جامع عظيم بدلا منه .
وايبدأ البناء فى أوائل عام ٩٩٥هـ/١٩٨٦ م بحضور جماعة من العلماء
والمؤذنين وولى على العمارة الأمير محمد بن منجك ثم ضم إليه اثنين^(١) .
وكان الفراغ من عمارة هذا الجامع وملحقاته فى عام ٩٩٩هـ/١٥٩٠ م
وذلك فى عهد محمد باشا بن سنان باشا الذى فوض إليه السلطان مراد الثالث
حكم دمشق فيما بين ٩٩٩-١٠٠٠هـ/١٥٩٠-١٥٩١ م^(٢) .
وقد وصف ابن جمعة هذا الجامع بأنه « ليس له نظير فى جميع البلاد »
وأنه من « محاسن دمشق »^(٣) .

والحق ان هذا الجامع يعد من أبدع واروع الجوامع التى شيدت فى بلاد
الشام عامة ودمشق خاصة خلال العصر العثمانى ، ولذلك حظى باهتمام كبير
وعناية خاصة من قبل المؤرخين والرحالة من جهة والعلماء والباحثين من جهة
ثانية^(٤) .

ويتكون تخطيط هذا الجامع من جزئين رئيسيين أحدهما مغطى والآخر
مكشوف ويمثل الحرم (شكل ٨٢) وبالنسبة لتخطيط الجزء المغطى فهو عبارة
عن مساحة مستطيلة قسمت بواسطة بائكتين إلى ثلاثة أروقة أوسطها أوسعها
وأهمها وتتكون كل بائكة من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين فى الوسط وعلى

(١) محمد أسعد طلس : المرجع السابق - ص ٢٢٦ .

(٢) ابن القارى : الوزراء الذين حكموا دمشق - نشر المنجد - ص ٧٣ .

(٣) ابن جمعه : الباشات والقضاة فى دمشق - نشر المنجد - ص ٢٠ .

(٤) من بين هؤلاء المؤرخين الغزى والمحبي وابن جمعه المقار وعبد القادر بدران ومحمد كرد
على ومحمد أسعد طلس ، ومن بين العلماء والباحثين سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ ،
وأبو الفرج العث ، وحسن عبد الوهاب ، وعبد القادر الرياحى ، ومن العلماء الاجانب
سوفاجية ، وفلزنجر وفترنجر وغيرهم أما الرحالة فمن أهمهم عبد الغنى النابلسى وأوليا جلى .

دعامتين بارزتين ملتصقتين أحدهما بجدار القبلة والأخرى فى الجدار المقابل وتسير هذه العقود عمودية على جدار القبلة .

ويتوسط صدر الرواق الأوسط المحراب على يساره المنبر الرخامى ويحتوى جدار القبلة أيضا على أربعة شبايك منها شباكان بالرواق الأوسط ، واحد عن يمين المحراب والآخر عن يساره ، وشباكان بالرواقين الجانبيين بواقع شباك بصدر كل رواق .

ويتوسط الجدار الشمالى ، تجاه المحراب ، باب الدخول إلى الجامع من الحرم ، وتوجد على جانبى هذا الباب أربعة شبايك تماثل الشبايك المقابلة لها فى جدار القبلة .

أما الضلعان الجانبيان (الشرقى والغربى) فيحتويان على ستة شبايك متماثلة بواقع ثلاثة شبايك بكل ضلع منهما .

هذا ويغطى الرواق الأوسط الكبير قبة ضخمة تقوم على منطقة انتقال من المثلثات الكروية بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان الأربعة ، ويلى منطقة الانتقال منطقة مستديرة فتحت بها أربعة وعشرون نافذة صغيرة منها اثنتا عشرة نافذة مفتوحة ومثلها مضاهيات فيما بينها .

أما بالنسبة للحرم فهو يتقدم الجزء المغطى من الجهة الشمالية ، ويتكون تخطيطه من مساحة مستطيلة تتوسطها فسقية مشحنة الشكل ويشغل الضلع الجنوبى للحرم رواق (أو سقيفة) يتقدم الجزء المغطى ويشرف على الحرم من خلال بائه ذات سبعة عقود مدبية ويغطى هذا الرواق سبع قباب صغيرة مقامة على منطقة انتقال من المثلثات الكروية وأرضية هذا الرواق مرتفعة عن أرضية الحرم ويستثنى من ذلك الجزء الأوسط الذى يتقدم باب الدخول للجزء المغطى فهو ذو أرضية مساوية لأرضية الحرم ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن هذا الجزء يمثل الممر أو المجاز الرئيسى الذى يفضى لداخل الجزء المغطى عبر باب الدخول المشار إليه سابقاً.

أما الاضلاع الثلاثة الأخرى للحرم فلا تحتوى على أروقة كما هى العادة غالبا غير أنها تحتوى على بعض الأبواب فضلا عن بعض ملحقات الجامع والمئذنة وهذه الأخيرة توجد فى الركن الجنوبي للحرم بجوار باب الدخول وهى مشيدة وفق الطراز العثمانى تماما مثل مئذنة جامع السنانية ببولاق القاهرة ، الا أنها مكسوة بالخزف الأزرق الجميل الخالى من الزخارف^(١).

وفى الضلع الشمالى للحرم يوجد باب صغير يؤدى إلى سوق السكرية ، وهذا الباب لا يقع على نفس محور باب الدخول إلى الجزء المغطى من الحرم السابق الاشارة إليه « ويوجد على يمين هذا الباب الصغير سبيل مؤرخ ٩٩٩هـ / ١٥٩٠ م ، وقد تم تجديده فى عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣ م^(٢).

وعند تأصيل تخطيط هذا الجامع نجد أنه يمثل أحد الأنماط المتطورة لطراز الجامع القبة فى العمارة الإسلامية بصفة عامة والعمار العثمانية والعمارة فى بلاد الشام بصفة خاصة . وقد عرف هذا النمط المتطور لطراز الجامع القبة قبل العصر العثمانى بوقت طويل ، الا أن أمثله الباقية تعد نادرة للغاية ، وتنحصر فى نموذج وحيد معروف ، حتى الآن ، ويرجع إلى عصر القرة خانيين فى آسيا الوسطى .

وهذا النموذج هو مسجد طلختان بابا الذى يبعد نحو ٣٠ كم عن مدينة مرو القديمة ويؤرخ هذا المسجد بأواخر القرن ٥هـ / ١١م أو أوائل القرن ٦هـ / ١٢م^(٣) ،

(١) أبو الفرج العشى : المرجع السابق - ص ٥٤ .

عبد القادر الريحاوى : العمارة العربية الإسلامية - ص ٢٢٦ .

(٢) محمد اسعد طلس : المرجع السابق - ص ٢٢٧ .

Wulzinger Und Watzinger, Op. Cit., p. 78, Tafel 340.

Kuban (d., Muslimreligion Architre, Part, 2, Leiden, 1985.(٣)

p. 11

وانظر ايضا ص ص ١٤١ - ١٤٢ من هذا الكتاب .

ومن الملاحظ أنه لا يتقدم هذا المسجد رواق خارجي (أو سقيفة) كما هو الحال في غالبية النماذج الباقية (شكل ٥٤) .

وإذا كان مسجد طلختان بابا يختلف في بعض التفاصيل والنسب والعناصر المعمارية والزخرفية عن مثيلتها بجامع السنانية ، فإن جامع الدرويشية^(١) بدمشق أيضا ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م كان له أثره المباشر على جامع السنانية كما سنشير فيما بعد .

ويتكون تخطيط هذا الجامع من جزئين رئيسيين هما الجزء المغطى والحرم (شكل ٨١) .

وبالنسبة لتخطيط الجزء المغطى فهو يشتمل على ثلاثة أروقة أوسطها أوسعها وأهمها وتغطي هذا الرواق قبة رئيسية ضخمة مقامة على منطقة انتقال من المثلثات الكروية ، في حين غطى كل من الرواقين الجانبيين بست قباب صغيرة بواقع ثلاث قباب بكل رواق .

(١) أمر بإنشاء هذا الجامع درويش باشا بن رستم باشا الرومي الذي ولي حكم دمشق فيما بين ٩٧٩ - ٩٨٢ هـ / ١٥٧١ - ١٥٧٤م وكانت سيرته حسنة وله مقاصد جميلة ، كما كان شجاعا يمس ليلا ويقتل قطاع الطرق ، وقيل أن دمشق صارت في أيامه في أمان واطمئنان ، وكان هو الآخر صاحب خيرات كثيرة وعمائر متنوعة منها هذا الجامع الذي يعد من أبداع واروع جوامع دمشق الباقية من العصر العثماني ، فضلا عن التربة والسبيل والحمام المعروف بحمام القيشاني والسوق والقيسارية وجسر على نهر بردى عند عين القصارين وغير ذلك . وكانت وفاته عام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م ونقل إلى دمشق ودفن بها .
الغزى (نجم الدين) .

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة - ج ٣ - تحقيق جبرائيل سليمان جبور - ط ٢ - بيروت ١٩٧٩م - ص ١٥٠ - ١٥٢ .

ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي) ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ج ٨ - بيروت - بدون تاريخ - ص ٣٩٥ - ٤١٣، ٣٩٦ .

ابن جمعه : الباشات والقضاة في دمشق - نشر المنجد - ص ١٦ - ١٧ .

أما الحرم فهو يتقدم الجزء المغطى من الجهة الشمالية ، ومن الملاحظ أنه يخلو من وجود الأروقة المحيطة به باستثناء رواق واحد يشغل الضلع الجنوبي له وهو الرواق الذى يتقدم الجزء المغطى ويشرف على فناء الحرم من خلال بائكة ذات خمسة عقود ، ويعطى هذا الرواق خمس قباب صغيرة مقامة على منطقة انتقال من المثلثات الكروية .

ونظرا للتشابه الكبير بين هذا الجامع وبين جامع السنانية ، سواء فى التخطيط العام أو فى الملحقات وبعض العناصر والتفاصيل الأخرى ، فإنه يمكن القول بأن تخطيط جامع السنانية مستوحى مباشرة من تخطيط جامع الدرويشية بل ربما كان مهندس كلا الجامعين واحد ، ولا سيما وأن الفارق الزمنى بين تشييد كل منهما لا يتجاوز سبعة عشر عاما

وعلاوة على ما سبق يزخر كلا الجامعين بالكثير من العناصر والتفاصيل المحلية التى ظهرت بجانب مثيلتها العثمانية ، وهو الأمر الذى جعل لهما هذين الجامعين هذا الطابع المميز بين غيرهما من الجوامع السورية عامة وجوامع مدينة دمشق التى شيدت خلال العصر العثمانى خاصة .

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم عرضه ، أن كلا من جامعى السنانية بالقاهرة ودمشق قد صمما وفق نمطين متطورين من أنماط طراز الجامع القبة . ذلك الطراز الذى ورثه المعمار العثمانى بنمطه البسيط ، ثم لم يلبث أن قام بتطويره وإضافة إليه ، ومن ثم ظهرت منه أنماط جديدة مبتكرة لم تكن معروفة من قبل

ونضيف على ذلك فندكر : أنه إذا كان تخطيط جامع السنانية بدمشق مستوحى من النماذج العثمانية السابقة عليه وبخاصة جامع الدرويشية بدمشق نفسها ، فإن تخطيط جامع السنانية ببولاق القاهرة غير مستوحى من نماذج سابقة عليه ، ومن ثم فهو يعد تطورا مصرية محليا من جهة كما أنه اتخذ إماما سجا على منواله فيما بعد من جهة أخرى كما سبق القول .

٢ - حماما سنان باشا في القاهرة ودمشق : (شكلا ٢٨٠، ٢٨٥)

١ - حمام السنانية بالقاهرة : (شكل ٢٨٠)

يقع هذا الحمام بشارع السنانية ببولاق وهو يجاور الجامع من الجهة الغربية ويرجع تاريخ انشائه أيضا إلى ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ويتكون تخطيط هذا الحمام في جوهره من ثلاثة أقسام رئيسية هي المسلخ يليه بيت أول ثم بيت الحرارة ، بالإضافة إلى بعض الملاحق والمنافع والمرافق الأخرى كالمستوقد والبئر والساقية وغير ذلك^(١).

ويذكر (على مبارك) أن هذا الحمام بقى عامراً حتى خرب عقب الاحتلال الفرنسي لمصر ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م وأنه بقى متخرباً حتى عهد عباس باشا الأول فأمر بتجديده على ما كان عليه وذلك في زمن تولى أدهم باشا نظارة الأوقاف العمومية^(٢).

وربما بفسر لنا هذا النص ما حدث من تعديلات وتغييرات في بعض أقسام الحمام وخاصة في المسلخ وبيت أول وبعض خلاوى بيت الحرارة فضلاً عن قلة الأحواض عما كانت عليه وقت الإنشاء .

ولذلك سوف نعتمد في دراستنا على ماورد بحجة الوقف ومقارنة ذلك بالتخطيط الحالى للحمام .

والمسلخ عبارة عن مساحة مستطيلة تتوسطها درقاعة تحيط بها أربعة ايوانات

(١) عن الدراسة التفصيلية لهذا الحمام انظر : سوزان محمد فتحى : وثائق وقف السلطان سليم الثانى وياشوات مصر فى عهده ص ١٠٧ - ١١٣ .

سعاد محمد حسن : الحمامات فى مصر الإسلامية - رسالة دكتوراه - غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٨٣م - ص ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية - ج٦ - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٧م - ص ١٩٩

متقابلة على حد قول الوثيقة ، وبواجهة كل ايوان منها بائكة يغطيها حجاب خشبي ، وكان يتوسط الدرقاعة شاذوران (فسقية) غير موجود الآن ، ويسقف المسلخ سقف خشبي مسطح تتوسطه أعلى الدرقاعة شخشيخة .

وبالنسبة لبيت أول فقد تغيرت معالمه اذ كان يشتمل على « ايوانين متقابلين يمنه ويسره بكل منها حوض برسم الماء فيما بينهما دهليز مفروش أرضيته وأرضيتهما بالرخام الملون مسبل جدر ذلك البياض ... »^(١).

ولم يتبق الان سوى إيوان واحد وربما يرجع ذلك إلى أعمال التجديد المشار إليها سابقا .

أما بيت الحرارة فهو أهم أجزاء الحمام وتخطيطه عبارة عن درقاعة وسطى مثمثة تحيط بها أربعة ايوانات متقابلة ، وتوجد بصدر كل ايوان منها مسطبة كانت تحوى حوضان لم يتبق منهما سوى حوض واحد بكل من الايوانين الشرقي والغربي فحسب .

ويتوسط الدرقاعة فسقية مثمثة ويغطيها قبة ضحلة فى حين يغطى كل ايوان قبو نصف اسطوانى .

وتذكر الوثيقة أن بيت الحرارة يشتمل أيضا على مستحمين وثلاث خلاوى بكل منها حوضان ، بالاضافة إلى خلوه أخرى بجوار الايوان الشرقي تحوى ثلاثة أحواض^(٢) الا أنه لم يتبق من كل هذه الاحواض سوى ثلاثة ، وربما يرجع ذلك إلى أعمال التجديد أيضا .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه يمثل التخطيط التقليدى الذى صممت

(١) حجة وقف سنان باشا (أوقاف رقم ٢٨٦٩)

(٢) حجة وقف سنان باشا (أوقاف رقم ٢٨٦٩)

على أساسه الحمامات المصرية منذ العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر العثماني ، كما يتضح من خلال الوثائق المختلفة فضلاً عن الحمامات الباقية .

ومن بين النماذج التي ترجع إلى ما قبل العصر العثماني نذكر كل من : حمام الخراطين ، وحمام السكرية وحمام البيسرى وحماما الدود وحمام قلاوون الشهير بالنحاسين ، وحمام الجهينى وحمام بشتاك وحمام الملاطيلي وحمام السلطان اينال وغير ذلك ^(١) . أما النماذج التي ترجع إلى العصر العثماني فمن بينها كل من : حمام بيبرس وحمام الرميلة وحمام الاثنين الشهير بالعاصي ، وحمام البارودية ، وحمام الدرب الجديد ، وحمام الطنبلي ، وحمام القرية وغير ذلك ^(٢) (أشكال ٢٨١ - ٢٨٤) .

وإذا كانت الحمامات السابقة تتفق مع بعضها في التخطيط العام إلا أنها تختلف فيما بينها في بعض التفاصيل والعناصر الأخرى ، مثل عدد الايوانات سواء بالمسلخ أو بيت أول أو بيت الحرارة وعدد الخلاوى والمقاطع والاحواض وأشكال العقود والقباب والارضيات والزخارف وغير ذلك ، فلكل حمام منها شخصية مستقلة قائمة بذاتها .

ب - حمام السنانية بدمشق : (شكل ٢٨٥) .

يقع بالقرب من جامع السنانية نحو الجنوب ^(٣) ويرجع تاريخ إنشائه أيضا الى

(١) Pauty (E.) Les Hammams du Cairo, Mmoires de L'institut Francais d'Archeologie Oriental. Tome, LXIV, Le Cairo 1933. pp. 1- 60 .

محمد سيف النصر أبو الفتوح : منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة أسيوط - ١٩٨٠ م - ص ص ٢٣٠ - ٢٩٠ .

(٢) سعاد محمد حسن : المرجع السابق - ص ١٧٣ - ٢٠٣ .

(٣) صلاح الدين المنجد : حمامات دمشق (ضمن كتابة عن خطط دمشق - نصوص ودراسات في تاريخ دمشق الطبوغرافى وأثارها القديمة - بيروت ١٩٤٩ م - ص ١٩ .
ويذكر المنجد أن هذا الحمام يحوى زخارف غنية متقنة ، المرجع والصفحة نفسها

ما بين عامي ٩٩٥ - ٩٩٩ هـ / ١٥٨٦ - ١٥٩٠ م ، ويتكون تخطيط هذا الحمام في جوهره من ثلاثة أقسام رئيسية هي : البراني أو القسم الخارجي (المسلخ في المصطلح المصري) والوسطاني (بيت أول في المصطلح المصري) والجواني (بيت الحرارة في المصطلح المصري) بالإضافة إلى بعض الملاحق والمنافع والمرافق الأخرى كالمستوقد والبئر وغير ذلك ^(١) .

والقسم البراني (A) عبارة عن درقاعة وسطى تحيط بها أربعة إيوانات ذات أرضية مرتفعة عن أرضية الدرقاعة نفسها وتحتوي هذه الإيوانات على مساطب مرتفعة ، ويتوسط الدرقاعة فسقية .

والقسم الوسطاني يشتمل على وسطاني أول (B) (ويمثل الحجرة الباردة) عبارة عن درقاعة وإيوان صغير وملحق به مقصورتان صغيرتان يغطي كل منهما قبة صغيرة ووسطاني ثان (C) (ويمثل الحجرة الدافئة) عبارة عن درقاعة وسطى مثمثة تتوسطها فسقية مثمثة ، ويوجد على جانبي الدرقاعة الشمالي والجنوبي إيوانان صغيران مقبيان أما القسم الجواني (D) (ويمثل الحجرة الساخنة) فيتوصل إليه من باب بالقسم الوسطاني الثاني ، وهذا القسم عبارة عن حجرة مستطيلة المساحة مغطاه بقبو برميلي نصف دائري ، وتوجد في الأركان الأربعة لهذه الحجرة أربعة مقاصير يغطي كل منها قبة صغيرة .

(١) عن الدراسة التفصيلية لهذا الحمام انظر :

Ecochard (M.) Et Le Coeur (G.) Les Bains De Damas. Monographies Architecturales . Institut Francais De Damas . Deuxieme Partie, Beyrouth, 1943 . pp. 86 - 89 .

وعن أقسام الحمام السوري عامة والمسميات الخاصة بكل قسم منها انظر : محمد أسعد طلس . الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب - دمشق ١٩٥٧ م ص ٢٦٥ -

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه يمثل النموذج التقليدي الأول الذي صممت على أساسه غالبية الحمامات السورية عامة والدمشقية خاصة وهو النموذج ذو التخطيط المركزي^(١) ومن أمثلة هذا التخطيط نذكر كل من : حمام نور الدين بالزورية وحمام العفيف وحمام سامى وحمام أسامة وحمام الزين وحمام السلسلة وحمام القناطر وحمام الناصري وحمام التوريزي وحمام الورد وحمام الملك وحمام البكري وغير ذلك^(٢) ، (شكلا ٢٨٦ - ٢٨٧) .

وإذا كانت الحمامات السابقة تتفق مع بعضها في التخطيط العام إلا أنها تختلف فيما بينها في بعض التفاصيل والعناصر الأخرى ، مثل أشكال القباب والعقود والأرضيات والزخارف ووجود الحجرة الباردة (وسطاني أول) في بعض الحمامات وخلو البعض الآخر منها وغير ذلك فلكل حمام منها شخصية مستقلة قائمة بذاتها .

وبمقارنة تخطيط كل من حمامي السنانية بدمشق والقاهرة (شكلا ٢٨٠ ، ٢٨٥) نجد أنه يوجد بينهما اتفاق في التخطيط العام من حيث اشتماله على ثلاثة أقسام رئيسية تتدرج فيها الحرارة ، إلا أنهما يختلفان مع بعضهما من حيث تخطيط هذه الأقسام وأهميتها ، ففي حين تتركز الأهمية في حمام السنانية بدمشق بل والحمامات السورية بصفة عامة ، في القسم الوسطاني (بيت أول في المصطلح المصري) حيث تمثل الحجرة الدافئة المثلثة مركز التخطيط

(١) Ecochard et le Coeur, Op. Cit., p. 14 .

Sauvaget (J.), Un bain Damasquin du XIII Syria, Tome. XI Paris .
1930 . pp. 371 - 280 .

Exochard le Coeur, Op. Cit , pp. 16-23, 29-36, 47-50, 8486, 89-(٢)
90.

Sauvaget, Op. Cit., pp. 371-372 .

ومحوره الرئيسى . ومن ثم حظيت بالاهتمام سواء فى تخطيطها أو فى زخارفها ،
ويكاد يكون تخطيط هذه الحجرة ثابتا فى غالبية الحمامات التى صممت وفق
هذا النمط ذو التخطيط المركزى ، نجد أن الأهمية فى حمام السنانية ببولاق
القاهرة ، بل والحمامات المصرية بصفة عامة ، تتركز فى بيت الحرارة (القسم
الجوانى فى المصطلح السورى) ومن ثم حظى بالاهتمام سواء فى تخطيطه أو فى
زخارفه ، ويكاد يكون تخطيط هذا البيت ثابتا فى غالبية الحمامات المصرية ، منذ
العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر العثمانى ، فهو يشتمل على درقاعة وسطى
تحيط بها أربعة إيوانات غالباً وثلاثة إيوانات كما هو الحال فى حمام الطنبلى^(١)
(شكل ٢٨٤) (بياب الشعرية) من العصر العثمانى ، فضلا عن بعض النماذج
السابقة كما يستدل من الوثائق المختلفة ومنها حمام الخراطين وحمام البيمارستان
(العتيق) الأيوبى وحمام جوهر اللالا^(٢) .

وعلى ذلك فانه يتضح من خلال ماتقدم عرضه أن كلا من حمامى
السنانية بالقاهرة ودمشق يمثلان استمرار الطراز المحلى (المصرى والسورى)
خلال العصر العثمانى من جهة كما أنهما يعكسان بحق الخصائص الرئيسة
والسمات العامة لكل طراز منهما من جهة أخرى .

وبعد فقد تناول هذا البحث دراسة عمائر الوزير قوجه سنان باشا الباقية فى
القاهرة ودمشق ، وقد أثبتت هذه الدراسة أن كلا من جامعى السنانية قد صمما
وفق نمطين متطورين من أنماط طراز الجامع القبة .

ويعد نمط جامع السنانية بدمشق من بين النماذج القليلة الباقية فى العمارة
العثمانية عامة والعمارة السورية خاصة ، أما بالنسبة لنمط جامع السنانية ببولاق

(١) سعاد محمد حسـ المرجع السابق - ص ١٩٢ - ١٩٤

(٢) محمد سيب النصر أبو الفتوح المرجع السابق - ص ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢

القاهرة فهو يعد تطوراً مصرياً محلياً غير مسبوق ، ومن ثم فقد صار اماما نسج على منواله في تخطيط الجوامع التالية له سواء في تركيا أو العراق أو مصر نفسها أما بالنسبة لكل من حمامى السنانية فيمثالان استمرار الطراز المحلي (المصرى والسورى) خلال العصر العثمانى .

وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن عمائر سنان باشا قد جسدت المحاور الرئيسية التى سارت فيها الانماط المعمارية والفنية فى الأقطار العربية عقب الفتح العثمانى من استمرار وتأثير وتأثر وامتزاج وتطور محلى .

وختاماً فإذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه من إبراز أهمية تخطيط عمائر سنان باشا فى العمارة العثمانية عامة ومصر وسوريا خاصة فله الحمد وهو من وراء قصدى خير معين وإن كنت قد قصرت فى شئ فحسبى أن يكون هذا البحث لبنة صغيرة فى مجال دراسة العماره الإسلامية عامة والعثمانية خاصة التى مازال بحاجة إلى أبحاث عديدة مستفيضة ومتعمقة .

الفصل الثالث

**المساجد المبكره الباقيه فى أسيا الوسطى
وأهميتها فى دراسة تطور العمارة الإسلامية**

نشر هذا البحث ضمن أبحاث المؤتمر الدولى « المسلمون فى أسيا الوسطى والقوقاز » الماضى ، الحاضر ، المستقبل الذى عقده مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامى بالإشتراك مع قسم اللغة الفارسية وأدائها بكلية الدراسات الإنسانية (فرع البنات) جامعة الأزهر فى الفترة ٢٨ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ م .

وقد نشر هذا البحث فى الجزء الأول من أبحاث المحور الحضارى والثقافى .

مقدمة :

كان الفتح العربى الإسلامى لآسيا الوسطى ^(١) نقطة تحول خطيرة ترتبت عليها نتائج بعيدة المدى سواء فى تاريخ هذه المنطقة من جهة أو فى تاريخ الحضارة الإسلامية من جهة ثانية أو فى تاريخ الحضارة الإنسانية عامة من جهة ثالثة .

-
- (١) إن منطقة آسيا الوسطى عبارة عن شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا ومن الجنوب الغربى جبال الألتاي وبابلونوى وستانوفوى ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور ، وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالى ستة ملايين كيلو متر مربع هى فى مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات .
بارتولد (فاسيلى) تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - ترجمة أحمد السعيد سليمان - مراجعة إبراهيم صبرى - القاهرة ١٩٥٨م - مقدمة الكتاب - ص (ج) .
وتعرف هذه المنطقة بالتركستان ويقصد بهذا الاسم بلاد الترك عامة أى الأصقاع المترامية الأطراف التى تمتد بين البلاد الإسلامية والصين والتى كان يقطنها الرحل من الترك والمغول .
بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى - ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - ط ١ - الكويت ١٩٨١م - ص ١٤٥ .
وتشغل التركستان الغربية خمس جمهوريات إسلامية تنتمى إلى الكومنولث الجديد وهى قرغيزيا وطاجيكستان ، وتركمانستان (تركمانيا) ، وأوزبكستان وقازاخستان أما التركستان الشرقية فهى المعروفة (بسينكيانج) أى المقاطعة الجديدة التى ضمت إلى الصين فى سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م .
يسرى الجوهري : آسيا الإسلامية - القاهرة ١٩٨٠م - ص ١٩١ - ١٩٢ ، ١٩٧ - ٢١٥ .
سيد عبد المجيد بكر : الاقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا - سلسلة دعوة الحق - السنة ٣ - العدد ٢٣ - مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م - ص ١٣٢ ، ١٩٧ - ٢١٥ .
وعن مراحل الفتح الإسلامى لآسيا الوسطى ، انظر على سبيل المثال ، كل من : بارتولد : تركستان - ص ص ٢٩٩ - ٣٣١ ،
حسن محمود : الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى - القاهرة ١٩٦٨م - ص ص ١١٥ - ١٣٩ .
صالح مهدى عماش : قتيبة بن مسلم الباهلى وحركات جيش المشرق الشمالى فيما وراء النهر - بغداد ١٩٧٨م .
غانم هاشم السلطاني : قتيبة بن مسلم الباهلى - بغداد ١٩٩٠م .

وقد توفر على دراسة هذه النتائج وإبرازها منذ أكثر من قرنين وحتى الآن عدد كبير من المستشرقين والمستعربين والعلماء والباحثين الأجانب فضلاً عن المسلمين وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالاً لها قيمتها واصالتها العلمية^(١).

ولا يعنينا فى هذا المقام سوى أن نتحدث عن جانب واحد يعد من أبرز جوانب الحضارة المادية الإسلامية ألا وهو ذلك التراث المعماري الخالد الذى يعد شاهداً حياً على المستوى الرفيع الذى وصل إليه طراز العمارة الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وبصورة عامة يمكن القول بأن هذا الطراز يمثل طرازاً محلياً أو فرعياً نشأ فى هذه المنطقة وتطور بها خلال عدة قرون حتى أضحت له سماته الخاصة وشخصيته الواضحة ، ولكنه رغم ذلك لم يفقد صلته بالطراز الإسلامى العام الذى هو فرع منه أو بغيره من الطرز الفرعية المحلية المعاصرة له والتي أثرت فيه أو أثر هو فيها .

وإذا كان هذا الطراز قد ارتبط فى نشأته وخلال مراحل تطوره بعوامل البيئة المحلية من حيث طبيعة الموقع الجغرافى المتميز وظروف المناخ وتوفر المواد الخام اللازمة للبناء والزخرفة من جهة ، فإنه من جهة ثانية قد ارتبط أيضاً بالدول الإسلامية المتعاقبة التى دانت لها المنطقة وما شهدته كل دولة من استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية ، وما كان يصاحب هذه وتلك من استقرار الأوضاع

(١) انظر على سبيل المثال (كشف المراجع) بنهاية كتاب تركستان لبارتولد

بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية - ترجمة حمزه طاهر - ط ٥ - القاهرة ١٩٨٣ م .

حسن محمود : المرجع السابق

فامبرى (أرمينوس) : تاريخ بخارى ترجمة أحمد الساداتى - مراجعة وتقديم يحيى

الخشاب - القاهرة ١٩٦٥ م .

الاجتماعية وتحسن العلاقات الخارجية التي كان لها أثرها البالغ في تبادل التأثيرات المعمارية والفنية .

وبالإضافة إلى ذلك نذكر أن بعض المدن الرئيسية التي تنتمي إلى هذا الطراز كانت لها سمات خاصة وطابع معين تتميز به في قليل أو كثير عن بقية المدن الأخرى ومن بينها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، بخارى ، سمرقند ، مرو ، خيوة ، ترمذ ، طشقند ، خوقند ، وجوجنج وغير ذلك .

هذا وما تزال آسيا الوسطى تحتفظ بسلسلة طويلة متصلة الحلقات تنتظم فيها مجموعة كبيرة من العماائر المتنوعة والمتعددة دينية كانت أم جنائزية أم مدنية أم حربية وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه أن نتبع نشأة هذا الطراز وتطوره وإزدهاره والتأثيرات المختلفة التى وقعت عليه .

ورغم كثرة ما كتب عن العمارة الإسلامية فى آسيا الوسطى باللغات الأجنبية وخاصة الروسية فضلاً عن اللغات الشرقية كالفارسية والتركية وغيرها ، إلا أنه يلاحظ خلو المكتبة العربية - فيما أعلم - حتى الآن من أبحاث ودراسات أصيلة حول هذا الموضوع .

هذا ويرجع اهتمامى بدراسة العمارة الإسلامية فى المشرق الإسلامى عامة وآسيا الوسطى خاصة إلى عدة سنوات مضت ، عكفت خلالها على قراءة العديد من المصادر والمراجع التى تيسر لى الحصول عليها ولعل من أبرز هذه المصادر كتابات الرحالة المسلمين الذين زاروا المنطقة ودونوا مشاهداتهم عن المعالم الأثرية فى المدن والقرى المختلفة^(١) ، وهى بلا شك تعد مصدر أصيل خصب

(١) من بين هؤلاء الرحالة ابن فضلان ، أبى دلف ، ابن خرداذبة ، اليعقوبى ، ابن الفقيه الهمداني ، ابن حوقل ، المقدسى ، ياقوت الحموى ، الإدريسي ، أبو حامد الغرناطى ، الحميرى ، غياث الدين النقاش ، أوليا جلى ، ناصرى خسرو ، الإصطخرى وغيرهم .

لمثل هذا النوع من الدراسة ، أما المراجع فمنها عدد كبير من الأبحاث والدراسات الأجنبية والتركية والفارسية وقد استفدت من هذه وتلك فى أبحاثى ودراساتى السابقة من جهة . وفى تدريسي لمادة العمارة العثمانية بكلية الآثار جامعة القاهرة على مدى ست سنوات متصله من جهة ثانية .

ومن خلال ذلك أيقنت أن دراسة العمارة الإسلامية فى آسيا الوسطى لا تكمن أهميتها فى أنها تمثل تراثا إسلاميا بل وإنسانيا خالداً يعتد به فحسب ، وإنما أيضاً لأنها تسد الفراغ وتكمل النقص الذى يقابل كل من يتصدى لدراسة تطور العمارة الإسلامية عامة والعمارة فى المشرق الإسلامى خاصة ولا سيما فيما يخص البدايات أو الأصول الأولى من جهة أو مراحل التطور التالية من جهة ثانية وهو الأمر الذى لم يلتفت إليه سوى نفر قليل من الدارسين والباحثين فى الآونة الأخيرة .

وإيماناً منى بهذه الأهمية عقدت العزم على أن أسهم بسلسلة من الدراسات حول هذا الموضوع ، ومنها هذا البحث الذى يشرفنى أن أشارك به ضمن أعمال هذه الندوة العلمية الموقرة وموضوعه « المساجد المبكرة الباقية فى آسيا الوسطى » وأهميتها فى دراسة تطور العمارة الإسلامية .

وقبل أن تنتقل إلى تفصيل القول عن موضوع البحث ينبغى أن نشير إلى أن المقصود بالمساجد المبكرة هى تلك المساجد التى أنشئت قبل فترة الغزو المغولى لتلك المنطقة خلال النصف الأول من القرن ٧ هـ / ١٣ م^(١) ، وهى الفترة التى

(١) بارتولد : تركستان - ص ص ٥٤٤ - ٦٤٦ .

عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران - القاهرة ١٩٨١ م ، ص ص ٥٧ -

كانت حداً فاصلاً بين عهدين فى تاريخ الشرق الإسلامى بصفة عامة وآسيا الوسطى بصفة خاصة .

ولهذه المساجد المبكرة الباقية أهمية خاصة سواء من حيث تخطيطها المعمارى أو من حيث عناصرها المعمارية والزخرفية ، ويضيق بنا المقام على أن نتناول كل هذه النقاط بالدراسة ، ولذلك سوف نركز فى هذا البحث على دراسة التخطيط المعمارى لهذه المساجد وإبراز أهميته وتتبع تطوره فى العمارة الإسلامية عامة والعمارة العثمانية خاصة ، على أن نفرد للعناصر المعمارية والزخرفية دراسة مستقلة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

ونستطيع فى ضوء الأدلة الأثرية المتوفرة لدينا الآن ، أن نحصر تخطيطات هذه المساجد الباقية فى ثلاثة أنماط من التخطيط لكل منها سماته العامة وخصائصه الرئيسية التى ظهرت فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ العمارة الإسلامية ، والتى ظلت تواصل نموها وتطورها فى الفترات اللاحقة حتى بلغت الغاية ووصلت إلى قمة النضج والإزدهار فى العمارة العثمانية التى تمثل كما هو معروف المرحلة الأخيرة من مراحل تطور العمارة الإسلامية عامة .

أولاً: النمط الأول :

ويمثله تخطيط مسجد ترمذ ويؤرخ بالقرن ٥ هـ / ١١ م^(١) ، وهو يشبه إلى حد كبير تخطيط مسجد بلخ ويؤرخ بالنصف الأول من القرن ٣ هـ / ٩ م^(٢) وتخطيط كل منهما يتكون من مساحة مربعة قسمت إلى ثلاثة أروقة متقاطعة غطيت كلها بالقباب المتماثلة ويبلغ عددها تسع قباب بواقع ثلاث قباب بكل رواق . (شكلا ١٢٠ - ١٢١) .

وينتمى إلى هذا النمط أيضاً مسجد مغاك عطاري في بخارى ويؤرخ بالقرن ٦ هـ / ١٢ م وهو يقدم لنا صورة عن العمارة القره خانية في أحسن درجات تطورها ، ويمكن اعتبار تخطيطه المرحلة المبكرة التي استمد منها تخطيط المساجد ذات الأروقة دون الصحن بالأناضول فيما بعد^(٣) .

وقد تناولت في دراسات سابقة أصل هذا النمط من التخطيط ثم تتبعته مراحل تطوره في العمارة الإسلامية عامة والعمارة العثمانية خاصة ، ومن ثم فلا حاجة بنا إلى تكرار القول في هذا الموضوع^(٤) .

(١) Hillenbrand (R)., Abbasid Masques in IRAN (Rivista Degli studi ORIENTALI, vol, lix , fasc. 1 - 1v , Roma 1987 .) PP. 202 , 208 .

(٢) GOLMBEK (L.), Abbasid mosque at balkh oriental ART , XV / 3 - 1969 . PP . 173 - 189 .

(٣) أصلان آبا (أوقطاي) : فنون الترك وعمائرهم - ترجمة أحمد عيسى - إستانبول ١٩٨٧ م - ص ١٣ .

على المليجي : المرجع السابق - ص ٩٦ .

(٤) محمد حمزه الحداد : العمارة الإسلامية في مصر - من الفتح العثماني إلى نهاية عهد محمد علي - المدخل - القاهرة ١٩٩٢ م - ص ص ١٧ - ٢١ ، ٣٦ - ٣٩ . وانظر أيضاً الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ثانياً : النمط الثانى :

ويمثله تخطيط مسجد طلختان بابا الذى يقع على بعد ٣٠ كم من مدينة مرو القديمة ، وهو مبنى بالطوب الآجر ويؤرخ بأواخر القرن ٥ هـ / ١١ م أو أوائل القرن ٦ هـ / ١٢ م ^(١) .

ويتكون تخطيط هذا المسجد (شكل ٥٤) من مساحة مستطيلة ١٠ × ١٨ م قسمت بواسطة بئكتين إلى ثلاثة أروقة أوسطها أوسعها وأهمها ، وتتكون كل بئكة من عقدتين يرتكزان على دعامة ضخمة مربعة فى الوسط وعلى كتفين بارزين ملتصقين أحدهما بجدار القبلة (الجنوبى) والآخر فى الجدار المقابل (الشمالى) ، وتسير هذه العقود عمودية على جدار القبلة .

والرواق الأوسط عبارة عن مساحة مربعة يتوسط صدرها (الضلع الجنوبى منها) المحراب ويقابله بالواجهة الرئيسية (الشمالية) باب الدخول الرئيسى للمسجد وهو على هيئة عقد كبير متسع ، ويغضى هذا الرواق قبة ضخمة منطقة انتقالها عبارة عن أربع حنايا ركنية بواقع حنيه بكل ركن من الأركان

أما الرواقان الجانبيان فكل منهما عبارة عن مساحة مستطيلة عمودية على جدار القبلة ، ويشرف كل رواق على المساحة الوسطى من خلال عقدى البائكة السابق الإشارة إليها ، ويغضى كل رواق قبوين متقاطعين صغيرين ، كذلك يحتوى كل رواق منهما على باب للدخول بالواجهة الرئيسية للمسجد ، وهو على هيئة عقد أيضا ولكنه أقل اتساعا من عقد الباب الرئيسى الذى يتوسط الواجهة الرئيسية للمسجد كما سبق القول .

(١) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١١

على المليجى : المرجع السابق - ص ٩٥

هذا ويخلو الرواق الأيمن (الغربى) من فتحات الشبايك ، بينما يحتوى الرواق الأيسر (الشرقى) على فتحة شبك على يسار المحراب بجدار القبلة وذلك تجاه باب الدخول لهذا الرواق بالواجهة الرئيسية للمسجد . (شكل ٥٤)

ولهذا التخطيط أهمية كبرى فهو من جهة يمثل أقدم نموذج باق معروف ، حتى الآن للمرحلة الأولى من مراحل تطور المسجد أو الجامع القبة فى العمارة الإسلامية ، كما أنه يعد من جهة ثانية أساساً لعدد من مراحل التطور فى العصور اللاحقة ^(١).

وهو ما سنحاول توضيحه وإبرازه فيما يلى :

المرحلة الأولى : وفيها لم يعد التخطيط قاصراً على مجرد المساحة المربعة التى تعلوها القبة وتتقدمها السقيفة أم لا ، وإنما قام المعمار بتوسيع هذه المساحة من الجانبين (المحور العرضى) عن طريق إضافة رواقين أو إيوانين عموديين على جدار القبلة ويشرفان على المساحة الوسطى ، ويغطى كل منهما إما القباب أو الأقبية أو الاثنين معاً ، وفى أحيان قليلة استخدمت الأسقف المسطحة كما سنشير فيما بعد

ويمثل مسجد طلختان بابا أقدم النماذج الباقية المعروفة ، حتى الآن ، لهذه المرحلة المتطورة ، وفيه قام المعمار بإضافة رواقين جانبيين عموديين على جدار القبلة ويشرفان على المساحة الوسطى المربعة ، ويغطى كل رواق منهما قباوين متقاطعين صغيرين كما سبق القول . (شكل ٥٤) .

(١) أصلان آبا : المرجع السابق و الصفحة نفسها .

sozen (m.). turkmimarisingelis imi vemimarsinan . istanbul. 1975 p.3 - 4.

the evolution of turkish art and architecture - Istanbul 1987 p 14

هذا ويلاحظ أنه يغلب على تصميم هذا المسجد الاتجاه الطولى (أى العمودى على جدار القبلة) وهو ما سنشاهده فى العديد من النماذج التى تنتمى إلى هذا التخطيط ، بينما يغلب على تصميم بعض النماذج الأخرى الاتجاه العرضى (أى الموازى لجدار القبلة) .

وقد ظل هذا النمط من التخطيط سائداً ومنتشراً فى الأقطار العربية والإسلامية طيلة قرون عديدة ويمكن أن نميز بين نماذجه المختلفة الباقية وذلك على النحو التالى :

النموذج الأول :

وهو الذى لا يتقدم فيه واجهة المسجد رواق خارجى أو سقيفة كما هو الحال فى مسجد طلختان بابا (شكل ٥٤) ، ومن بين الأمثلة الباقية نذكر كل من : مسجد باميان^(١) . بأفغانستان ويؤرخ بالقرن ٦ هـ / ١٢ م ، ومسجد رستم جلبى (كودوك منار) فى توقات ويؤرخ بالنصف الأول من القرن ٩ هـ / ١٥ م^(٢) ، ومسجد الأغوات (أو الحجرة الصغيرة) داخل قصر طوبقا بوسراى بإستانبول ويؤرخ بأواخر القرن ٩ هـ / ١٥ م^(٣) ، وجامع أحمد باشا

(١) Godard (A.) , L, origine de la madrasa, de la mosquee et du caravanserail a quatre iwans. ARS - ISLAMICA vols. XV - xvi univeristy of michigan press, 1951 p.5 - fig 4 .

(٢) GABRIEL (A.), MONUMENTS TURCS D. ANATOLIE, TOME DEUXIEME, PARIS . 1934 . PP . 87- 88 .

(٣) KURAN (A.), THE MASQUE IN EARLY OTTOMAN ARCHITECTURE .

CHICAGO, 1968. PP. 184 - 188

بديار بكر ٩٩٥ - ٩٩٩ هـ / ١٥٨٦ - ١٥٩٠ م^(١). (أشكال ٥٥ - ٥٧) .

كذلك فقد استخدم هذا التخطيط في تصميم بعض المساجد الملحقه بالمدارس ومنها المسجد الملحق بالمدرسة المرجانية ببغداد (مدرسة)^(٢) .
(شكل ٥٨) .

والمسجد الملحق بالمدرسة الأشرفية الكبرى بتعز باليمن ٨٠٠ - ٨٠٣ هـ / ١٣٩٧ - ١٤٠٠ م^(٣) (شكل ٥٩) .

(١) sozen (m.) DIYARBAKIR.DATURK MIMARISI . ISTANBUL, 1971. PP. 95 - 98 .

ASLANAPA (O) . OSMANLI DEVR

ومنها المساجد الملحقه بكل من مدرسة أبو الفوارس فى معرة النعمان ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، والمدرسة السلطانية ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، والمدرسة الشرفية ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م والمدرسة الكاملية وتؤرخ بالنصف الاول من القرن ٧هـ / ١٣م بحلب (١).

ومن أنواع العمائر الأخرى التى صممت وفق هذا التخطيط المشاهد، ومن أمثلتها نذكر كل من : مشهد خضرة الشريفة بالقرافة الكبرى جنوب القاهرة (٥٠١هـ / ١١٠٧م) والمشهد بأسوان ٤٩٤ - ٥٠٤ هـ / ١١٠٠ - ١١١٠م. (٢) (شكل ٦٠).

النموذج الثانى :

وفيه يتقدم الواجهة رواق خارجى (سقيفة مغطاه فى الغالب بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معا ، وفى أحيان قليلة يغطى هذا الرواق بسقف مسطح كما هو الحال فى مشهد السيدة رقية بالقاهرة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م (٣) . (شكل ٦١).

ومن الملاحظ أنه يغطى كل من الايوانيين الجانبيين بهذا المشهد سقف مسطح مثل مشهد خضرة الشريفة ، أما المشهد بأسوان فيغطى كل من هذين الايوانين قبو برمبلى . (شكل ٦٠).

كذلك تجدد الإشارة إلى أنه يغلب على تصميم مشهد السيدة رقيه الاتجاه العرضى ، أى الموازى لجدار القبلة ، وهو الأمر الذى يمكن أن نلاحظه فى

(١) عادل نجم عبو : المدرسة فى العمارة الأيوبية فى سوريا - (مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية - مج ٢٤ - ج ١ - ٢ ، ١٩٧٤م) ص ص ٨٢ ، ٨٧ - ٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٩ ، (أشكال ٦ ، ١١ ، ١٥).

(٢) CRESWELL (K.A.C.) THE muslim architecture of egypt. vol . i, oxford. 1952 .pp. 223 - 225 .

(٣) موسوعة أسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة - منظمة العواصم والمدن الإسلامية - ١٩٩٠م ص ص ٥١ - ٥٤ .

ومن البلاد العربية التي انتشر فيها هذا التخطيط العراق ، وما تزال مدينة بغداد تحتفظ ببعض الأمثلة ومنها جامع المرادية ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤ م وجامع الاحمدية

وكل من : جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/١٥٧٤م ، وجامع السنانية ٩٩٥-٩٩٩هـ/ ١٥٨٦-١٥٩٠م بدمشق^(١). (شكلا ٣٣-٣٤).

المرحلة الثانية :

وهي تعد أكثر تقدما وتطوراً من المرحلة السابقة ، حيث لم يقتصر التطور على مجرد توسيع المساحة الوسطى للمسجد من الجانبين فحسب ، وإنما امتد التطور فشمل أيضا ، علاوة على ذلك ، توسيع هذه المساحة من ناحية جدار القبلة (الناحية الجنوبية) عن طريق إضافة إيوان بارز مغطى غالبا بقبة أونصف قبة وأحيانا بقبو .

وبهذه الإضافة الجديدة صار تخطيط المسجد على هيئة حرف T.

ومن بين نماذج هذه المرحلة نذكر كل من : جامع السلطان بايزيد في أماسيا ٨٩١هـ/١٤٨٦م^(٢) ، وجامع أحمد بك أورنوس في يانيس فردار (غرب سالونيك باليونان) ٨٩٦هـ/١٤٩٠م^(٣). (شكل ٣٥-٣٦).

وجامع عتيق على باشا في استانبول ٩٠٢هـ/١٤٩٦م^(٤). (شكل ٣٧) وجامع المرادية في مغنيسة ٩٩١-٩٩٤هـ/١٥٨٣-١٥٨٥م^(٥). (شكل ٣٨).

(١) إنظر ص ١٢٠ - ١٢٥ من هذا الكتاب .

(٢) GABRIEL, MONUMENTS TURCS, TOME DOME DEUX- IEME, PP. 33 - 40 KURAN, OP. CIT, PP. 172- 175.

KIEL, OP. CIT, PP. 317 - 329 . (٣)

KURAN, OP. CIT, PP. 189 - 193. (٤)

GOODWIN , OP. CIT, PP. 317 - 321. (٥)

ASLANPA, OP. CIT, PP. 229 - 300 .

ويمكن أن نضيف إلى هذه المرحلة أيضا بضعة نماذج أخرى ولكنها لا تأخذ هيئة حرف T كما هو الحال في النماذج السابقة ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك جامع محرمية سلطان في اسكدار ٩٥٥هـ/١٥٤٨م (١) . (شكل ٣٩) وهو عبارة عن مساحة مربعة قسمت إلى ثلاثة أروقة أوسطها أوسعها وأهمها وهو مغطى بقبة رئيسية ضخمة تتقدمها جهة القبلة (الجنوب) نصف قبة أما الرواقين الجانبيين فيغطي كل رواق منهما قبة على جانبي القبة الوسطى الرئيسية ، فضلا عن قبتين صغيرتين بالركنيتين العلويتين وذلك على جانبي نصف القبة بواقع قبة بكل جانب .

هذا ويتقدم الواجهة الرئيسية (الشمالية) لكل النماذج السابقة رواق خارجي (أو سقيفة) مغطى بالقباب الصغيرة .

المرحلة الثالثة :

ونمثل آخر مراحل التطور لهذا النمط وفيها تمكن المعمار من توسيع المساحة الداخلية للمسجد من الجانبين (المحور العرضي) ومن العمق (المحور الطولي) على حد سواء ويمكن أن نميز بين نموذجين في هذه المرحلة وهما :

النموذج الأول :

ويلاحظ فيه أن المعمار قام بزيادة عمق المسجد من جهة القبلة (الجنوب) وذلك بإضافة نصف قبة تتقدم القبة الوسطى المركزية ، ويكتنفها من جانبيها قبتان صغيرتان بواقع قبة بكل ركن ، وبذلك أصبح يغطي كل من الرواقين الجانبيين (الغربي والشرقي) ست قباب (بدلا من أربع قباب في النمط القديم) بواقع ثلاث قباب بكل رواق . ويعد جامع السلطان محمد الفاتح القديم (قبل

(١) أصلان آبا : المرجع السابق ص ١٩٨ .

Gabriel, op. cit, 383 - 384 .

yetkin, op. cit, pp. 201 - 202 .

تجديده فى عام ١١٨٥هـ / ١٧٧١م (٨٦٧ - ٨٧٥هـ / ١٤٦٢ - ١٤٧٠م) أول جامع كبير صمم وفق هذا التخطيط بمدينة إستانبول^(١) ، ويلاحظ أنه يتقدم الجزء المغطى فى هذا الجامع الحرم (شكل ٤٠) .

ومن النماذج التالية التى صممت وفق هذا التخطيط أيضا كل من جامع ترخان بكوزلوه بالقرم ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م ، وجامع السليمية بقونية ٩٧٤ - ٩٨٢هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤م^(٢) . (شكلا ٤١ - ٤٢) .

ومن الملاحظ أنه لا يتقدم الجامع فى هذين النموذجين الحرم كما هو الحال فى جامع الفاتح وإنما إقتصر الأمر على مجرد رواق خارجى (سقيفة) مغطى بخمس قباب فى الجامع الأول وسبع قباب فى الجامع الثانى . شكلا (٤١ - ٤٢) ومن النماذج المتميزة التى صممت وفق هذا التخطيط جامع شرف الدين بقونية ١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م^(٣) . (شكل ٤٣) إلا أنه يلاحظ أنه قد أضيف إلى هذا الجامع من جهة الشمال رواق داخلى غطى هو وكل من الرواقين الجانبيين (الغربى والشرقى) بالاقبية المتقاطعه وليس بالقباب كما هو الحال فى النماذج السابقة هذا من جهة ومن جهة ثانية يلاحظ وجود إيوان صغير مغطى بنصف قبة يبرز عن جدار القبلة (الجنوب) ويتوسط صدر هذا الإيوان المحراب وهو ما لا نجده فى النماذج السابقة ويتقدم واجهة هذا الجامع الشمالية رواق خارجى (سقيفة) مغطى بسبع قباب كما هو الحال فى جامع السليمية بقونية أيضا . (شكلا ٤٢ - ٤٣)

(١) KURAN, Op. Cit, p. 193 - GOODWIN, Op. Cit, pp. 121 - 123 .

(٢) sozen, Op. Cit, pp 170 - 173 .

Aslanapa, Op. Cit, p. 193 .

Goodwin, Op. Cit, pp. 117 - 121 .

KURAN, op . cit , P . 193 . (٣)

Aslanapa, Op. Cit, pp. 341 - 342 .

الحال فى جامع السلطان بايزيد ، قام المعمار سنان بتغطية كل رواق بخمسة قباب رتبها بالتبادل وذلك بواقع قبة كبيرة تليها قبة صغيرة وهكذا^(١) ويلاحظ أنه يتقدم الجزء المغطى فى هذا الجامع الحرم أيضاً.

ومن النماذج المتميزة التى صممت وفق هذا التخطيط جامع قليج على باشا بإستانبول ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م^(٢). (شكل ٤٦) إلا أنه يلاحظ أنه قد أضيف إلى هذا الجامع من جهة الشمال رواق داخلى غطى هو وكل من الرواقين الجانبيين (الغربى والشرقى) بالأقبية المتقاطعة وليس بالقباب كما هو الحال فى النماذج السابقة هذا من جهة ومن جهة ثانية يلاحظ وجود إيوان صغير مغطى بنصف قبة يبرز عن جدار القبلة (الجنوب) ويتوسط صدر الإيوان المحراب وهو مالا يجده أيضاً فى النماذج السابقة

كذلك يتقدم واجهة هذا الجامع الشمالية رواق خارجى (سقيفة) مغطى بخمس قباب صغيرة .

ونحن ما يمكن القول بأنه إذا كانت كل المساجد والجوامع السابقة تكاد تتفق مع بعضها البعض فى التخطيط العام وفى المميزات الرئيسية لكل مرحلة ، إلا أنها تختلف مع بعضها من حيث التفاصيل والنسب والابعاد وبعض العناصر المعمارية والزخرفية فلكل جامع منها شخصية مستقلة قائمة بذاتها .

(١) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١٩٨ ، ٢٠٠ .
Gaberiel, Op. Cit., PP. 376 - 378 .
(٢)
Oz, Op. Cit., PP. 39 - 61.
Sozen, Op. Cit., P. 205 .
Aslanapa, Op. Cit., PP. 294 - 298 .

النمط الثالث :

ويمثلة تخطيط مسجد خزار قرب بخارى وهو مبنى بالطوب اللبن والطوب
الآجر ويؤرخ بالقرن ٥ هـ / ١١ م^(١). (شكلا ٤٧-٤٧ م).

ويتكون تخطيط هذا المسجد من مساحة مربعة يتوسط صدرها (الضلع
الجنوبى منها) المحراب وتحتوى هذه المساحة فى وسطها أربع دعائم مستديرة
قصيرة تنطلق من فوقها العقود ويبلغ عددها إثنا عشر عقداً بواقع ستة عقود تسير
موازية لجدار القبلة ، ومثلها تسير عمودية على ذلك الجدار وهو الأمر الذى نتج
عنه وجود تسع مساحات صغيرة منها خمس مساحات مربعة وأربع مساحات
مستطيلة ، وقد غطيت المساحات المربعة بالقباب بواقع قبة وسطى مركزية قطرها
٦٥٠ م وأربع قباب صغيرة فى الأركان بواقع قبة بكل ركن . قطرها ٦٠ م ٣٠ م أما
المساحات الأربع المستطيلة فتحيط بالقبة المركزية من جهاتها الأربع وقد غطيت
كلها بالأقبية (شكل ٤٧-٤٧ م) .

ولهذا التخطيط أهمية كبرى فهو من جهة يمثل أقدم نموذج باق معروف
حتى الآن، فى العمارة الإسلامية بصفة عامة ، كما أنه يعد من جهة ثانية
الأساس الذى تطور عنه التخطيط المركزى فى العمارة العثمانية وهو التخطيط
الذى بلغ غايته على يد المعمار العظيم سنان فى النصف الثانى من القرن
١٠ هـ / ١٦ م^(٢) .

وهو ما سنوضحه فيما يلى :

(١) أصلان آبا : المرجع السابق ص ١١ .
على المليجي : المرجع السابق - ص ٩٤ .

Hillenbrand, op. cit, pp

Sozen, the evolution of turkish art and architecture, p. 14.

(٢) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١١ ، ١٩٦ .

Sozen, Op. Cit, P. 14.

Goodwin, Op. Cit., P. 33 .

Kuran, Op. Cit., P. 198 .

والحق أنه لا تقابلنا نماذج معروفة باقية حتى الآن صممت وفق هذا التخطيط ترجع إلى الفترة الواقعة فيما بين القرنين ٥ - ٩هـ / ١١ - ١٥ م . وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن تخطيط جامع السلطان محمد جلبي في ديموتيقا باليونان ٨٢٤هـ / ١٤٢١م يعد إحياء لتخطيط مسجد خزار من جهة كما أنه يعد من جهة ثانية خطوه هامة نحو تطوير التخطيط المركزى^(١).

ويتكون تخطيط هذا الجامع من مساحة مربعة يتوسطها صدرها المحراب ، وتحتوى هذه المساحة فى وسطها أربع دعائم مثمثة تنطلق من فوقها العقود ويبلغ عددها اثنا عشر عقدا بواقع ستة عقود تسير موازية لجدار القبلة ومثلها عمودية على ذلك الجدار وهو الأمر الذى نتج عنه وجود تسع مساحات الوسطى منها ، وهى المحصورة فيما بين الدعائم الأربع ، مربعة وقد غطيت بقبة مرتفعة قطرها ١٣ م .

أما المساحات الثمانية الأخرى فمستطيلة وقد غطيت المساحات الأربع المحيطة بالقبة الوسطى المركزية بأقبية برميلية، بينما غطت المساحات الأربع التى بالأركان بأقبية متقاطعة ، ويتقدم هذا الجامع رواق خارجى (سقيفه) مغطى بثلاث قباب متماثلة (شكل ٤٨) ويمثل جامع الفاتحية الصغير فى أثينا ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م أول تطور لتخطيط جامع السلطان محمد جلبي فى ديموتيقا حيث اكتملت فيه عناصر التخطيط المركزى التقليدى وهى القبة الوسطى المركزية التى تحيط بها أربعة أنصاف قباب فضلا عن أربع قباب صغيرة فى الأركان^(٢). (شكل ٤٩).

ويتقدم هذا الجامع رواق خارجى (سقيفه) أيضا مغطى بخمس قباب صغيرة متماثلة ، إلا أنه لا يرجع إلى تاريخ الإنشاء وإنما أضيف فى تاريخ لاحق .

(١) أصلان آبا : المرجع السابق - ص ١٧٨ - ١٧٩ .

على الملهى : المرجع السابق - ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

Kuran, Op. Cit., P. 196 .

Aslanapa, Op. Cit., p. 103 .

(٢)

رواق خارجي (سقيفة) وإنما اضيفت إليه من الجهة الشرقية مساحة كبيرة يتوسط صدرها المحراب وتحتوى هذه المساحة على بائكة موازية لجدار القبلة تتكون من أربعة عقود، وعلى يسار المحراب توجد المئذنة أما المدخل فيوجد في الضلع الشرقي . (شكل ٥٨) .

هذا ولم يقتصر هذا التخطيط على الجوامع فحسب بل صممت على أساسه بعض العنائر المدنية ومنها مكتبة راغب باشا باستانبول ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م^(١) .

وهي عبارة عن قبة وسطى مركزية تحيط بها أربعة أقبية فضلا عن أربع قباب في الأركان ، ويتقدم الواجهة رواق خارجي (سقيفة) مغطى بقبتين جانبيتين يتوسطها قبة . (شكل ٥٩) .

وختاما يمكن القول بأنه إذا كانت النماذج السابقة تكاد تتفق مع بعضها البعض في التخطيط العام وفي المميزات الرئيسية، إلا أنها تختلف عن بعضها من حيث التفاصيل والنسب والأبعاد وبعض العناصر المعمارية والزخرفية فلكل نموذج منها شخصية مستقلة قائمة بذاتها .

وبعد فإنه يتضح مما تقدم عرضه مدى أهمية تخطيطات المساجد المبكرة الباقية في أسيا الوسطى التي تناولناها بالبحث والدراسة والتحليل ، فقد ثبت أنها تمثل أقدم نماذج باقية معروفة حتى الآن . من جهة كما أنها تعد من جهة ثانية الأساس الذي تطورت عنه العديد من التخطيطات في العمارة الإسلامية عامة والعثمانية خاصة ، فإنه على الرغم من أن هذه التخطيطات وبخاصة النمطين الأول والثاني ، قد ذاعت وانتشرت في الأقطار العربية والإسلامية المختلفة ، إلا

أنه لم يقدر لها أن تتطور تطوراً كبيراً وتصل إلى درجة الكمال والنضج إلا على يد المعمارين العثمانيين عامة والمعمار العظيم سنان ومن نهج نهجه خاصة .

ويرجع الفضل إلى المعمار سنان في أنه تعهد هذه الانماط التخطيطية الموروثة بالإضافة والابتكار والتطور حتى بلغ بها الغاية وحقق لها الكمال وهو الأمر الذى رفعه إلى مصاف عباقرة المعمارين فى العالم ، فمن بين النماذج التى قمنا بدراستها وقام المعمار سنان بتشيدها كل من محرمة سلطان باستانبول واسكدار ورستم باشا وسنان باشا وقليج على باشا وزال محمود باشا والمرادية فى مغنيسة وتترخان بكوزلوه بالقرم والسلیمانية باستانبول وهى تعد استمراراً لنموذج مسجد طلختان بابا من جهة وتطوراً له من جهة ثانية أما جامع شاهزاده باستانبول فيمثل الغاية التى وصل إليها تخطيط مسجد خزار من جهة كما أنه يعد من جهة ثانية النموذج المثالى للتخطيط المركزى والذى صار اماما نسج على منواله فى الفترات اللاحقة سواء فى تركيا نفسها أو فى بعض البلاد العربية كما سبق أن بينا فى متن البحث .

وختاماً توصى هذه الدراسة بضرورة الاهتمام بصيانة وترميم التراث المعمارى الإسلامى فى أسيا الوسطى وتدير الأموال اللازمة لذلك من جهة ودراسة هذا التراث دراسة علمية أصيلة ومنظمة من جهة ثانية حتى يمكن سد الثغرات وملء الفجوات التى تقابل الدارسين للعمارة الإسلامية .

ومما له دلالة فى هذا الصدد أن إجراء الحفائر العلمية المنظمة فى المواقع الأثرية العديدة المنتشرة فى مدن أسيا الوسطى سوف يفسر بمشيئة الله تعالى عن نتائج عظيمة مبهرة فى مجال دراسة العمارة الإسلامية ، والفنون الزخرفية على حد سواء كذلك يجب القيام بحركة ترجمة منظمة على نطاق واسع لكل ما كتب عن العمارة الإسلامية فى أسيا الوسطى باللغات الأجنبية وخاصة الروسية

فضلا عن اللغات الشرقية لما لذلك من أهمية كبرى لا تخفى على الباحثين والدارسين للعمارة الإسلامية .

وبعد فإذا كنت قد وفقت فيما فقدت إليه فله الحمد وهو من وراء القصد خير معين وإن كنت قد قصرت فحسبى أن يكون هذا البحث نواه صالحة للمزيد من الدراسات التحليلية حول العمارة الإسلامية عامة، والعمارة في المشرق الإسلامي وأسيا الوسطى وأسيا الصغرى خاصة .

الفصل الرابع
التخطيط غير التقليدي للمساجد فى الأندلس
دراسة تحليلية مقارنة لأصوله
وتطوره فى العمارة الإسلامية

نشر هذا البحث فى مجلة دراسات آثارية إسلامية التى يصدرها المجلس الأعلى
للآثار - المجلد الخامس - القاهرة ١٩٩٥ م وكان هذا البحث قد ألقى فى ندوة الأندلس:
الدرس والتاريخ التى عقدت بمركز المؤتمرات بالشاطبي والتى نظمتها كلية الآداب -
جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع رابطة الجامعات الإسلامية فى الفترة ١٣ - ١٥ إبريل
١٩٩٤ .

وقد حظيت العمارة الدينية في الاندلس بتصويب وافر من هذه الأبحاث وتلك الدراسات غير أنه يلاحظ أن غالبيتها ، قد ركزت بصفة خاصة على دراسة التخطيط التقليدي للمساجد والجوامع (التخطيط ذو الاروقه حول صحن أو وسط مكشوف) الذى يمثل جامع قرطبة الأشهر انموذجه الرئيسى الذى صار بحق اماما نسج على منواله سواء فى الاندلس أو فى المغرب ^(١) مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والعناصر والنسب والملحقات (شكلا ٩ - ١٠) .

ولذلك وقع اختيارى على دراسة بعض المساجد الأندلسية الأخرى التى صممت وفق نظام تخطيطى آخر يغاير النظام التخطيطى التقليدى المعروف والشائع فى العمارة الإسلامية بصفة عامه سواء بصورته الغربية التى يمثلها جامع قرطبه أو بصورته الشرقية التى يمثلها جامع الرسول صلى الله عليه وسلم ^(٢) (شكل ٤) .

coleccion. de Arquitectura Espanols.

Terrase (H.).L'art Hispano - Mauresque, des origines au XIIIe, siecle. Paris, 1932.

Lambert (E.) Les Mosques de Type Andalou en Eapagne et en Afrique du nord, al - Andalus, Vol. Xiv. fase. 2. 1949. pp. 273 _ 289).

Golvin (l.) Essai sur L' Architectur Religieuse Muslman, vol 4, Art Hispano, Klinksieck, 1979.

Barrucand (M), Et Bednorz (A), Arquiteura Islámica En Andalucia, Italy, 1992.

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس - ج ١ - بيروت ١٩٧٠م ص ٣٥٩ - ٣٦٢ ، العمارة الإسلامية فى الأندلس - ص ٩١ - ٩٥ .

(٢) يمثل جامع الرسول صلى الله عليه وسلم الانموذج الرئيسى للتخطيط التقليدى الشائع فى تصميم المساجد والجوامع الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء وجوهر هذا = التخطيط هو الصحن الاوسط المكشوف والاروقة المحيطة به وأهمها رواق القبلة (المقدم)

أولاً : النمط الأول : التخطيط ذو الاروقة دون الصحن الأوسط المكشوف :

يمثل هذا النمط النظام التخطيطي الثاني الذي صممت على أساسه المساجد والجوامع في العمارة الإسلامية وترجع أقدم أمثله الباقية في ضوء الأدلة الأثرية المتوفرة حتى الآن إلى أواخر العصر الأموي كما سنشير فيما بعد ثم لم يلبث أن أخذ في الانتشار والتطور في غالبية الأقطار العربية والإسلامية تماماً مثل التخطيط التقليدي المعروف .

هذا ولم يقتصر هذا التخطيط على المساجد والجوامع فحسب ، بل صممت على أسامه المدارس وبعض العماثر المدنية (شكلا ١١٦ - ١٤٤) والجنائز (شكل ١٢٢) كما سنشير فيما بعد .

ويتكون هذا التخطيط في جوهره من مساحة مستطيلة أو مربعة تقسم إلى اروق (بلاطات)^(١) بواسطة عدد من البائكات يختلف من مسجد لآخر ،

(١) يتضح من خلال ما ورد في المصادر التاريخية المختلفة ، ولا سيما كتب المؤرخين والرحالة ، أنه لم يكن هناك ثمة فرق بين كل من لفظي (الرواق والبلاطة) كما هو شائع ومتداول في المراجع العربية الحديثة ، ويكاد ينحصر الخلاف الوحيد بين اللفظين في أن الأول منهما (وهو الرواق) هو المصطلح السائد استعماله في الشرق الإسلامي ومصر أما اللفظ الثاني (وهو البلاطة) فهو المصطلح السائد استعماله في الغرب الإسلامي وقد ساعد الرحالة المغاربة في نشر هذا المصطلح وذيعه عند حديثهم عن العماثر والآثار المختلفة التي شاهدوها في الشرق .

المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ليدن ١٩٠٦م ص ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣١٦ ،

البكري : المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب - طبعة دي سلان ١٨٥٧م - ص ص ٢٣ - ٢٤ .

الأدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق - مج ٢ ص ٥٧٦ .

ابن جبير : الرحلة . ص ص ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار - ج ٤ - ص ٦٨ .

وتتكون هذه البائكات من صفوف من الأعمدة أو الدعامات ، ترتفع فوقها عقود
أما أن تتجه موازية لجدار القبلة أو عمودية على ذلك الجدار ، وأما أن تتجه موازية
وعمودية على جدار القبلة في آن واحد ولا سيما في المساجد والجوامع المغطاه
بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معا ، وفي بعض الأحيان يرتكز السقف على
الأعمدة أو الدعامات دون وساطة العقود ، وفي أحيان أخرى يحل محل هذه
العقود كمرات خشبية فوق الأعمدة أو الدعامات تحمل السقف .

هذا وقد تنوعت التغطيات في هذا التخطيط طبقا للظروف البيئية والمناخية
فمنها الأسقف الخشبية المتنوعة ، ومنها الأسقف الحجرية التي لا تخرج عن
القباب أو الأقبية أو الاثنين معا ، وتنفرد بعض النماذج المتأخرة بالجمع بين
الأسقف الحجرية والخشبية في تغطيتها .

ونضيف على ذلك فنذكر أنه اذا كانت المساجد والجوامع التي صممت
وفق هذا التخطيط تكاد تتفق مع بعضها البعض في التخطيط العام والمميزات
الرئيسية ، الا أنها تختلف فيما بينها في بعض الوحدات والعناصر والتفاصيل
سواء أكانت معمارية أم زخرفية فإن لكل مسجد أو جامع شخصية مستقلة قائمة
بذاتها .

ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب - ط ٣ بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٢٢٩ ، ٣٣٤ .

الحميرى : الروض المعطار في خبر الاقطار - تحقيق احسان عباس ط ٢ - بيروت ١٩٨٠ م
- ص ٤٥٧ .

المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب - ج ٢ - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد - ط ١ - القاهرة ١٩٤٩ م - ص ٨٥ - ٨٧ .

ولمزيد من التفاصيل انظر : الفصل الأول من هذا الكتاب ص ص ٣٧ - ٦٥ .
محمد حمزة الحداد : المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية - ط ١
القاهرة ١٩٩٦ م ص ص ٤٠ - ٦٩ .

نخلص مما تقدم إلى القول بأن هذا التخطيط يكاد يتفق في جوهره مع التخطيط التقليدي إلا أنه يخلو من وجود الصحن الأوسط المكشوف وهو العنصر الملازم للتخطيط التقليدي منذ نشأته بجامع الرسول صلى الله عليه وسلم وخلال مراحل تطوره في الشرق والغرب على السواء ، فضلا عن المجتبتين والمؤخر .

هذا ويحتفظ طليطله ^(١) بمسجدين صمما وفق هذا التخطيط أحدهما

(١) طليطله Toledo (شكل ١٠٩) بضم الطاء الأولى والثانية مدينة قديمة للغاية ازدهرت في عصر الرومان ثم لم تلبث أن أصبحت ، قاعدة القوط ودار مملكتهم ، وظلت طليطله بعد الفتح الإسلامي محافظة على مكانتها الهامة وكانت تضم أكبر طائفة من المستعربين والمولدين واليهود وكانت مزاجا لعناصر وتقاليد لاتينية وقوطية وأخرى عربية إسلامية . وفضلا عن ذلك فقد كان لموقع طليطله الاستراتيجي على نهر تاجه Tajo بضم الجيم وسكون الهاء ، واحاطته لها من ثلاث جهات أثره في مناعتها فلم تسور الا في جهة الشمال . وبعد سنوات طويلة من الثورات المتعددة إنضوت طليطله منذ عام ٣١٨هـ / ٩٣٠م تحت لواء الخلافة الاموية بقرطبة ، وعقب سقوط الخلافة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م بقليل استقل بنو ذو النون بطليطله ٤٢٧ - ٤٧٨هـ / ١٠٣٥ - ١٠٨٥م وفي هذه السنة الاخيرة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م سقطت طليطله في أيدي الفونسو السادس ملك قشتالة فكانت بذلك أول القواعد الاندلسية الهامة التي سقطت في أيدي المسيحيين وكان هذا بداية حركة الاسترداد المسيحي التي قوضت دعائم الإسلام وأزالت سلطان المسلمين عن الأندلس .

وقد ازدهرت العمارة الإسلامية بطليطله أيما ازدهار سواء في عصور الخلافة أو في عصر أسرة ذي النون ، وقد ضمنت اقامة المسلمين بالمدينة عقب سقوطها استمرار الاسلوب المعماري والفني الإسلامي بها . ولزهد من التفاصيل انظر البكري : جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك للبكري - تحقيق عبد الرحمن الحجى - ط١ - بيروت ١٩٦٨ - ص ٨٦ .

الحميرى : الروض المطار - ص ٣٩٤ .

بروفنسال (ليفى) : الإسلام في المغرب والاندلس - ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمي - مراجعة لطفى عبد البديع - الالف كتاب العدد ٨٩ - القاهرة ١٩٥٦م ص ص ١٢٠ - ١٥٠ .

يرجع إلى عصر الخلافة الأموية وهو المسجد المعروف بمسجد الباب المردوم ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م والآخر يرجع إلى عصر الاضطهاد المسيحي وهو المسجد المعروف بمسجد المسلمين أو المدجنين (منزل الدباغين) ويؤرخ بالنصف الثاني من القرن ٦ هـ / ١٢ م^(١) (شكلا ١١٠ ، ١١١) ، ومن المرجح أن هذا التخطيط كان شائعا ومنتشرا في العديد من المدن الاندلسية الأخرى ولا سيما في المساجد الصغيرة (مساجد الصلوات الخمس) أو المساجد الملحقه بالقصور .

والحق فان لمسجد الباب المردوم أهمية كبرى سواء من حيث تخطيطه من جهة أو من حيث اسلوب تغطيته بالقباب المتعدده من جهة ثانية أو من حيث تطور هذه القباب وأهميتها من جهة ثالثة أو من حيث بعض العناصر المعمارية والزخرفية الأخرى من جهة رابعة أو من حيث اشعاع التأثيرات المعمارية والفنية منه من جهة خامسة .

ويكفي لبيان أهمية هذا المسجد أن نشير إلى ما ذكره أحد العلماء البارزين

= السيد عبد العزيز سالم : ما لا يعرفه المسلمون عن حواضر الأندلس الإسلامية (طليطله) ضمن بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار - القسم الأول - بيروت ١٩٩١ م - ص ٥٢٧ - ٥٤١ .

محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية - ص ٨٠ - ٩٢ .
كمال عناني إسماعيل : العمارة الإسلامية في طليطله في العصر الإسلامي - رسالة ماجستير - غير منشورة - جامعة الاسكندرية ١٩٨٩ .

Lambert (E.), Toledo, "Les Villes d'art celebres", Paris, 1925.
Palencia (A,G). Los Mozarabes de toled en XII Y, 2 Vols, Madrid, 1930.
Valereo (clara Deldago), Toledo Islamico, Giudad, Art, Hiseoria, Toledo, 1987.

(١) انظر حاشيه رقم ٢ ص ١٨٤ من هذا الفصل .

بقوله « وقصارى القول فان هذا المسجد على صغره يحتل مكانا ممتازا لرشاقته ، بل باعتباره يمثل امتزاجا بين الفنين القرطبي والمشرقي وانموذجا احتذى فى فن المدجنين الذى تلا ذلك فى قشتاله ، وهو من هذا الوجه لا يعد أقل من جامع قرطبة أهمية من حيث اشعاع التأثيرات الفنية منه » (١) .

وبضيق بنا المقام لو أردنا أن ندرس كل هذه النقاط الهامة بالتفصيل ، خاصة وانها كانت موضع إهتمام ودراسة العديد من العلماء والباحثين (٢) ، ويستثنى من ذلك التخطيط المعماري الذى لم ينل فى هذه الأعمال السابقة ما يستحقه من البحث والتحليل العميق ، ولذلك سوف نكتفى فقط بدراسة هذا التخطيط وإبراز أهميته مع تتبع لاصوله ومراحل نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء .

(١) مورينو : الفن الإسلامى فى اسبانيا - ص ٢٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور - ص ٥٠ - ٥٣ .

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس - ص ٤٠٢ - ٤٠٤ .

قرطبة حاضرة الخلافة - ج ٢ ص ٤٢ - ٤٣ .

مورينو : المرجع السابق - ص ٢٣٧ - ٢٤٦ .

كمال عنانى : المرجع السابق - ص ٢٢١ - ٢٤٦ .

Rivoira G.T.) Moslem Architecture, Oxford . 1918 . pp. 301- 302 - 315 - 316 .

Marcias . op. cit, pp, -238 - 241 .

Terrase , op, cit, pp. 166 - 172 .

lambert (e.). L'architecture , musulmane du Xe. siècle a cordio et a toled . Gazette des beaux arts , Tome , X11 1925 . pp. 142-147.

Ewert (e.) Die Moschee a m Bab al - Mardum in Toledo . Einekopie der Moschee von Cordoba , Madrider Mitteilungen , 18, 1977, s. 329 - 351.

Golvin (L.). op. cit, pp. 104 - 115 .

* التخطيط المعماري لمسجد الباب المردوم : (شكل ١١٠) .

أمر بإنشاء هذا المسجد ، كما يستدل من النص التأسيسي المنقوش أعلى الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد وهي الواجهة الرئيسية ، أحمد بن حديد وتم البناء على يد موسى بن علي البناء وسعاده في المحرم ٣٩٠هـ / ٩٩٩م^(١) .

وقد عرف المسجد بهذا الاسم نسبة إلى باب مجاور له يعرف بالباب المردوم ولم يلبث هذا المسجد أن حول إلى كنيسة عقب استرداد طليطله ، ثم أطلق عليه اسم سانتا كروث Santa Cruz ووجهه الفونسوا الثامن للجمعية الدينية المتصلة بالمستشفى ، ويعرف هذا المسجد حاليا باسم كنيسة الكريستو دي لالوث^(٢) El Cristo de Laluz .

وقد بنيت جدران المسجد بحجر الجرانيت والاجر ، أما قبابه وعقوده من

(١) هذا النص بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديد من ماله ابتغاء ثواب الله فتم بعون الله على يد موسى بن علي البناء ، وسعاده فتم في المحرم سنة تسعين وثلثمائة » .

Ocana Jimenez (M.) La inscripcion fundacional de la mazquita de Bab _ al _ Mardum en Toledo, al _ Andalus, Vol . xiv, Fasc. 1, 1949. pp. 175 - 182 .

محمد عبد الله عنان : المرجع السابق - ص ٨٩ .

كمال عناني : المرجع السابق - ص ٢١٧ .

وتجدر الإشارة إلى أن أحمد بن حديد منشيء المسجد كان قاضي طليطله في ذلك الوقت وهو من اسرة معروفة في هذه المدينة ، وتولى الوزارة أيام إسماعيل بن ذي النون ملك طليطله ، وقد انتهى امره بالقتل على يد القادر بالله يحيى بن ذي النون ٤٦٧ - ٤٧٢هـ / ١٠٧٤ - ١٠٧٩م .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم - ص ٤٠٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور - ص ٥٠ - ٥١ .

مورينو : المرجع السابق - ص ٢٣٧ .

هذا وقد دارت بين العلماء مساجلات عديدة بشأن تخطيط هذا المسجد وأهميته ومصدر اشتقاقه فمنهم من يرى أنه مستوحى من تخطيط الكنائس الفيزيقوطية بل زعم بعضهم أن هذا المسجد كان كنيسة قوطية ^(١).

ويضيف (العالم مارسيه) وهو أحد المتشيعين لهذا الرأي فيذكر « أن تخطيط هذا المسجد بقبابه الثمان المتساوية التي تتوسطها قبة مركزية أكثر ارتفاعا يعد شرا جدا في عمارة الغرب الإسلامي ، وهو - أى مارسيه - يتسائل عما إذا كانت ذات أصول شرقية أم أنها تطبيق لمبدأ القباب المجمع التي نشاهد منها ثلاث قباب بجامع قرطبة ^(٢).

ومنهم من يرى « أن طريقة بناء هذا المسجد الصغير مبتكرة جدا ، وأن التخطيط المربع غير معروف في الغرب الإسلامي إلا في مدافن الشخصيات البارزة والأولياء الصالحين ، وبما أنه لا يوجد ثمة دليل على أن هذا المسجد كان منشأة جنائزية ، فإنه على الأقل يعتبر من الناحية المعمارية البحتة أقدم قبة في الغرب الإسلامي ».

ويضيف (العالم تيراس) فيذكر أنه « يجب البحث عن أصل هذا التخطيط المربع في الشرق ولا سيما في سوريا التي وجدت بها سواء قبل العصر الإسلامي أو خلال ذلك العصر منشآت جنائزية ذات تخطيط مربع ، ومن ثم فهو - أى

Archeologie et d' Histoire d'Art, No. 8 - 9 , November - 1936 , = Mars - 1937 .

Terrase, op. cit, p. 172 .

Rivoira op . cit , p. 302 .

(١)

Lambert L , ARchite ctur ,. p. 38 .

Marcais , op. cit . p 241 .

Ibid, pp 240. 241 .

(٢)

تيراس - يرى أنه ربما بنيت منشآت ذات تخطيط مربع فى سوريا خلال العصر الأموى ذلك العصر الذى بنيت فيه عمائر متأثرة بالعمائر المسيحية ذات التخطيط البازيليكي أو المثلثة التخطيط .

وأخيرا يختم (العالم تيراس) رأيه فيذكر « أن المسألة فى أسبانيا تبدو معقدة لان مسجد الباب المردوم بقبابه التسعة وأعمدته الداخليه يجمع بين المنشآت ذات التخطيط البازيليكي والمركزي وأنه يمكن ارجاع الفضل فى ذلك إلى المعمار الأموى » (١).

ومنهم من يرى أن تخطيط هذا المسجد يعد « ابتكارا جليلا ربما لا يقاربه مسجد آخر فى المشرق أو المغرب اللهم الا ما شيد فى طليطله تقليدا له فى البناء المعروف اليوم بكاشا دى لاس تورنيرياس (منزل الدباغين) وقد شيد ابان السلطان (اى الحكم) المسيحى على ما يظهر » .

ويضيف (العالم مورينو) فيذكر أن « المثال السابق له الذى احتذاه يتجلى فى الكنائس البيزنطية التى سادت فى عهد أباطرة القسطنطينية من أسرة Comnenos كومننين مع انتشارها حتى كالابريا (جنوب ايطاليا) Calabria وصقلية من ناحية وأسيا الصغرى من ناحية أخرى دون أن تصل إلى المناطق الإسلامية » (٢).

ويرى (د. سالم) أنه « اذا كان تخطيط هذا المسجد يقترب من النظام المصلب فإن هذا ليس ناشئا عن تقليد للكنائس البيزنطية أو الفيزيقوطية ، وانما

Terrase, op. cit. pp. 169. 172.

(١)

وانظر أيضا : كمال عناني : المرجع السابق - ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) مورينو: المرجع السابق - ص ٢٣٨ .

هو ناشيء من الفكرة التطورية أو الاهتمام القوى بالتناسق والاحترام الشديد للمحراب ، فان جدران المسجد أقيمت خصيصا لبناء مسجد يتجه نحو الجنوب الشرقي ، (١).

نخلص مما تقدم إلى القول بأن غالبية هؤلاء العلماء يرون أن هذا التخطيط قاصر على الاندلس وغير مسبوق في عمارة الشرق الإسلامي وأنه مستوحى اما من الكنائس البيزنطية المصممة على هيئة الصليب الاغريقي ، واما من الكنائس الفيزيقوطية ، وهذا يعنى أن القرون الأربعة التي عاشتها العمارة الإسلامية حتى ذلك الوقت بما فيها من تطور وابتكار وبعد عن الأصول المعمارية السابقة لم تك شيئا ، بدليل أن المعمار المسلم في الاندلس ما يزال في أواخر القرن ٤ هـ / ١٠ م يستوحى عمائره من العمارة البيزنطية أو العمارة الفيزيقوطية .

ويستثنى من بين هؤلاء العلماء الأجانب (العالم تيراس) الذى اقترب من الحقيقة فذكر أنه يجب البحث عن أصل هذا التخطيط في الشرق ولا سيما في بلاد الشام خلال العصر الأموي كما سبق القول ، الا أنه يوفق في الإهتمام إلى نموذج واحد يدعم به رأيه .

والواقع أن هذا التخطيط نابع من اصول إسلامية سابقة ، حيث أنه يمثل النظام التخطيطي الثانى الذى صممت على اساسه المساجد والجوامع الإسلامية وهو المعروف بالتخطيط ذى الاروقه دون الصحن الأوسط المكشوف كما سبق القول ويستدل من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية المختلفة أن هذا التخطيط قد عرف منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما هو الحال فى

(١) السيد عبد العزيز : المساجد والقصور - ص ٥١ - ٥٢ .

ومسجد خان الزيب ، ومسجد أم الوليد بالأردن ^(١) . (أشكال ١١٢ - ١١٥)
واستخدم هذا التخطيط في تصميم بعض العماائر المدنية كما سبق القول ، ومنها
على سبيل المثال صهريج الرمله (بئر العنيزيه) ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ^(٢) . (شكل
١١٦) ومن النماذج المبكره أيضا مسجد قصر جبل سيس قرب دمشق ^(٣)
(شكل ١٤٤ مكرر) .

= غازى بيته : قصر ومسجد الحلابات - المؤتمر التاسع للآثار فى البلاد العربية المنعقد فى
صنعاء فيما بين ١٦ - ٢٢ فبراير ١٩٨٠ م تونس ١٩٨٥ م ص ص ٨٠ - ٩٢ .
Creswell (K.A.C), Early Muslim Architecture oxford,
1932, pp 284 - 287 .
Kuhnel . op. cit. p. 17.
Creswell op, cit. pp 287 - 288 . (١)

هذا وتجدر الاشارة إلى أن تخطيط هذه المساجد الصغيرة المبكره ربما يكون مستوحى من
اصول غير إسلامية لا سيما وأن استخدام الاقيية من جهة والقباب المتعددة من جهة ثانية
كان شائعا ومعروفا فى العماائر الرومانية المتأخرة والعماائر البيزنطية وتوجد منه نماذج فى
اسيا الصغرى وجنوب ايطاليا والشام والمغرب العربى وغير ذلك ، على أن استمرار هذا
التخطيط وتطوره وانتشاره فى العماره الإسلامية فى الشرق والغرب انما هو ابتكار إسلامى
يرجع الفضل فيه إلى المعمار المسلم الذى استطاع أن يطور هذه الاشكال الموروثة
ويخرجها بهذا الشكل المبتكر البعيد تماما عن اصولها الأولى ، فضلا عن ذلك فقد أثر
هذا التخطيط فى العماائر المسيحية فى الشرق والغرب على السواء ، كما هو الحال فى
الكنائس المسيحية فى مصر واسبانيا وغيرهما .

(٢) كريزول : الآثار الإسلامية الأولى - ص ٣٠٤ - ٣٠٦
كمال الدين سامح : العمارة فى صدر الإسلام - القاهرة ١٩٧١ - ص ١٥٤ ، ١٥٦ .
(٣) يقع هذا المسجد إلى الغرب من القصر بحوالى ٧٠ م تقريبا ويتكون تخطيطه من مساحة
مربعة تقريبا (٩٣٤ × ٩٤٨ م) وقد قسمت هذه المساحة إلى رواقين موازيين لجدار القبلة
وذلك عن طريق بائكة واخذت تتكون من عقدتين نصف دائريتين يرتكزان على دعامة وسطى
وعلى كتفين بارزين ملتصقين بكل من الجدارين الجانبيين وقد أرخه (كريزول) هو
والقصر بعصر الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ / ٧١٤ م)
Creswell, Ashort account, pp. 121 - 122 .

وفي الغرب الإسلامي نذكر كل من مسجد رباط سوسه ^(١) ٢٠٦هـ / ٨٢١ م، ومسجد بوفتاته بسوسه ٢٢٣ - ٢٢٦ هـ / ٨٣٨ - ٨٤١ م ^(٢)، ومسجد محمد بن خيرون المعافري المعروف بمسجد الأبواب الثلاثة في القيروان ٢٥٢هـ / ٨٦٦ م ^(٣) ومسجد السيدة (La Saiyda بالمنستير ^(٤)). (شكلا ١١٧، ١١٨).

وإذا كانت غالبية الأمثلة السابقة قد غطيت بالاقبية، فإن بعض الأمثلة الأخرى التي ترجع إلى هذه الفترة المبكرة قد غطيت بالقباب العديدة المتساوية

-
- (١) كريزول : الآثار الإسلامية الأولى - ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، شكل ٤٦ .
أحمد فكري : المدخل - ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، شكل ١٠٣ .
كمال الدين سامح : المرجع السابق - ص ١٤٠ - ١٤١ .
(٢) كريزول : الآثار الإسلامية الأولى - ص ٣٥٢ - ٣٥٤ .
أحمد فكري : المدخل - ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .
كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام - ص ١٤٣ - ١٤٥ .
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي - ط ٢ - الاسكندرية ١٩٨٢ م - ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

- (٣) كريزول : المرجع السابق - ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .
السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ص ٣٦١ .

Marcais , op. cit. pp, 37 - 39 .

Hoag (J.D.), Lslamic Architecture , New _ York, 1977, p 48:

- (٤) هذا المسجد أرخه العالم الشهير (مارسيه) بالقرن ٣ هـ / ٩ م .
أما الاستاذ زيبس (مؤرخ تونس المعروف) فيذكر أن تأسيس هذا المسجد يقترن بتخاذه مضبوط التاريخ وهو موت السيده أم ملال عمه الأمير المعز بن باديس التي توفيت ٤١٢هـ / ١٠٢١ م ودفنها المعز في المنستير وجعل لها ضريحاً يعرف إلى اليوم بمسجد السيده وهو قريب من الجامع الكبير .
سليمان مصطفى زيبس المنستير معالمها الاثرية - الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ - ص ٨ .

ومنها مسجد بلخ^(١) ويؤرخ بالنصف الأول من القرن ٣ هـ / ٩ م^(٢) ، ومشهد آل طباطبا (بعين الصيرة بمصر القديمة) ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م^(٣) وعلى ذلك فإن كل من هذين النموذجين يسبقان مسجد الباب المردوم ويشبهانه سواء من حيث التخطيط العام أو من حيث التغطية بالقباب المتعددة المتساوية باستثناء القبة الوسطى التى تعلو المربع الأوسط بالرواق الثانى بمسجد الباب المردوم فهى أكثر ارتفاعا عن بقية القباب الثمان الأخرى كما سبق القول (شكلا ١٢٠، ١٢٢) .

نخلص مما تقدم إلى القول بأن هذا التخطيط قد عرف منذ أواخر العصر

(١) بلخ : تقع هذه المدينة حاليا فى ولاية بلخ احدى ولايات افغانستان الشمالية وعاصمتها مزار شريف ، أما قديما فقد كانت أم المدائن على حد قول الرحالة والمؤرخين وكانت احدى مدن خراسان الشهيرة ، وقد وصفها كل من الادريسي والحميرى بأنها دار مملكة الاتراك والملك بها لازم ... « وأنها قطب ومدار لما جاورها » وأن بها عمائر متنوعة وأسواق وصناعات وغير ذلك .

الادريسي : نزهة المشتاق - المجلد الأول - ص ٤٨٣ .

الحميرى : الروض المعطار - ص ٩٦ .

بارتولد (فاسيلى فلاديميروفيتش) : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى - ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت ١٩٨١ م - ص ١٦١ - ١٦٤ .

أبو العينين فهمى محمد: أفغانستان بين الامس واليوم - القاهرة ١٩٦٩ م ص ٢٨ - ٣١٦ .
Golmbek (L.) Abbasid Mosque at balkh, orienial Art, oriental Art,(٢)
xv / 3 - 1969 , pp, 173 - 189 .

Hillenbrand (R.) Abbasid Mosques in Iran , Rivista Degli studi orientalia, vol, fasc . 1 _ IV , Roma, 1987 , pp. 202 - 208 .

Grabar (O.) the formation of Islamic art , third printing , 1978 pp, 116 , 127 .

Hoag , op . cit . p 48 .

Cerswell , the Muslim Architecture of egypt , Vol . I,(٣)
oxford , pp. 11 - 15 . 1951 .

سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ١ - القاهرة ١٩٧١ م ص ١٦٣ .

الأموى وأنه لم يقتصر على قطر بعينه ، وإنما انتشر فى الشرق والغرب على السواء قبل بناء مسجد الباب المردوم ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م ، وفى ضوء ذلك لا يصح مطلقا القول بأن تخطيط هذا المسجد قاصر على الأندلس وغير مسبق فى عمارة الشرق الإسلامى ، وأن اصوله غير إسلامية .

ولعل وجود هذا التخطيط الجديد منذ هذه الفترة المبكرة يكشف من جهة عن حقيقة هامة وهى أن التخطيط التقليدى (الصحن الأوسط والاروقة حوله) الذى حظى بدراسات مستفيضة عديده بشأن البحث عن مصادره واصوله لم يكن هو التخطيط السائد الوحيد خلال القرون الأربعة أو الخمسة الأولى بعد الهجرة كما هو متفق عليه بين غالبية العلماء والباحثين ، ومن جهة ثانية فإن هذا التخطيط يثبت لنا أن المساجد الصغيرة سواء كانت مستقلة أم ملحقة بالقصور وغير ذلك ، كانت تصمم وفق تخطيط مدروس تماما مثل تخطيط المساجد الجامعة ، وليس كما يذكر بعض العلماء من أنه لم يكن لها « نظام معمارى خاص ولا أحكام تخطيطية وأنها تتخذ أى شكل مناسب من الأشكال » (١) .

ويكفى لبيان مدى أهمية تخطيط هذه المساجد الصغيرة المبكرة الإشارة إلى أنه قد صار نموذجا رئيسيا نسج على منواله فى تصميم المساجد الجامعة بعد القرن ٥ هـ / ١١ م ، وربما قبل ذلك فى المشرق والمغرب على السواء وهو ما سنوضحه فى الصفحات التالية .

وينبغى أن نشير ، بادئ ذى بدء ، إلى أن العديد من المدن فى أقطار العالم الإسلامى ما تزال تحتفظ بنماذج كثيرة لمساجد وجوامع صممت وفق هذا

(١) أحمد فكرى : المدخل - ص ٢٦٣ حاشية ١ .

التخطيط وقد غطيت هذه المساجد والجوامع اما بالقباب المتعدده أو الأقبية أو الاثنين معا وإما بالاسقف الخشبية المتنوعه ، وفي أحيان قليلة غطيت بعض المساجد والجوامع بالقباب أو الأقبية من جهة وبالاسقف الخشبية من جهة ثانية .

ومن البديهي أن نبداً بذكر النماذج المغطاه بالقباب المتعددة ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أنها تمثل استمراراً لتخطيط مسجد الباب المردوم والنماذج المشابهة السابقة عليه من جهة كما أنه يمكن من خلالها دراسة مدى التطور الذى حدث لهذا النوع من التخطيط بدءاً من النصف الثانى من القرن ٥ هـ / ١١ م وحتى أواخر القرن ١٢ هـ / ١٨ م من جهة ثانية .

ومن نماذج هذا التخطيط وتلك التغطية فى العمارة المصرية الإسلامية نذكر كل من :

مشهد السبعة وسبعين وليا بأسوان ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن ٥ هـ / ١١ م والمشهد القبلى بالشلال بأسوان ^(١) (مدرس) (شكلا ١٢٣-١٢٤) وجامع الفيله بالرصد ^(٢) (منطقة اصطبل عنتر بمصر القديمة) ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م (مدرس ايضا) .

ويستفاد من خلال ما أورده الجبرتى فى حوادث ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م أن جامع الجنبلاطيه بباب النصر (مدرس أيضا) ربما كان ينتمى إلى هذا النمط

(١) De villard (U.M).La Necropoli Musulmana di Aswan, Le caire, pp, 4, 44. 1930 .

Creswell , op. cit, pp. 144 - 145 - 148 - 152 .

(٢) يذكر المقرئى أن هذا الجامع انما قيل له جامع الفيله على فيله كالتى لان فى قبلته - تسع قباب فى أعلاه ذات فناطر إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيله كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الاعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلقاء . المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٢٨٩ .

من التخطيط حيث يقول « وما هدمه الفرنسيون جامع الجنبلاطيه بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقوده من الحجر النحيت المربعة الاركان الشبيهه بالاهرام والمناره العظيمة ذات الهلالين»^(١). ومنها جامع عابدى بك (بمصر القديمة) ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م^(٢) شكل ١٤٣ مكرر).

وكل من :مسجد سيدى محمد المشيد بالنور ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م بمدينة رشيد^(٣) ، ومسجد مصطفى بك بن بنت غزال المعروف بمسجد ابو على ١١١٧ - ١١٢١ هـ / ١٧٠٥ - ١٧٠٩ م (شكل ١٤٤). (دار الحديث التكريتيه سابقا) ومسجد عبد القادر الجيلانى المعاصر له بمدينة الاسكندرية^(٤).

كذلك تجدر الاشارة إلى أن هذا التخطيط قد شاع أيضاً فى تصميم الكنائس فى مصر منذ العصر الفاطمى وحتى أواخر القرن ١٣ هـ / ١٩ م^(٥).

-
- (١) الجبرنى : عجائب الآثار - ج ٢ - (طبعة دار الجيل) ص ٤٣٢ .
(٢) محمد حمزه الحداد : العمارة الإسلامية فى مصر من الفتح العثمانى إلى نهاية عهد محمد على - المدخل - القاهرة ١٩٩٢ م ص ٣٦ .
(٣) محمود درويش : عمائر مدينة رشيد وما بها من التحف الخشبية فى العصر العثمانى - (ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٩ م) ش ١٠١ .
(٤) حسن عبد الوهاب : الاسكندرية فى العصر الإسلامى - مجلة الكتاب - السنة الثانية - المجلد الثالث ج ٣ يناير ١٩٤٧ م ص ٣٩٢ .
طراز العمارة الإسلامية فى ريف مصر - (مجلة المجمع العلمى المصرى - المجلد ٣٨ - ج ٢ - ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م) القاهرة ١٩٦٥ م - ص ٢٧ - ٢٨ .
أحمد دقماق : مساجد الاسكندرية الباقية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بعد الهجرة - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٤ م - ص ٤٧ .
(٥) مصطفى شيحة : دراسات فى العمارة والفنون القبطية - القاهرة ١٩٨٨ م - ص ١٧٤ - ١٧٥ .

Al Syrian'y (S.) and Habib (B.). guide to ancient coptic churches and monasteries in upper Egypt, cairo, 1990.

وفى ليبيا تقابلنا نماذج عديدة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر كل من جامع الخروبه ق ٩ هـ / ١٥ م ، وجامع شائب العين محمد باشا ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م ومسجد الدباغ وجامع محمود وجامع أحمد باشا القره مانلى ١١٥٠ - ١١٥١ هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م بطرابلس الغرب وغير ذلك^(١) (أشكال ١٢٥ - ١٢٩ ، ٢٧٩) .

وفى الأندلس يقابلنا مسجد المسلمين أو المدجنين (شكل ١١١) (منزل الدباغين) فى طليطله ، وهو المثل الوحيد لمساجد المدجنين فى عصر الاضطهاد المسيحى وقد بنى فى النصف الثانى من القرن ٦ هـ / ١٢ م ، وهو يعد خير شاهد على استمرار تخطيط مسجد الباب المردوم من جهة وتطور بعض عناصره المعمارية والزخرفية من جهة ثانية^(٢) .

(١) ميساذا (غاسبرى) : المعمار الإسلامى فى ليبيا - ترجمة على الصادق حسنين - طرابلس ١٩٧٣ م - ص ص ١٥٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، مسعود رمضان (وآخرون) موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا ج١ - طرابلس ١٩٨٠ م ص ص ٥٢ - ٥٣ ، ٦٧ - ٦٨ ، ٧٠ ، ١٠٧ ، ١١٢ .

(٢) يعرف هذا المسجد باسم منزل الدباغين (كاسادى لاس تورنييرياس) ، وكان المسلمون الذين بقوا فى طليطله عقب استردادها ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م يمارسون شعائرهم الدينية فى أحد المساجد التى خصصت لهم ، على أنهم منذ أن انتزع منهم المسيحيون مسجدهم الجامع ١٠٥٩ هـ / ١٧٤٦ م وحولوه إلى كنيسة هى المعروفة بكنيسة سان سلفادور ، عمدوا إلى أن يستبدلوا به مسجد آخر حاولوا اخفائه اتقاء نقمة بعض المتعصبين فى بلاط النورسوس الثامن من الفرغ الذين كانوا يترهبون بهم السوء ، ولعل هذه التقية يمكن أن توضح لنا الوضع الشاذ الذى عليه هذا المسجد بينائه فى طابق علوى فى الحى التجارى للفرشنة ، ورغم ذلك فقد كان الناس يعلمون بوجوده وكان معروفا لديهم حتى مطلع القرن ١٦ م حين زال سلطان المسلمين عن الأندلس نهائيا ، وقد عرف هذا المسجد فى بعض الوثائق المنشورة باسم مسجد المسلمين الواقع فى ريش الافرنج بمدينة طليطله حرسها الله . ويشبه هذا المسجد فى تخطيطه مسجد المردوم ، الا أنه يختلف عنه فى النسب فهو عبارة =

وفى العراق تقابلنا نماذج عديدة نذكر منها ، على سبيل المثال وليس الحصر كل من : جامع الخفافين وجامع قمرية وجامع العاقولي (شكلا ١٤٢، ١٣٠) ومسجد ذو الكفل وغير ذلك ^(١).

وفى تركيا تقابلنا نماذج عديدة نذكر منها ، على سبيل المثال وليس الحصر كل من : اولو جامع (الجامع الكبير) فى بروسه (أو بورصه) ٧٩٩ ٨٠٣ هـ / ١٣٩٦ - ١٤٠٠ م ، واسكى جامع (الجامع القديم أو العتيق) فى أدرنه ٨٠٦ - ٨١٧ هـ / ١٤٠٣ - ١٤١٤ م ، وجامع عتيق على باشا فى ذنجرلى قويو باستنبول ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، وجامع بيالى باشا فى استنبول

= عن مساحة مستطيلة ٨٩٠ × ٧٦٥ م ، وأقصى ارتفاع له فى الوسط ٦٠ ر٦ م ، أما مسجد الباب المردوم فمساحته مربعة كما سبق القول كذلك تمثل قباب هذا المسجد مرحلة جديدة من مراحل تطور القبة ذات الضلوع من الفكرة المعمارية البحتة التى نشاهدنا فى قباب جامع قرطبه إلى الفكرة الهندسية الزخرفية التى تتجلى فى قباب مسجد الباب المردوم.

انظر : مورينو : الفن الإسلامى فى اسبانيا - ص ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
السيد عبد العزيز سالم : مسجد المدجنين بطليطلة - مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - المجلد ١٢ - ١٩٥٨ م - ص ص ٨٠ - ٨٣ .
وقد أعيد نشر هذا البحث فى كتاب بحوث إسلامية المشار إليه سابقا - القسم الثانى - بيروت ١٩٩٢ م - ص ص ٢٦٩ - ٢٨١ .
وانظر أيضاً : كمال عنانى : المرجع السابق - ص ص ٢٥٣ - ٢٧٢ .
(١) عيسى سلمان (وآخرون) : العمارات العربية الإسلامية فى العراق - بغداد ١٩٨٢ - ص ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ج ٢ ص ١٢١ .

Ulucam (A.), Irak Taki Turk Mimariyesesleri . Ankara, 1987, pp. 55 - 62. Bagdad da Abdulkadir Geylani Kulliyes, Vakiflar dergisi, xx Ankara, 1988, p. 83.,

٩٨١هـ/١٥٧٣ (اشكال ١٣١ - ١٣٤) وغير ذلك ^(١).

ومن النماذج الباقية في أسيا الوسطى على سبيل المثال كل من : مسجد
نرمذ (شكل ١٢١) وجامع الشيخ خراسان في ازربيجان ^(٢).

كذلك شاع هذا التخطيط وتلك التغطية في العمارة الإسلامية بالبنغال التي
ما تزال تحتفظ بنماذج عديدة نذكر منها ، على سبيل المثال وليس الحصر ،
كل من : مسجد ظفر خان غازي ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ومسجد بابا آدم في
رامبال ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م ، ومسجد قطب شاه ٩٩٠ هـ / ١٥٨٣ م ومسجد
في موزامبور وغير ذلك ^(٣). (شكلا ١٣٥ - ١٣٦).

أما عن النماذج الأخرى اتي صممت وفق هذا التخطيط ولم تستخدم

(١) اصلان آبا (اوقطاي) فنون الترك وعمائرهم - ترجمة أحمد عيسى - استانبول ١٩٨٧ م
- ص ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٩٣ .

Gabrial (A.). Les Mosques de Constantinople , Syria, Tome, VII
Paris, 1926 pp. 384, 386 .

une capital Turque Brousse, Bursa , paris, 1958, pp, 31. 41, Figs,
7 - 8 .

Kuran (A.). The Mosque in Early Ottomane Architecture, Chicago,
1968. pp 151 - 159.

Yetkin (S.K.) turk mimarisi , Ankara, 1970 . pp - 178 - 180 .

Goodwin (D.) A history o Ottoman Architecure, New - York, 1987.
pp- 55- 57, 277.

Bretanizki (L.), Diekunst Aserbaidshan, Leipzig, 1988, pp.(٢)
63- 64.

Michell (G.) the Islamic Hertage of Bengal. Unesco. 1984. pp. 42, (٣)
69, 71, 76, 82, 144, 189-190.

القباب المتعددة في تسقيفها فأمثلتها الباقية في العمارة الإسلامية كثيرة جدا ،
ولذلك سوف نكتفى بالإشارة إلى بعضها في المشرق والمغرب على السواء .

ومن بين النماذج الباقية في الشرق الإسلامي نذكر ، على سبيل المثال
وليس الحصر ، كل من : الجامع الكبير في بتليس ق ٥ هـ / ١١ م ، والجامع
الكبير في ارضروم ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م .

وجامع بارسيمما (Barsema) في سيواس ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م وجامع
سارى على في قيصريه وغير ذلك ^(١) (أشكال ١٣٧ - ١٣٩) .

وفي اليمن تقابلنا عدة نماذج نذكر من بينها كل من : مسجد تمور
٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ، ومسجد تيثد أوائل القرن ٧ هـ / ١٣ م (شكلا ١٤٠ -
١٤١) ومسجد ذى بين النصف الثاني من القرن ٧ هـ / ١٣ م ^(٢) وغير ذلك .

وفي ليبيا تقابلنا بعض النماذج ومنها جامع مراد أغا أول الولاة
العثمانيين في ليبيا ٩٥٩ - ٩٦٤ هـ / ١٥٥١ - ١٥٥٦ م بتاجورا وهو مغطى
بالأقبية الطولية ^(٣) (شكل ١١٩) وجامع بن مقيل ق ١١ هـ / ١٧ م وهو
مغطى بالأقبية والقباب ^(٤) .

(١) اصلان آبا : المرجع السابق ص ٦٥ ، ٧١ - ٧٣ ، ٨١ .

Gabirel, Monuments turcs d'anatolie, Tome peremier, paris, 1931,
pp 92, 154 - 155.

(٢) فنستر (برباره) : حول بعض المباني الإسلامية في اليمن - ترجمة عبد الفتاح البركاوى
(ضمن كتاب تقارير أثرية من اليمن) المعهد الألماني للآثار في صنعاء - ج ١ -
١٩٨٢ م ص ٣٦ ، ٤١ ، ٩٨ ، ١٠٢ .

(٣) بن غلبون (أبى عبد الله محمد بن خليل) : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها
من الأخبار - عنى بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوى - ط ٢ - طرابلس
١٩٦٧ م - ص ١٣٣ .

El Mahmudi (a.) post _ fifteenth century a.d. Islamic Architecture
in libya . Univeristy of Vicoria, 1985 fig , 46 .

(٤) مسعود رمضان : المرجع السابق - ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وفى مصر تقابلنا نماذج عديدة فى شتى المدن والقرى المصرية ، ومن بينها نذكر على سبيل المثال وليس الحصر ، كل من الجامع الفاطمى بدير سانت كاترين ^(١) (شكل ١٣٧) والمدرسة البندقدارية (بالسيوفيه) ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، والمدرسة الطيبرسيه (بالأزهر) ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م (شكلا ١٩٨ - ١٩٩) . وجامع تميم الرصافى (بالسيدة زينب) قبل ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م ، وجامع الغورى (عرب اليسار) ٩١٥هـ / ١٥٠٩م وجامع مراد باشا (بالموسكى) ٩٧٦ - ٩٧٩هـ / ١٥٦٨ - ١٥٧١م وجامع مسيح باشا (بالسيدة عائشة)

(١) إختلف العلماء حول تحديد تاريخ إنشاء هذا الجامع فالبعض يرى أنه أنشئ فيما بين عامى ٤٢٩-٤٣٣هـ / ١٠٣٧-١٠٤١م أى فى خلافة المستنصر بالله ، ويرى البعض الآخر أنه أنشئ فى خلافة الامر باحكام الله فيما بين عامى ٤٩٥ - ٥٠٠هـ / ١١٠١ - ١١٠٦م .

غير أن الذى يعنينا فى هذا المقام هو تخطيط الجامع لأنه يعد من أقدم النماذج الباقية فى مصر التى صممت وفق التخطيط ذو الأروقة دون الصحن الأوسط وعلى ذلك فهو يعتبر ثالث النماذج الفاطمية الباقية بعد كل من المشهد القبلى ومشهد السبعة وسبعين ولما بأسوان ورابع النماذج المصرية عامه بعد مشهد آل طباطبا والمشهدين الفاطميين المذكورين ، وإذا كانت المشاهد الثلاثة قد غطيت كلها بالقباب المتساوية فإن الجامع الفاطمى بدير سانت كاترين قد سقف بسقف خشبى أما عن تخطيط هذا الجامع فهو عبارة عن مساحة مستطيلة ١٠×٧م قسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين متقاطعين وتتكون هذه البائكة من دعائمتين صليبيتى الشكل تتوسطان الجامع وتنطلق من فوقهما العقود ويبلغ عددها سبعة عقود ومنها أربعة عقود عمودية على جدار القبلة بواقع عقدتين بكل جانب وثلاثة عقود موازية لذلك الجدار ، ويتوسط صدر المسجد ثلاثة محاريب ، ومن التحف الفنية الهامة بهذا الجامع أيضا المنبر وكرسى المصحف ولهذا الجامع أيضاً مثذنة .

للمزيد من التفاصيل انظر :

راينو : جامع دير القديسه كاترين بطور سيناء - ترجمة محمد وهبى - المقتطف - مج ٨٩ - ج٤ - ١ نوفمبر ١٩٣٦م / ١١ شعبان ١٣٥٥هـ - ص ص ٤٠٥ - ٤٠٨ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ ص ١٤٥ .

السيد عبد العزيز سالم : الآثار الإسلامية فى دير سانت كاترين - كتاب بحوث إسلامية المشار إليه - ص ص ٣٦٧ - ٣٧٦ .

Siliotti (A.), Guide To Exploration of the Sinai, Italy, 1994, pp. 126, 129 .

٩٨٣هـ / ١٥٧٥م وغير ذلك من الأمثلة العديدة الباقية بمدينة القاهرة (١)
(اشكال ٢١٨ - ٢٢٤ ، ٢٢٦) .

ومن الاسكندرية نذكر جامع تربيانه ١٠٩٧هـ / ١٦٨٥م . وجامع عبد
الباقي جوربجي ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ، وجامع إبراهيم باشا ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م .
وجامع على المصرى ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م وغير ذلك (٢) .

ومن رشيد نذكر كل من مسجد دومقسيس ومسجد الصامت ومسجد
العباسي ومسجد أبو مندور وغير ذلك (٣) .

ومن فوه نذكر كل من : جامع نصر الله وجامع أبو المكارم وجامع الكورانيه
وجامع الروبي وجامع البحري وجامع داعي الدار وجامع موسى وغير ذلك (٤) .

ومن النماذج الباقية بصعيد مصر نذكر كل من : جامع الأمير حسن
بأخميم ١١١٦هـ / ١٧٠٤م . وجامع سيدى جلال بجرجا ١١٨٩هـ /
١١٧٥م والجامع الصينى بجرجا ١٢٠٢ - ١٢٠٩هـ / ١٧٨٧ - ١٧٩٤م
وغير ذلك (٥) .

-
- (١) محمد حمزه الحطاد : الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني دكتوراه
- غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٩٠ م ص ص ٦٨٧ - ٦٩١ .
(٢) محمد حمزه الحطاد : العمارة الإسلامية فى مصر - ص ١٨ - ١٩ .
(٣) محمود درويش : المرجع السابق - اشكال ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ .
(٤) محمد عبد العزيز : عمائر مدينة فوه فى العصر العثماني - دكتوراه - غير منشوره -
جامعة القاهرة ١٩٩١م اشكال ٧ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ .
(٥) جمال عبد الرؤوف : مساجد مصر العليا الباقية من الفتح العربى حتى نهاية العصر
العثماني - ماجستير - غير منشوره - جامعة القاهرة - ١٩٨٦م - ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
محمد عبد الستار عثمان : جرجا وآثارها الإسلامية فى العصر العثماني - دراسات أثرية
إسلامية - المجلد ٣ القاهرة ١٩٨٨م ص ٢٢٣ ، ٢٣٤ (شكلا ٣ ، ٥) .

ومن النماذج الباقية بالقرى المصرية نذكر جامع الأمير إسماعيل بك ايواظ بقرية جناح (مركز بسيون محافظة الغربية) ١١٣٤هـ / ١٧٢١م وغير ذلك^(١).

وإذا كانت كل النماذج المصرية السابقة قد غطيت بالاسقف الخشبية المتنوعة الا أن العمارة المصرية ما تزال تحتفظ بنموذج فريد مصمم وفق هذا التخطيط أيضا ولكنه مغطى بالاقبية والاسقف الخشبية في آن واحد ، وهو جامع محمد أفندى التى برmq (سوق السلاح بالقاهرة) قبل ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م اذ يسقف كل من الرواقين الجانبيين أقببيه متقاطعة يواقع أربعة أقبية بكل رواق منهما ، أما الرواق الأوسط فيسقف المساحة التى تتقدم المحراب قبوه مدببه أما بقية المساحة فيسقفها سقف خشبي ذى براطيم خشبية تحصر فيما بينها مساحات غائره ، وقد زخرف هذا السقف بزخارف نباتية ملونه ومذهبة الا أنها بحاله سيئه^(٢) (شكل ٢٢٥).

ثانيا : النمط الثانى : التخطيط على هيئة مربع تعلوه قبه (المسجد القبه) :

يتكون هذا التخطيط فى جوهره من مساحة مربعة تعلوها قبه وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل فى الفصل الثانى من هذا الكتاب عن بعض أنماط هذا التخطيط فى العمارة الإسلامية بصفة عامة وفى المشرق بصفة خاصة .

أما عن نماذج هذا التخطيط الباقية فى العمارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى فتعد قليلة وخاصة قبل العصر العثمانى .

هذا وتحتفظ العمارة الإسلامية فى الاندلس بنموذج فريد لهذا التخطيط

(١) تفيده عبد الجواد : الآثار المعمارية بمحافظة الغربية فى العصرين المملوكى والعثمانى - ماجستير - غير منشوره - جامعة القاهرة ١٩٩٠م - شكل ٢٣ .

(٢) محمد حمزة الحداد : الطراز المصرى ص ٢٠٦ .

وهو مسجد قصر الجعفرية^(١) الشهير ٤٣٩ - ٤٧٤ هـ / ١٠٤٧ - ١٠٨١ م
بسرقلطة^(٢) ولهذا المسجد أهمية خاصة تنجلي في تخطيطه وزخارفه من جهة
وفي أن قبته تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور القباب ذات الضلوع من جهة

(١) عن هذا القصر وأهميته وما آل إليه أمره ، انظر :

مورينو : المرجع السابق - ص ص ٢٦٢ - ٢٨٥ .

السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور - ص ص ٩٢ - ٩٥ - ٩٧ .

Galiay (J.) el Castillo de la Alferia , 1906

Hoah . op. cit. pp. 90 - 92 .

Martin - Bueno (M.) erict lacabe Erice lacabe (R.). la Aljaferia In-
vestigacion Arqueologica. Cortes de Aragon , Zaragoza, 1987

(٢) سرقلطة Zaragoza مدينة كبيرة في شمال شرقى الأندلس (شكل ١٠٩) على الضفة
اليمنى من نهر ابرة (Ebro) وكانت سرقلطة في العصر الإسلامى قاعده الثغر الاعلى
بالأندلس ، وهى اليوم حاضرة ، مقاطعة أرغون وسرقلطة تسميه عريبه للاسم الرومانى
قيصر أجسطا (caesar augsta) لان أغسطس قيصر هو الذى اسسها سنة ٢٣ ق . م
وسماها باسمه ، وفي عهد القوط الغربيين صارت من أهم المدن الاسبانية ، وبعد أن
حاصرها موسى بن نصير ٧١٤ م واستولى عليها صارت من أهم المدن الأندلسية
الإسلامية ، وكانت تزخر بعدد كبير من المولدين الذين ثاروا كثيرا ضد الامويين بقرطبه ،
ومنذ أوائل القرن ٤ هـ / ١٠ م غدت سرقلطة مركزا لسلطان بنى تميم في الثغر
الاعلى وخلفهم فى حكمها بنو هود ٤٣٠ - ٥١٢ هـ / ١٠٣٨ - ١١١٨ م الذين اتخذوها
حاضرة لدولتهم ، وفي هذه السنة الأخيرة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م سقطت سرقلطة فى أيدي
الفونسوا الأول ملك أرغون . وقد ازدهرت العمارة الإسلامية فى سرقلطة أيام ازدهار
وخاصة فى عصر دولة بنو هود الذى أضحت فيه « جنة الدنيا وفتة الحيا ومتهى الوصف
وموقف السرور والقصف » وكان ذلك فى عهد المستعين بالله أحمد (ت ٥٠١ هـ /
١١٠٧ م) وجده المقتدر بالله هو الذى بنى قصر الجعفرية وسماه بذلك نسبة إلى كنيته
أبى جعفر).

السيد عبد العزيز سالم : سرقلطة (دائرة معارف الشعب) - كتاب الشعب ٦١ - القاهرة
١٩٥٩ ص ص ٥٤ - ٥٧ .

فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس - ص ص ٨٣ - ٨٧ .

محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية - ص ص ١٠٤ - ١١١

ثانيه وهى المرحلة التى استهدفت الناحية الزخرفية الخالصة على النحو الذى نراه بعد ذلك فى قبة المحراب بجامع تلمسان ٥٣٠هـ / ١١٣٥م^(١)

ويكفى لبيان الأهمية الزخرفية لهذا المسجد أن نشير إلى ما ذكره أحد مؤرخى الفن الأسبان من أن هذا المسجد ليس بيتا للصلاة وإنما هو « بيت للفن يضم أروع ما أبدعه الفن الأندلسى »^(٢).

غير أن الذى يعنينا فى هذا المقام هو تخطيط المسجد وإبرار أهميته وتأصيله وتطوره فى العمارة الإسلامية بصفة عامة .

وهذا المسجد مربع الشكل طول ضلعه ٤٦م ، وقد تحول هذا المربع إلى مثنى عن طريق عقود فى الأركان وهى من العقود المبتكرة التى تختلط فيها الخطوط المستقيمة مع الخطوط المنحنية ومن هنا عرفت باسم العقود المختلطة Mixtiligns ويستثنى من هذه العقود عقد المحراب بالركن الجنوبى الشرقى فهو عقد متجاوز لنصف الدائرة يشبه عقد جامع قرطبة وصنجاته محشوه بالزخارف وملساء بالتناوب^(٣)

وتحمل هذه العقود أعمدة ملتصقة بالجدران بقيت منها خمسة ذات تيجان كورنثية وهى من أكثر ما عرف رشاقة وتشابها فيما بينها وثناء العقود نفسها ثقيل على النفس على حد قول العالم الشهير مورينو^(٤)

(١) السيد عبد العزيز سالم : اثر الفن الخلافى - ص ٨١ قرطبة حاضرة الخلافة - ج ٢ ص ٤٣

(٢) عن السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور - ص ٩٦ .

(٣) مورينو : الفن الإسلامى فى اسبانيا ص ٢٦٩

(٤) المرجع نفسه - ص ٢٦٩

ويجرى بالاجزاء العليا من الجدران طراز زخرفى تعلوه بأكمله تتألف من عقود مزدوجة ذات خمسة فصوص ترتكز على أعمده صغيرة ملتصقة بالجدران^(١) ، فضلا عن الأهمية الزخرفية لهذه البائكة فإن لها ، علاوة على ذلك ، أهمية معمارية كبرى وهى أنها ساعدت فى إقامة القبة المثلثة التى كانت تعلو هذا المسجد ، وهى من هذه الناحية تعد تطورا لمنطقة انتقال قبة المحراب بجامع القيروان ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م^(٢) .

أما عن قبة المسجد فقد حل محلها سقف خشبى تم تشييده عند إقامة طابق علوى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م^(٣) . ومع ذلك فما تزال معالم هذه

(١) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور - ص ٩٥ - ٩٦

(٢) تتكون منطقة انتقال المحراب بجامع القيروان من ثمانية عقود مستديرة ترتكز على أعمدة صغيرة ملتصقة بالحائط ، وتحوى عقود الأركان الأربعة بداخلها أربع حنايا ركنية مجوفة محارية الشكل ، أما العقود الأربعة الأخرى التى يتوسط كل منها ضلعاً من الأضلاع الأربعة فتحوى بداخلها عقود مفصصة (مقصوصه) مصمته (غير مجوفة) يتوسط كل منها وريده .

انظر : أحمد نكرى : مسجد القيروان - دار المعارف بمصر ١٩٣٦ م ص ٩٠ - ٩١ (شكل ٣٤) .

أما فى مسجد الجعفرية فقد تطور الامر ، فبدلاً من وجود العقود المستديرة التى تحوى حنايا مجوفة فى الأركان الأربعة وعقود مقصوصه مصمته فى الوسط ، اقتصر الامر على سلسلة من العقود المقصوصة (المفصصة) التى ترتكز على أعمدة صغيرة ملتصقة بالجدار. والغنى المعمار الحنايا المجوفة بالأركان الأربعة .

وبهذه الطريقة المبتكرة استطاع المعمار إقامة القبة ، وعلى ذلك يكون المعمار قد أضاف نمطاً جديداً من أنماط مناطق انتقال القباب فى العمارة الإسلامية .

وعلاوة على الأهمية المعمارية لتلك البائكة ، فقد كانت لها أيضاً أهميتها الزخرفية التى تكمن فى زيادة الاثراء الزخرفى الواضح والغالب فى هذا المسجد الصغير كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٣) مورينو : المرجع السابق - ص ٢٧٦

القبة واضحة فوق هذا السقف الحديث ، وفي ذلك يذكر العالم الشهير مورينو مانصه « وقد بقيت مخارج لقبة مثمثة الشكل أضلاعها مزدوجة البروز بين أخرى بسيطة .. »^(١) .

وتجلى أهمية هذه القبة في أنها تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور القباب ذات الضلوع على النحو الذي نراه في قبة المحراب بجامع تلمسان كما سبق القول .

وبعد فإن هذا المسجد يعد أقدم نموذج باق لهذا النمط التخطيطي (المسجد القبة) في العمارة الدينية في الغرب الاسلامي بصفة عامة ومن المرجح أن هذا التخطيط كان شائعاً في العديد من المساجد الملحقة بالقصور الأندلسية فضلاً عن بعض المساجد الصغيرة (مساجد الصلوات الخمس) . وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه كان معروفاً أيضاً في العمارة الدينية الإسلامية منذ الفترة المبكرة كما يستدل من بعض المصادر التاريخية الموثوق بها إلا أنه قد ذاع وانتشر منذ أواخر القرن ٥ هـ / ١١ م وخاصة في مدن المشرق الاسلامي كما سبق القول^(٢) .

نخلص من كل ماتقدم إلى القول بأن للمساجد الصغيرة ، سواء كانت مستقلة أم ملحقة بالقصور وغيرها ، التي بنيت خلال القرون الأربعة أو الخمسة

= السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور . ص ٩٦ .

Rivoira. op . cit . p 316 .

Hoag, op. cit . p 92 .

(١) مورينو : المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢) انظر ص ص ١١١ - ١٢٠ من هذا الكتاب .

الأولى بعد الهجرة أهمية كبرى فى دراسة العمارة الإسلامية وتطورها ، إذ أنها صممت وفق تخطيطات جديدة متنوعة تخالف التخطيط التقليدى الشائع والمعروف فى العمارة الدينية الإسلامية ، ويكفى لبيان أهمية هذه التخطيطات القول بأنها صارت إنموذجا رئيسيا نسج على منواله فى القرون التالية فى تصميم العماائر الدينية المختلفة كالمساجد والمدارس والخوانق والزوايا كما بيننا فى هذه الدراسة .

وبعد فاذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه من ابراز أهمية هذا التخطيط الجديد الذى عرفته العمارة الإسلامية بجانب التخطيط التقليدى السائد خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة ثم تطوره وانتشاره فى القرون التالية ، فله الحمد وهو من وراء قصدى خير معين ، وإن كنت قد قصرت فحسبى أن يكون هذا البحث لبنة صغيرة فى مجال دراسة العمارة الإسلامية التى ما تزال بحاجة إلى أبحاث عديدة مستفيضة ومتعمقة .

الفصل الخامس

العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة فى العصر المملوكي

نشر هذا البحث فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ضمن سلسلة تاريخ المصريين - العدد ٥١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٢ وعنوانه « العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة فى العصر المملوكي » .

وكان هذا البحث قد ألقى فى ندوة « المدارس فى مصر الاسلامية » التى أعدها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وعقدت بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة فى الفترة ٢٢ - ٢٥ إبريل ١٩٩١ م .

مقدمة :

لم تكن العمارة الاسلامية مجرد عمائر قائمة الأركان تشهد بهمة بنائها وروعة وفخامة بنيانها ، وعلو كعب مصمميها وانما كانت ، علاوة على ذلك ، دوحة عظيمة متنوعة الطرز والوظائف .

ويهمنا من بين تلك الطرز : طراز المدرسة وهي طراز مستحدث في العمارة الاسلامية فلم يكن يعرف قبل القرن ٤هـ / ١٠ م ثم لم يلبث أن انتشر في أقطار العالم الإسلامي^(١) واتخذ في كل قطر منها طابعا معماريا خاصا به .

(١) من الثابت ، حتى الآن ، أن أقدم المدارس الإسلامية ظهرت أولا في مدن المشرق الإسلامي ثم إنتقلت إلى العراق والشام ثم وصلت إلى مصر ومنها إلى اليمن ومكة والمدينة من جهة ومدن المغرب الإسلامي من جهة أخرى .
وليزيد من التفاصيل انظر:

محمد عبد الرحيم غنيمه : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى - المغرب - تطوان ١٩٥٣م - ص ٦٣ - ١٠٠ .

محمد حلمي محمد أحمد : الحياة العلمية في مصر والشام - المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٧ - ١٩٥٨ م - ص ٣ - ٢٣ .

السيد عبد العزيز سالم : مدارس فاس - ضمن كتاب مساجد ومعاهد - ج ٢ - العدد ٧٨ - القاهرة ١٩٦٠ - ص ١٩٨ - ٢٠٧ .

أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ٢ - دار المعارف بمصر ١٩٦٩م - ص ٩٩ - ١١٨ .

سعاد ماهر محمد : تطور العمائر الدينية الإسلامية بتطور وظائفها - المجلة التاريخية المصرية - المجلد ١٨ - ١٩٧١ م - ص ٥٨ - ٦٣ .

سعيد عاشور : التعليم العالي في العصور الوسطى - دراسة مقارنة بين العالمين الإسلامي والمسيحي - ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى - بيروت ١٩٧٧م - ص ٤٣٥ - ٤٥٤ .

حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٧٩م - ص ١٥٧ - ١٦٣ .
القاضي إسماعيل الكوع : المدارس الإسلامية في اليمن - بيروت - صنعاء - ط ٢ - ١٩٨٦م - ص ٥ - ١٢ .

طارق سلطان : مقدمة في الحركة العلمية في المشرق الإسلامي - بغداد ١٩٨٩م - ص ٢٦ - ٢٨ .

محمد محمد الكحلوي : المدارس المغربية - مجلة العصور - المجلد ٦ - الجزء الأول - جمادى الثاني ١٤١١هـ / يناير ١٩٩١م - ص ٧١ - ١١١ .

ومما لا شك فيه أن إنشاء المدارس كان بداية عهد جديد في تطور العمارة الإسلامية ، وبخاصة العمائر الدينية ، من جهة وفي إزدهار الحركة العلمية في أقطار العالم الإسلامي من جهة أخرى .

وإذا كانت المدارس قد وجدت طريقها إلى مصر في أواخر العصر الفاطمي^(١) . إلا أنه لم يقدر لها الانتشار إلا في العصر الأيوبي حيث بلغ عدد المدارس ، المعروفة حتى الآن التي شيدت خلال ذلك العصر نحو ست وعشرين مدرسة منها ثلاث وعشرون مدرسة بالقاهرة^(٢) ، ومدرستان

(١) المعروف من هذه المدارس ، حتى الآن ، أربع مدارس هي : المدرسة العوفية ٥٣٢ هـ / ١٢٣٨ م والمدرسة السلفية ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م بالاسكندرية ، والمدرسة الناصرية والمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وقد أمر بإنشائها الوزير صلاح الدين الأيوبي ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م .
أحمد فكري : المرجع السابق - ص ٥٠ - ٥١ .
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي - الاسكندرية ١٩٨٢ م - ص ٢١٨ - ٢١٩ .

ايمن فؤاد سيد : المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي (ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٢ م - ص ١١٦ - ١٢١ .
(٢) يتحدث (المقرئ) في خطته عن إحدى وعشرين مدرسة من هذه المدارس ، وأشارت بعض المصادر الأخرى إلى المدرسة المجاورة للمشهد الحسيني ، وأضاف العالم (كرينول) مدرسة السادات الثعالبة جنوب الإمام الشافعي ، وبذلك يصل عدد المدارس الأيوبية المعروفة ، حتى الآن ، إلى ثلاث وعشرين مدرسة وليس أربعاً وعشرين مدرسة كما أشار (د. فكري) الذي تضمنت قائمته كل من المدرستين اللتين أمر بإنشائهما صلاح الدين وقت أن كان وزيراً للخليفة الفاطمي وقد سبقت الإشارة إليهما في الهامش السابق ، ومن الواضح أن العصر الأيوبي لم يكن قد بدأ بعد .

ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .
وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان - ج ٦ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط ١ - القاهرة ١٩٤٨ م - ٢٠٦ .

المقرئ : (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية - ج ٢ - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٧ م - ص ٣٦٤ - ٣٦٨ ، ٣٧٢ - ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٠ =

بالفيوم^(١) ، ومدرسة واحدة بالاسكندرية^(٢)

ولم ينته عصر انشاء المدارس بانتهاء الدولة الايوبية ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م
فقد ورثت الدولتان المملوكيتان اللتان تعاقبتا على حكم مصر فيما بين
٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م الاهتمام بإنشاء المدارس ورعاية
الحركة العلمية التي إزدهرت بشكل منقطع النظير وليس أدل على ذلك من
كثرة ما خلفه علماء ذلك العصر من تراث ضخم في مختلف العلوم والفنون
نشر بعضه وما زال اكثره مخطوطا لم ير النور بعد . وقد توافرت للحركة العلمية
في ذلك العصر عدة عوامل داخلية وخارجية^(٣) ساعدت مجتمعه على ازدهارها،

-
- = ابن تفرى بردى : (جمال الدين ابو المحاسن يوسف) ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - ج ٦ - ص ٥٤ - ٥٥
وعن مدرسة السادات الثعالبة والآراء المختلفة التى قيلت بشأنها انظر :
محمد حمزة الحداد : قراقة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك - ماجستير - غير منشورة
- جامعة القاهرة ١٩٨٦ م - ص ٦٤ - ٦٧ .
(١) ابن خلكان : المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٢٨ .
المقريزى : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٦٥ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية - ص ٢٤٦ ، ٢٤٩ .
هذا وتجدر الاشارة إلى أنه لم يبق من كل المدارس الايوبية سوى ثلاث مدارس بالقاهرة ،
وهى كل من مدرسة السادات الثعالبة والمدرسة (دار الحديث) الكاملية والمدرسة الصالحية .
(٣) عن هذه العوامل انظر :
محمد عبد الرحيم غنيمه : المرجع السابق - ص ٩١ - ٩٢ .
سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك - ط ١ - القاهرة ١٩٦٢ م -
ص ١٤١ - ١٤٢ .
محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر - ط ١ - القاهرة ١٩٨٠ م -
ص ٢٣٥ - ٢٣٦
محمد عبد الستار عثمان : نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة
- دكتوراه - غير منشورة - جامعة أسيوط ١٩٧٩ م - ص ٧٨ - ٨٣ ، ٩٠ - ٩١
محمد كمال الدين عز الدين . الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة -
ط ١ - بيروت ١٩٩٠ م - ص ١٥ - ٢٦

وعلى ان تصبح مصر « منبع العلم »^(١) ومحل سكن العلماء ومحط زحاح الفضلاء^(٢).

وكانت النتيجة الطبيعية المباشرة لذلك ان أصبحت القاهرة محور النشاط العلمى والدينى فى العالم الاسلامى كله شرقه وغربه .

وقد أكد هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله : « ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ الآف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم .. »^(٣).

وليس أدل على رعاية الحركة العلمية من كثرة انشاء المدارس ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها سواء فى القاهرة أو فى غيرها من المدن المصرية وهو مايؤيده ما قاله ابن بطوطة من أن المدارس بمصر « لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها »^(٤).

وبطبيعة الحال كان نصيب القاهرة من هذه المدارس وتلك الأوقاف كبيراً

(١) البلوى : (خالد بن عيسى البلوى) .

تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق (مخطوط - دار الكتب المصرية - جغرافيا رقم ٤٠٠ ميكروفيلم رقم ٤٥٧٧٣) - ورقة ٥٤ .

(٢) السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة - ج ١ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٨ م - ص ٩٤ .

(٣) ابن خلدون : (عبد الرحمن) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .
المقدمة - ط ٥ - بيروت ١٩٨٤ - ص ٣٣٤ .
وقد أشار إلى رأى ابن خلدون وأكده أيضاً ابن الأزرق فى أواخر ق ٩ هـ / ١٥ .
ابن الأزرق : (ابو عبد الله) ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م .
بدائع السلك فى طبائع الملك - تحقيق وتعليق على سامى النشار - ج ٢ - العراق ١٩٧٨ م - ص ٣٤٥ .

(٤) ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله) ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماه برحلة ابن بطوطة - بيروت بدون تاريخ ص ٣٣

وهو ما يؤيده ما ورد فى المصادر التاريخية وكتب الرحالة من جهة وكثرة وثائق الوقف التى ما تزال محفوظة فى وزارة الأوقاف ودار الوثائق القومية وغيرها من جهة ثانية . وليس أدل على كثرة المدارس التى بنيت بمدينة القاهرة ما ذكره القلقشندى من أنه بنى بها من المدارس « ما ملأ الأخطاط وشحنها » (١) فضلا عن الاشارات الكثيرة التى وردت فى المصادر التاريخية المختلفة .

هذا ولم يقف انشاء هذه المدارس عند حد السلاطين فحسب بل شاركهم فى ذلك واقتدى بهم عدد كبير من الأمراء والقضاة والعلماء والتجار فضلا عن النساء .

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التى تتناول بالبحث والتحليل المدارس المصرية من جوانب عديدة ، أثرية (٢) . وتاريخية وتربوية (٣) ، الا أن باب البحث

(١) القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م .

صبح الأعشى فى صناعة الانشاء - ج ٣ - ص ٣٦٨ .

(٢) من أبرز الدراسات الأثرية المتعلقة بالمدارس تلك التى تناولت بالبحث والتحليل التخطيط المعماري لها ومصدر اشتقاقه ومراحل تطوره المختلفة ، وكانت مثل هذه الدراسات وقفا على العلماء والمستشرقين الأجانب ثم قيض الله سبحانه وتعالى نفرا من العلماء والباحثين العرب والمصريين للرد على هؤلاء الأجانب وتفنيدهم مزاعمهم وبأى على رأس هؤلاء المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى فى كتابه المشار إليه (مساجد القاهرة ومدارسها - ج ٢ - العصر الأيوبي - ص ص ١٢٥ - ١٤٠) ، ومن العلماء والباحثين المصريين الذين شاركوا أيضا فى مثل هذه الدراسات نذكر كل من :

عباس حلمى : المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية - مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة - السنة ٣ - العدد ٣ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٦ - ١٩٧٧م - ص ص ١٣٧ - ١٥٩ .

محمد مصطفى نجيب : نظره جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامده وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي - مجلة كلية الآثار - الكتاب الذهبى - ج ٢ - القاهرة ١٩٧٨م - ص ص ١٩ - ٣٠

حسن الباشا : دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد مجلة كلية الآثار - العدد ٣ - القاهرة ١٩٨٩م - ص ص ٤٣ - ٥٦ .

حسنى نوبصر : عوامل مؤثره فى تخطيط المدرسه المملوكيه ضمن كتاب تاريخ المدارس المشار إليه سابقا - ص ص ٢٢٩ - ٢٢٥

(٣) من بين هذه الدراسات :

لم يغلق بعد فى أى جانب من هذه الجوانب حيث ما تزال توجد موضوعات عديدة بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل .

ويأتى على رأس هذه الموضوعات موضوع « العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة فى العصر المملوكى » ويكفى لبيان أهمية دراسة هذا الموضوع أن نشير الى ما حدث من خلط كبير فى مسميات العمائر الدينية الرئيسية (المدرسة والجامع والخانقاه) سواء فى كتابات المؤرخين القدامى أو فى كتابات العلماء والباحثين المحدثين فبعض المدارس ذكرت على أنها جوامع وخانقاوات وعلى العكس ذكرت بعض الجوامع على أنها مدارس وخانقاوات وبعض الخانقاوات على أنها مدارس وجوامع .

ويشير هذا الخلط عدة تساؤلات نجملها فى النقاط التالية :

- هل كان تعدد الوظائف فى المنشأة الواحدة هو المسئول عن ذلك ؟
وإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا اقتضت تسمية المنشأة على اسم وظيفة واحدة دون غيرها من الوظائف التى تقوم بها ؟

= عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٥٦ م.

وتعد هذه الرسالة بحث أول دراسة رائدة قام بها عالم مصرى ، واستفاد بها كل العلماء والباحثين فى هذا المجال ، ومن الدراسات التالية نذكر كل من :
سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك .
محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر .
على سالم النباهين : نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر - القاهرة ١٩٨١ م.

عبد الغنى عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الايوبيين والمماليك - القاهرة ١٩٨٤ م.
محمد سيف النصر أبو الفتوح : منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك - دكتوراه - غير منشورة - جامعة أسيوط - ١٩٨٠ م.

وأخيراً لا نفوتنا الإشارة الى دراسة الدكتور ابراهيم سلامة عن التربية الإسلامية فى مصر .
Salama, (1.), L'Enseignement Islamique en Egypt, le Caire, 1939

ماهى العوامل المختلفة التى كانت وراء هذا التعدد ؟ وهل كان ذلك التعدد ظاهرة عامة مباحة بشكل مطلق أم لا ؟

والواقع أن الاجابة على هذه التساؤلات تكمن فى دراسة العلاقة بين النص التأسيسى والتخطيط المعمارى للمدارس من جهة والعلاقة بين الوظيفة والتخطيط المعمارى من جهة ثانية وأخيرا العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة من جهة ثالثة.

اولا : العلاقة بين النص التأسيسى والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة :

لنصوص التأسيسية أهمية كبرى فى دراسة العمارة الاسلامية تتمثل فى أنها تحدد ماهية المنشأ سواء كانت جامعا أو مدرسة أو خانقاة أو قبة أو سبيلا أو قصرا وغير ذلك من انماط متعددة ، فضلا عن تاريخ الانشاء وأحيانا تاريخ البدء وتاريخ الانتهاء من الانشاء وفى احيان أخرى تحدد مراحل النشأة المختلفة لكل وحدة من وحدات المبنى المتعددة ، كذلك تتضمن هذه النصوص غالبا اسم المنشئ ولقبه ووظائفه وأحيانا اسم المباشر على العمارة ولقبه ووظائفه وهو مايفيد منه العلماء والباحثين فى مجال دراسة الآثار من جهة والتاريخ والنظم الاسلامية من جهة أخرى (١) .

وليس أدل على أهمية تلك النصوص من أنها تقطع بتاريخ انشاء بعض العماائر التى تكون محل شك بين المؤرخين ومن أمثلة ذلك جامع أحمد بن طولون الذى حسم تاريخه بفضل العثور على نصه التأسيسى المؤرخ بشهر رمضان ٢٦٥هـ / ٨٧٨م (٢) .

(١) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار - ط١- القاهرة ١٩٥٩ م .
الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية - ٣ أجزاء - ط ١- القاهرة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م.

حسين عليوه : الكتابات الأثرية العربية ، دراسة فى الشكل والمضمون - مستخرج من
المجلة التاريخية المصرية - القاهرة ١٩٨٤م - ص ٢٠٣ - ٢٥١ .

(٢) عن النص التأسيسى لجامع أحمد بن طولون أنظر :
حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ج١- القاهرة ١٩٤٦م - ص ٤٠ - ٤١ .

ومن خلال دراسة وتحليل هذه النصوص يمكن أن يكتشف العلماء والباحثين بعض عمليات التزوير والانتحال التي درج عليها بعض الخلفاء والسلاطين ومن اقتدى بهم من كبار الأمراء ، والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها قبة الصخرة وخانقاة بيبرس الجاشنكير ومشهد الامام الليث بن سعد والمدرسة الجمالية وغير ذلك . كذلك يمكن من خلال هذه النصوص التعرف على انواع الخطوط المختلفة ومراحل تطور كل نوع منها وفترة ازدهاره والتأثيرات المختلفة التي وقعت عليه .

هذا وقد تعددت وتنوعت الأماكن والمواضع التي نقشت أو سجلت عليها هذه النصوص التأسيسية فمنها ما هو على هيئة لوحات رخامية أو حجرية تثبت اما بصدر المداخل أو أعلى المحاريب أو أعلى واجهة ايوان القبلة أو رواق القبلة المطلة على الصحن . ومنها ما هو على هيئة أشرطة كتابية تمتد بطول الواجهة أو على أعلى المدخل الرئيسي وأحيانا تشغل الواجهات الأربع المطلة على الصحن ، وفي أحيان أخرى تشغل الأفاريز أو الازارات الخشبية أسفل الأسقف الخشبية وفي نماذج كثيرة يقتصر النص التأسيسي على عضادتي المدخل الرئيسي للمنشأة والمدخل الجانبي أو أحدهما .

هذا فضلا عن النصوص التأسيسية المسجلة على المنابر وكراسي المصاحف ودكك المبلغين أو المؤذنين والمحاريب والمآذن والقباب^(١) .

غير أن الذي يعنينا من كل سبق ، هو إبراز العلاقة بين النص التأسيسي

(١) تجدر الإشارة الى أن معظم النصوص التأسيسية التي اعتمدت عليها منشورة في عدد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية ومنها :

Mehren (A.F.) Gahirahog Kerifat, Del, Kjobenhavn, 1869 -1870).

Berchem (M.V.), Matériaux pour un corpus inscriptionum

بكونه يحدد لنا ما هية المنشأة كما سبق القول ، وبين التخطيط المعماري لمدارس القاهرة المملوكية لما لذلك من أهمية كبرى فى الكشف عن مدى ملائمة التخطيط المعماري لوظيفة المدرسة من جهة ومدى إرتباط النص التأسيسي بكل من التخطيط والوظيفة من جهة ثانية .

والواقع أنه نظرا لكثرة النصوص التأسيسية المسجلة على مدارس القاهرة المملوكية فإنه من خلال حصر هذه النصوص ودراستها والربط بينها وبين التخطيطات المعمارية لتلك المدارس يمكن أن نتعرف على أنواع التخطيطات المختلفة للمدارس ومدى شيوع كل نوع منها والتأثيرات المختلفة التى أثرت فيها من جهة والعلاقة بينها وبين النص التأسيسي من جهة ثانية .

ونستطيع القول أن العلاقة بين النص التأسيسي والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة كانت علاقة توافق وارتباط كامل وهو ما تؤيده الأدلة التالية :

١ - أن غالبية مدارس القاهرة المملوكية الباقية التى أطلق عليها فى النص

= Arabicarum , Egypte, Paris, 1903 .

Comb (E.) Et sauvaget (H.), Et wiet (G.), Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, 16 vois, le Caire, 193-1954.

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة - الأجزاء من ٤ إلى ٦ وهى المتعلقة بعمائر القاهرة - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٠ - ١٩٨٧ م .
حسن قاسم : المزارات الإسلامية والآثار العربية فى مصر والقاهرة المعزية - الأجزاء (٣) - القاهرة ١٩٤٢ - ١٩٤٥ م .

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ج ١ - القاهرة ١٩٤٦ م .
سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - الجزء ٣ - ٤ القاهرة ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م .

عادل شريف : النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة - دكتوراه - غير منشورة - جامعة أسيوط ١٩٨٦ م .

التأسيى والوثائقى مصطلح المدرسة لم يخرج تخطيطها عن التخطيط ذى الإيوانات حول صحن أو درقاعة ويبلغ عدد تلك المدارس نحو ٤٤ مدرسة^(١). وهو الأمر الذى يشير إلى أن هذا التخطيط كان هو النموذج الرئيسى الأكثر شيوعا وانتشارا خلال العصر المملوكى منذ بدايته وحتى نهايته .

٢ - خططت بعض مدارس القاهرة المملوكية الباقية التى اطلق عليها فى النص التأسيى مصطلح المدرسة وفق تخطيطات أخرى جديدة تختلف عن التخطيط ذى الإيوانات السابق الإشارة إليه ويبلغ عدد هذه المدارس الباقية نحو أربع مدارس ينحصر تخطيطها فى نموذجين رئيسيين هما : التخطيط ذى الأروقة حول صحن أو درقاعة ومن الأمثلة الباقية الدالة على ذلك كل من : المدرسة

(١) لم يتبق من المدارس المملوكية العديدة سوى اثنتين وخمسين مدرسة ، أغلبها بحالة جيدة وبعضها بقيت أجزاء منها بحالة جيدة ، وجدد بعضها الآخر ، ويضاف إلى هذه المدارس الباقية المدارس الفرعية الأربع الملحقه بمدرسة السلطان حسن .

ومن بين هذه المدارس الباقية نحو أربع وأربعين مدرسة يتبع تخطيطها التخطيط ذى الإيوانات حول صحن أو درقاعة ، منها ثلاث وثلاثون مدرسة أطلق عليها فى النص التأسيى مصطلح المدرسة ، وعشر مدارس لا يتضمن نصها التأسيى هذا المصطلح ، وإنما ورد فقط فى النص الوثائقى وفى المصادر التاريخية وهذه المدارس هى : مدرسة السلطان حسن الرئيسية ، المدرسة البشيرة ، مدرسة جمال الدين محمود الاستاذ المعروف بجامعة الكردى ، مدرسة جوهر اللالا ، المدرسة الجوهريه بالأزهر ، مدرسة قائى باى المحمدى ، مدرسة الجمالى يوسف ، مدرسة أبو بكر مظهر ، مدرسة خاير بك ، مدرسة قرقماس أمير كبير .

وتوجد مدرسة واحدة فقط أطلق عليها فى النص التأسيى مصطلح التربة وهى مدرسة أيتمش البجاسى ، ولكن يستدل من النص الوثائقى ومن المصادر أنها مدرسة ومن المعروف أن لفظ التربة قد تطور مدلوله واتسع معناه فى العصر المملوكى فصار اصطلاحا يقصد به المنشأة الدينية بصفة عامة والخانقاة بصفة خاصة التى تحتوى فيما تحتوى من مكونات معمارية على المقبرة أو القبة المدفن .

انظر : محمد حمزة الحداد : المرجع السابق - ص ١٥٩ - ١٦٨ .

الاقبغاويه ^(١) ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م (شكل ١٩٧). ومدرسة قانى باى
الجركى ^(٢) ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ، والنموذج الثانى هو التخطيط ذو الأروقة دون
الصحن أو الدرقاعة ومن أمثلته الباقية كل من المدرسه البندقدارية ٦٨٢هـ /
١٢٨٤م والمدرسة الطيرسية ^(٣) ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م (شكلا ١٩٨ - ١٩٩)

وتدل هذه التخطيطات الجديدة على تأثر عمارة المدارس بعمارة المساجد
والجوامع فى ذلك العصر ، ولم يقتصر هذا التأثير على التخطيط فحسب بل

(١) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير علاء الدين أقبغا بن عبد الله ابن عبد الواحد الناصرى ،
وهو من ممالك الناصر محمد بن قلاوون وأخو زوجته خوند طغاي ، وقد تنقلت به
الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أمير مائة مقدم ألف ثم استادارا ومقدم الممالك
السلطانية وبعد وفاة الناصر محمد ٧٤١هـ ، ١٣٤٤م سحر بالاسكندرية ، قتل
٧٤٤هـ / ١٣٤٣م .

ابن حجر العسقلانى : (أحمد بن على) ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م
الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة - ج ١ بيروت - بدون تاريخ - ص ٣٩١
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - ج ٢ - تحقيق محمد محمد
أمين - القاهرة ١٩٨٤م - ص ٤٨٠ - ٤٨١

(٢) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير قانباى الجركى ، وهو من ممالك الأتابك يشبك الشعبانى
ثم أنعم به على جرکس المصارع فأعتقه ، وصار بعد قتله من الممالك السلطانية ثم
خاصكيا ، وتنقلت به الاحوال إلى أن صار أمير أخور كبير فى عهد السلطان جقمق ،
وأمر السلطان ابنال بسجنه بالاسكندرية ثم أطلقه السلطان خشقدم وأرسله إلى دمياط فأقام
بها بطلا حتى كانت وفاته فى ربيع الآخر ٨٦٦هـ / ١٤٦١م
السقاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - ج ٦ - ص ١٩٤ - ١٩٥
(٣) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير علاء الدين طيرس نقيب الجيوش وكانت وفاته ٧١٩هـ /
١٣١٩م ودفن بمدرسته ، وقد وصفها المقرئى فى خططه بأنها جاءت « فى أبداع زى
وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة حيث أنه لم يقدر
أحد على ما كان فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحاريب وبلغت النفقة عليها
جملة كثيرة ... » .

المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٢٨٣

انتقلت إلى عمارة المدارس أيضا بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع مثل المئذنة والمنبر ودكة المبلغ أو المؤذن وخلوة الخطيب وكرسى المصحف ، وليس أدل على هذا التأثير أيضا من أن بعض ايوانات المدارس قد قسمت بواسطة بائكات إلى اروقة وبعضها الآخر يطل على الصحن أو الدرقاعة ببائكة .

نخلص من ذلك إلى أن مدارس القاهرة قد عرفت نوعان من التخطيط هما : التخطيط ذو الايوانات حول صحن أو درقاعة ، والتخطيط ذو الأروقة بنموذجيه المشار إليهما ، وقد أطلق على كلا النوعين فى النص التأسيسى والوثائقى مصطلح المدرسه وهو الأمر الذى يؤكد مدى ارتباط النص التأسيسى بالتخطيط المعماري لمدارس القاهرة المملوكية ..

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن الأمر لم يقف عند حد تأثير عمارة المدارس بعمارة المساجد والجوامع بل تأثرت هذه الأخيرة بعمارة المدارس أيضا فقد وجد إلى جانب التخطيط التقليدى المعروف للمساجد والجوامع ، وهو الصحن الأوسط والاروقة الأربعة المحيطة به ، تخطيطا آخر جديدا صممت على أساسه وهو التخطيط ذى الايوانات حول صحن أو درقاعة وقد أطلق على المساجد والجوامع التى صممت وفق هذا التخطيط فى النص التأسيسى والوثائقى مصطلح مسجد مثل : مسجد آل ملك الجوكندار^(١)

(١) النص التأسيسى لهذا المسجد بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى آل ملك الجوكندار الناصرى الراجى عفو الله تعالى ومغفرته بتاريخ سنة تسعة عشر وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها السلام » .

Berchem : Op. Cit., vol 1 , p. 170 .

Wiet : Repertoire, T. 14, p. 134 .

عادل شريف : النصوص التأسيسية - ص ٢٧٠ .
شاهنده فهمى : جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون - دكتوراه -
غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٧ م - ص ١٧٥ .

٧١٩هـ/١٣١٩م (شكل ١٤٥) ومسجد أحمد المهندار^(١) ٧٢٥هـ/١٣٢٤م
(شكل ١٤٦) ومسجد فرج بن برقوق المعروف بزاوية الدهيشة^(٢) ٨١١هـ/١٤٠٨م
(شكل ١٤٧) ومسجد كافور الزمام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م^(٣). أو جامع مثل جامع

(١) النص التأسيسي لهذا المسجد بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم .. آية الكرسي المباركة ..
أمر ببناء هذه التربة والمسجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة
المسلمين .. العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهندار نقيب نقباء الجيوش المنصورية ..
وذلك في شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمائة .. »

Mehren : Op. Cit., II, Del. p. 24 .

Berchem : Op, Cit., p. 172 .

سعاد ماهر محمد : مساجد مصر - ج ٣ - القاهرة ١٩٧٩م - ص ١٨٥ - ١٨٦ .

عادل شريف : المرجع السابق - ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

شاهنדה فهمي : المرجع السابق - ص ١٩٤ .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن هذا المسجد لم يصبح مسجدا جامعا الا في العصر العثماني
حيث استحدث به الأمير سليمان أغا القاذغلي منبرا ومئذنة سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م
كما يتضح من النص التأسيسي المسجل على المنبر .

وعن هذا النص انظر :

على مبارك : الخطط التوفيقية - ج ٦ - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٧م ص ١٢٣ .

نعمت أبو بكر : المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركى - رسالة دكتوراه - غير
منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٥م - ص ٤٨٦ .

شاهنדה فهمي : المرجع السابق - ص ١٩١ .

مصطفى بركات : دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية
للعناصر العثمانية بمدينة القاهرة - ماجستير - غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٨م -
ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) حجة وقف فرج بن برقوق - رقم ٦٦ محفظة ١١ بدار الوثائق القومية (محكمة)
مؤرخة بـ ٧ محرم ٨١٢هـ/١٤٠٩م .

(٣) حجة وقف كافور الزمام - رقم ٩٦ محفظة ١٧ بدار الوثائق القومية (محكمة) مؤرخة
بـ ٣ جمادى الأول ٨٢٩هـ/١٤٢٦م . عن (عادل شريف : المرجع السابق - ص ص
٤٩٥ - ٥٠٢) .

٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م ^(١) شكل (١٤٩) وجامع قراقجا الحسنى ^(٢) (شكل
١٥٣) ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م، وجامع القاضي يحيى زين الدين ^(٣)
(شكل ١٥٠) « بالموسكى » ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م ، وجامع سيدى

(١) النص التأسيسى لهذا الجامع بصيغة « بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا ننزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون
صدق الله العظيم - أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف السيفى جاني بك الدوادار
الملكى الأشرفى عز نصره بتاريخ شهر سنة ثلاثين وثمان مائة »

Mehren, Op. Cit., II, Del, p. 43

Berchem, Op. Cit Vol. 2. 363 .

حسن قاسم : المزارات الإسلامية - ج ٤ - ص ٩٢ .
حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ج ١ ص ٢١٩ .
(٢) عبد الطيف إبراهيم : وثيقة الأمير أنحور كبير قراقجا الحسنى - مجلة كلية الآداب - المجلد
١٨ - ج ٢ ديسمبر ١٩٥٦ م - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩ م - ص ٢٠٠ ، ٢٠٦ .
وعن النصوص التأسيسية بهذا الجامع انظر :
حسن قاسم : المزارات - ج ٤ - ص ١٠٨ - ١٠٩ .
سعاد ماهر : مساجد مصر - ج ٤ - القاهرة ١٩٨٠ م - ص ١٤٠ .
حسن القصاص : مساجد الأمراء فى عصر السلطان جقمق قراقجا الحسنى ، الجمالى
يوسف ، لاجين السيفى - دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٥ م - ص ٤٧ ،
٤٩ .

Berchem, op. Cit. Vol, 2, p. 383 .

(٣) حسن قاسم : المرجع السابق - ص ١٢٩ - ١٣٠ .
حسن عبد الوهاب : المرجع السابق - ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
سعاد ماهر : مساجد مصر - ج ٤ - ص ١٥٠ - ١٥٢ .
ليلى الشافعى : منشآت القاضي يحيى زين الدين بالقاهرة - (رسالة دكتوراه - غير
منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٢ م) .
عادل شريف : المرجع السابق - ص ٣٠٢ ، ٣٦٦ .

مدين^(١) (شكل ١٥٤) ٨٤٢هـ - ٨٤٣هـ / ١٤٣٨ - ١٤٣٩م ، وجامع
تمراز الأحمدي^(٢) ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ، وجامع قجماس الاسحاقى^(٣) ٨٨٥هـ -
٨٨٦هـ / ١٤٨٠ - ١٤٨١م (شكل ١٥٢) ، والمسجد بقلعة قايتباى
بالاسكندرية ٨٨٢-٨٨٤هـ / ١٤٧٧-١٤٧٩م (شكل ١٥٥) .

ولم يقتصر هذا التأثير على التخطيط فحسب بل انتقلت إلى عمارة المساجد
والجوامع أيضا بعض الوحدات والعناصر المرتبطة بعمارة المدارس مثل القباب
المدافن والاسبله ومكاتب السبيل وأحواض السبيل فضلا عن خزانات الكتب
وبعض الوحدات السكنية كالخلاوى والأروقة .

(١) أمرت بإنشاء هذا الجامع الخوندمغل بنت القاضي ناصر الدين محمد البارزى زوجة
السلطان الظاهر جقمق فى سنة ٨٤٢ - ٨٤٣ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٣٩م .
ابن اياس (محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور - ج ٣ - ط ٢ -
القاهرة ١٩٨٤م - ص ٧٠ .

(٢) حسن قاسم : المزارات الإسلامية - ج ٤ - ص ١٩١ .
عادل شريف : المرجع السابق - ص ٣١١ .
مختار الكسباني : جامع الأمير تمراز الأحمدي - (رسالة ماجستير - غير منشورة -
جامعة القاهرة ١٩٨٦م - ص ١٩٤ - ١٩٧) .
وقد توصل (الزميل الكسباني) إلى أن التخطيط الأصلي للجامع كان عبارة عن درقاعة
وسطى يحيط بها ايوانان رئيسيان ايوان القبلة والايوان المقابل له ، وسدلتان جانبيتان هما
السدلة الجنوبية الغربية والسدلة الشمالية الشرقية المقابلة لها .
المرجع نفسه - ص ١٣٦ - ١٣٧ .

Berchem, Op. Cit., p. 509 .

(٣) حسن قاسم : المرجع السابق - ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .
حسن عبد الوهاب : المرجع السابق - ص ٢٦٥ .
سوسن سليمان : منشأة الأمير قجماس الاسحاقى - (رسالة ماجستير - غير منشورة -
جامعة القاهرة ١٩٨٤م) .
عادل شريف : المرجع السابق - ص ٣١٢ ، ٣٧٢ - ٣٧٣ .

نخلص من ذلك إلى أن المساجد والجوامع قد عرفت نوعان من التخطيط هما التخطيط التقليدي المعروف والتخطيط ذى الايوانات حول صحن أو درقاعة وقد أطلق على كلا النوعين فى النص التأسيسى والوثائقى مصطلح مسجد أو جامع وهو الأمر الذى يؤكد مدى ارتباط النص التأسيسى بالتخطيط المعمارى لمساجد وجوامع القاهرة المملوكية .

يتضح مما سبق أنه قد حدث خلال العصر المملوكى نوع من التشابه والتقارب بين المدرسة وعمارة المسجد والجامع نتيجة تأثير كل منهما بالآخر سواء فى تخطيطه أو وحداته وعناصره ومن ثم أصبح لا يوجد ثمة فرق كبير بينهما ، الا يلاحظ أن تأثير عمارة المدرسة على عمارة المسجد والجامع كان أقوى واشد ومن ثم غلب التخطيط ذى الايوانات على المساجد والجوامع خلال العصر المملوكى بل واستمر خلال العصر العثمانى .

ومن الملاحظ أن هذا التخطيط كان يتناسب مع التطور العمرانى الكبير الذى شهدته مدينة القاهرة خلال العصر المملوكى وبصفة خاصة منذ عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وما دما بصدد الحديث عن التشابه والتقارب بين عمارة المدرسة وعمارة المسجد والجامع فانه يحسن بنا أن نشير إلى أنه لم يكن هناك ثمة فرق كبير بين عمارة المدرسة وعمارة الخانقاة وانحصر الخلاف بينهما فى بادى الأمر فى الوظيفة فبينما كانت تدرس العلوم المختلفة لطلبة العلم فى المدارس كان صوفية الخوانق يحضرون وظيفة التصوف كما أنه لم تكن تقام فى هذه المرحلة خطبة الجمعة لا فى المدارس ولا فى الخانقاوات ، ثم لم يلبث أن زال هذا الخلاف الوظيفى فتأثرت العمائر الدينية الرئيسية الثلاث ، المدرسة والجامع والخانقاة ، ببعضها البعض سواء من حيث اقامة الخطبة أو حضور وظيفة التصوف أو ترتيب الدروس كما سنشير فيما بعد .

نخلص من كل ما تقدم إلى أنه قد حدث نوع من التشابه والتقارب المعمارى بين العمائر الدينية الرئيسية السابق الإشارة إليها ، فلم يعد هناك ثمة فرق كبير بينها سواء فى التخطيط أو فى الوحدات والعناصر وهو الأمر الذى كان له أثره الكبير فى ايجاد ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزا مصطلح « التقارب الوظيفى » فأصبح المبنى الواحد بتخطيطه سواء ذى الايوانات أو ذى الأروقة ملائما وصالحا للقيام بالوظيفة أو الوظائف التى تقرر فيه والتى كانت تتوقف أولا وأخيرا على رغبة الواقف وامكانياته .

ثانيا : العلاقة بين الوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة : من الحقائق المعروفة أنه يتحتم على المصمم أن يراعى فى تخطيطه مدى ملاءمته لوظيفة المبنى ولذلك قيل أن « الوظيفة تقرر الشكل ، والشكل ينتج عن الوظيفة » . بل قيل أن الشكل والوظيفة شىء واحد ^(١) .

وفى ضوء ذلك يتضح أن الوظيفة هى المختبر الذى يقاس به مدى صحة التخطيط وكلما ازداد المبنى كفاءة وملائمة لأغراضه كلما ارتفعت قيمته وازداد قدر الاعجاب به وبجماله واكتسب مغزى وصحة وشرعية ^(٢) .

وحتى يحقق المبنى الغرض من انشائه ينبغى أن تتوفر فيه عدة شروط اولها المنفعة وثانيها شرط المتانة وثالثها شرط الجمال ورابعها شرط الاقتصاد ^(٣) .

والحق أن المعمار المصرى قد حقق فى عمائره بصفة عامة ومدارسه بصفة

(١) عرفان سامى : نظرية الوظيفة فى العمارة - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٦ م - ص ٢٩ .

(٢) المرجع نفسه - ص ٢٢ .

(٣) عن تفاصيل هذه الشروط وتطبيقاتها فى عمائر القاهرة الدينية انظر :

عرفان سامى : نظريات العمارة - القاهرة ١٩٦٧ م - ص ص ١٤ - ٣٨ .

محمد عبد الستار عثمان : نظرية الوظيفة - ص ص ٢١٦ - ٤٠٦ .

خاصه هذه الشروط مجتمعه ومن ثم استطاعت أن تنهض بوظيفتها على خير وجه وتقوم بها خير قيام من جهة وأن تبقى خالدة على مر الزمان من جهة ثانية .

وينبغى قبل أن نتحدث عن العلاقة بين الوظيفة والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة أن نشير أولاً إلى أنواع التخطيطات التي صممت على أساسها تلك المدارس والتي يمكن أن نحصرها في ثلاثة أنواع رئيسية وذلك على النحو التالي .

١ - التخطيط ذو الايوانات حول صحن أو درقاعه .

٢ - التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعه .

٣ - التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعه .

ونشير فيما يلي إلى كل نوع منها على حده :

١ - التخطيط ذو الايوانات حول صحن أو درقاعه .

يعد هذا النوع من التخطيط أكثر أنواع التخطيطات شيوعا وانتشارا خلال العصر المملوكي حيث يبلغ عدد المدارس الباقية بحالة جيدة والمصممة وفق ذلك التخطيط نحو ٤٤ مدرسة .

ويمكن أن نحصر تخطيطات هذا النوع في خمسة نماذج أساسية وذلك على النحو التالي :

١ - النموذج الأول :

ويتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة ايوانات أكبرها وأعمقها ايوان القبلة ومن أمثله الباقية كل من مدرسة الناصر محمد ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، ومدرسة صرغتمش ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ، ومدرسة السلطان حسن ٧٥٧هـ - ٧٦٤هـ / ١٣٥٦ - ١٣٥٧م ، ومدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م ومدرسة أولجاي اليوسفي ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ، ومدرسة الظاهر برقوق ٧٨٦ - ٧٨٨هـ / ١٣٨٤ - ١٣٨٦م ، ومدرسة جمال الدين يوسف الاستادار ٨١١هـ / ١٤٠٨م ومدرسة الأشرف برسباي ٨٢٦ - ٨٢٩هـ / ١٤٢٢ - ١٤٢٥م ، ومدرسة عبد الغنى الفخرى ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، ومدرسة القاضي عبد الباسط ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م . (أشكال ١٥٧ - ١٦٧) .

٢ - النموذج الثاني :

ويتكون من درقاعه وسطي ، مكشوفة أو مغطاة ، يحيط بها ايوانات رئيسيان ، هما ايوان القبلة والايوان الشمالي الغربي المقابل له ، وسدلتان جانبيتان هما السدلة الجنوبية الغربية والسدلة الشمالية الشرقية ومن أمثلة ذلك كل من مدرسة قلاوون (قبل تغيير معالمها) ٦٨٣ - ٦٨٤هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٥م ، ومدرسة

مثقال ٧٦٢هـ/١٣٦١م ومدرسة جوهر اللا ٨٣٣هـ/١٤٢٩م والمدرسة
الجوهريه قبل ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، ومدرسة جقمق ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ،
ومدرسة السلطان اينال ٨٦٠هـ/١٤٥٥م ، ومدرسة السلطان قايتباى (بقرافة
صحراء الممالك) ٨٧٧ - ٨٧٩هـ / ١٤٧٢ - ١٤٧٤م ومدرسة السلطان
قايتباى (بقلعة الكيش) ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ، ومدرسة أبو بكر مزهر ٨٨٤هـ/
١٤٧٩م ومدرسة قايتباى (بالمنيل ٨٨٦ - ٨٩٦ / ١٤٨١ - ١٤٩٠م ،
ومدرسة آزيك اليوسفى ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م . ومدرسة قانى باى أمير أخور
(بدرب اللبان) ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م ، ومدرسة الغورى ٩٠٩ - ٩١٠هـ /
١٥٠٣ - ١٥٠٤م ، ومدرسة قانى باى أمير أخور (بالناصرية) ٩١١هـ/
١٥٠٥م . ومدرسة قرقماس (بقرافة الغفير) ٩١١ - ٩١٣هـ / ١٥٠٥ -
١٥٠٧م ومدرسة بيبرس الخياط ٩٢١هـ / ١٥١٥م قبل تغيير معالمها .
(اشكال ١٦٨ - ١٨٤) .

- النموذج الثالث :-

ويتكون من درقاعه وسطى يحيط بها إيوانان رئيسيان هما إيوان القبلة
والايوان الشمالى الغربى المقابل له ، ومن أمثله الباقية كل من مدرسة اينال
اليوسفى ٧٩٤ - ٧٩٥هـ / ١٣٩١ - ١٣٩٢م ومدرسة جمال الدين محمود
الاستاذار ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م ، ومدرسة قانى باى المحمدى ٨١٦هـ/١٤١٣م
ومدرسة السويدى ^(١) ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م ، ومدرسة الجمالى يوسف ٨٥٠هـ/
١٤٤٦م ومدرسة جانم البهلوان ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م . وتربة ابناء قايتباى
(المدرسة اللطيفة) ضمن مجمعه بقرافة صحراء الممالك ٨٦٥ - ٨٧٢هـ/

(١) أمر بإنشاء هذه المدرسة القاضى بدر الدين حسن بن سويد المصرى المالكى ولهذه المدرسة
قصة فريدة فى بابها ، سوف نشير إليها فى متن هذا الفصل .

١٤٦٠ - ١٤٦٧ م ومدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م (اشكال ١٨٥ - ١٩١) .

هذا وينبغي أن نشير إلى أنه إذا كانت أمثلة هذا النموذج تتفق مع بعضها من حيث التخطيط العام وبعض التفاصيل فإنها تختلف فيما بينها من حيث بعض التفاصيل الأخرى فضلا عن المساحة فيما إذا كانت مستعرضة أو عمودية وعمق الأيوانات وإنخفاض أرضية الدرقاعة أو مساواتها لأرضية الأيوانات المحيطة بها فضلا عن الملحقات والمرافق ، وعلى ذلك يمكن القول بأنه يغلب على تصميم غالبية مدارس هذا النموذج الاتجاه العمودي على جدار القبلة (اشكال ١٨٥ - ١٨٩) أما بقية المدارس فيغلب على تصميمها الاتجاه العرضي أى الموازى لجدار القبلة ومن أبرز أمثلتها مدرسة خاير بك (شكل ١٩١) التى يمكن أن نعتبرها آخر مراحل تطور النمط المعروف بطراز القلب والجناحين فى العمارة المصرية الإسلامية والذي وجدت منه بضعة نماذج (مع الاختلاف فى بعض التفاصيل) منذ العصر الفاطمى وحتى أواخر العصر المملوكى كما هو الحال فى كل من مشهد السيدة رقية والأيوان القبلى بكل من خانقاة بيبرس الجاشنكير ومدرسة صرغتمش ثم خانقاة الغورى (اشكال ٦١ ، ١٥٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٠) .

أما كل من خانقاة برسباى بصحراء الممالك (شكل ٢٠٨) ومدرسة جانم البهلوان بالسروجية (شكل ١٩٠) فعلى الرغم من أن تصميمهما يغلب عليه الاتجاه العرضي أو الموازى لجدار القبلة أيضا إلا أنهما يختلفان عن نمط مدرسة خاير بك من جهة والمدارس السابقة التى يغلب عليها الاتجاه العمودي من جهة ثانية .

النموذج الرابع :

ويتكون من درقاعه يشغل ضلعها الجنوبي الشرقى إيوان رئيسى واحد هو إيوان القبلة ومن أمثلة ذلك المدارس الرابع الملحقة بمدرسة السلطان حسن ٧٥٧ - ٧٦٤هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٢م (شكلا ١٥٩ - ١٦٠) والمدرسة البشيرية ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م ومدرسة أيتمش البجاسى ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣م (شكل ١٩٤) وتحتوى بعض عمائر هذا النوع من التخطيط على سدتين صغيرتين بكل من الضلعين الجانبيين للدقاعه بواقع سدله بكل ضلع ، ومن أمثلة ذلك المدرسه البقرية ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥م (شكل ١٩٢) وفى أحيان أخرى توجد سدلة واحدة صغيرة تشغل جزءا من الضلع الشمالى الغربى للدقاعه ومن أمثلة ذلك مدرسة فيروز الساقى ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م (شكل ١٩٥) هذا ويوجد مثال واحد يشغل الايوان الرئيسى فيه الضلع الشمالى الغربى للدقاعه أما صدر الدقاعه (الضلع الجنوبي الشرقى) فيتوسطه المحراب كما هو الحال فى مدرسة قطلوبغا الذهبى ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م (شكل ١٩٣) .

النموذج الخامس :

ويتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به ثلاثة ايوانات وهو نموذج فريد ومن أمثلته مدرسة تتر الحجازية ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م . (شكل ١٩٦) .

٢ . التخطيط ذو الازوقة حول صحن او درقاعه :

يتكون هذا النوع من التخطيط من صحن أو درقاعه يحيط بها أربعة أروقه ومن أمثلته الباقية المدرسة الاقبغارية ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩م (شكل ١٩٧) وتتكون من درقاعه وسطى مغطاه تحيط بها أربعة أروقه ، رواق بكل جانب ، تشرف على الدقاعه بيائكة ذات ثلاثة عقود أوسطها أوسعها . ومن أمثلة هذا التخطيط أيضا مدرسة قانباى الجركسى ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م وتتكون من صحن اوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقه ، رواق بكل جانب ويشرف كل من رواق القبلة والرواق

الشمالي الغربي المقابل له على الصحن ببائكة ذات ثلاثة عقود بينما يشرف كل من الرواقين الجانبيين على الصحن ببائكة ذات عقدتين فقط .

٣ - التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة :

يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مستطيلة أو مربعة قسمت إلى أروقة بواسطة بائكات تسير موازية لجدار القبلة ومن أمثلته الباقية المدرسة البندقارية^(١) ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م (شكل ١٩٩) والمدرسة الطيبرسية ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م (شكل ١٩٨) وهي عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين موازيتين لجدار القبلة ويسقف هذه الأروقة سقف خشبي ذي براطيم الا أنه يتوسط سقف الرواق الأوسط منهما (الرواق الثاني) شخشيخة ترتفع عن بقية السقف وقد فتحت بأضلاعها عدة نوافذ للاضاءة والتهوية .

(١) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير علاء الدين ايدكين البندقدارى وقد جعلها مسجداً لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفيه وقراء .

المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٤٢٢ .

ومما تجدر الاشارة أن هذه المدرسة تعرف بزاوية الآبار .

هذا ويذكر (أ . كرزول) أن تخطيط هذا الجزء من المدرسة المستخدم كمسجد حالياً حديث ولكن من الواضح أن التجديد الذى حدث بالمدرسة لم يغير من جوهر تخطيطها وأنه كان على نفس النسق القديم حيث أن المساحة السابق وصفها بحكومة بالقبتين ، القبة خلف المحراب والقبة على يسار المدخل ، ولذلك فإنه كان من الصعب احداث تغييرات وتعديلات فى التخطيط الاصلى للمدرسة .

وعن الدراسة التفصيلية ورأى (أ . كرزول) انظر :

Crewell ; The Muslim Architecture of Egypt, Vol . 2, New York 1978, pp. 185 - 187. Fig. 107.

وانظر ايضاً : دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الايوبي والمملوكى - القاهرة ١٩٨٠ م - ص ٧٨ - ٨٣

أما عن العلاقة بين أنواع التخطيطات السابقة وبين الوظيفة التي كانت تقوم بها المدارس المصممة وفق هذه الأنواع بنماذجها المختلفة ، فنستطيع القول بأنها كانت علاقة توافق تام وارتباط كامل لا سيما بعد أن حدث التشابه والتقارب المعماري بين عمارة العماير الدينية الرئيسية (المدرسة والجامع والخانقاة) وأصبح لا يوجد ثمة فرق كبير بينهما وبذلك صار المبنى الدينى الواحد بتخطيطه سواء ذو الايوانات أو ذو الأروقة ، ملائما وصالحا للقيام بالوظيفة أو الوظائف التي تقرر فيه والتي كانت تتوقف أولا وأخيرا على رغبة الواقف وامكانياته كما سبق القول . والواقع أنه اعتمادا على ما ورد فى المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ، يمكن القول بأن وظائف المدرسة قد مرت بثلاث مراحل أساسية نوجزها فيما يلى :

المرحلة الأولى :

اقتصرت وظيفة المدرسة فى هذه المرحلة على تأدية مهمتها الرئيسية التي أنشئت من أجلها وهى التدريس فضلا عن استخدامها ووقفها كمسجد للصلوات الخمس سواء للمقيمين فيها أو المترددين عليها ومن ثم أضيفت إلى عمارة المدرسة فى هذه المرحلة مئذنة فقط ويتضح ذلك من خلال ما ورد فى وثائق الوقف فضلا عن المدارس الباقية ومنها على سبيل المثال مدرسة قلاوون ومدرسة الناصر محمد والمدرسة الأقبغارية ومدرسة صرغتمش ومدرسة أيتمش البجاسى ومدرسة اينال اليوسفى وغير ذلك ^(١) . أما اذا لم توقف المدرسة

(١) حجة أوقاف البيمارستان المنصورى القلاوونى (أوقاف رقم ١٠١٢) .

المقريزى : السلوك - ج ١ ق ٣ - ملحق رقم ٩ - ص ٩٩٧ - ١٠٠١ ، ملحق رقم ١٧ ص ص ١٠٤٠ - ١٠٥٠ .

عبد اللطيف إبراهيم : نسان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش - مجلة كلية الآداب - المجلد ٢٧ - الجزء ١ - ٢ ، مايو - ديسمبر ١٩٦٥ م - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩ م - ص ص ١٤١ - ١٥٨ .

حجة وقف الأمير أيتمش البجاسى - (أوقاف رقم ١١٤٣) . =

كمسجد للصلوات الخمس ففي هذه الحالة كانت لا تضاف إلى عمارتها مؤذنة مثل مدرسة قطلوبغا الذهبى والمدرسة البشيرية وغيرها .

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن المدارس المملوكة قد سارت فى بادئ الأمر فى نفس الطريق الذى سارت فيه من قبل المدارس الأيوبية^(١) التى لم توقف كمسجد للصلوات الخمس أو مساجد جامعة باستثناء المدارس الصالحية ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م التى وقفت كمسجد للصلوات الخمس ومن ثم أضيفت إليها المؤذنة التى ما تزال تعلو مدخلها الرئيسى (شكل ١٥٦) .

اما عن المواد الدراسية التى كانت تدرس فى المدارس المملوكية وغيرها فكانت تنحصر بصفة أساسية فى العلوم الشرعية مثل علم الفقه واصوله وعلم تفسير القرآن وعلم القراءات السبع وعلم الحديث ، وفى علوم اللغة العربية مثل

= حجة وقف الأمير اينال اليوسفى رقم ٥٥ محفظة ٩ بدار الوثائق القومية (محكمة) مؤرخة بـ ٢٩ جمادى الآخر ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م .

(١) يتضح من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية التى اشارت إلى المدارس الأيوبية ، والتى أشرنا إليها من قبل ، أن معظم هذه المدارس كانت تقتصر على التدريس فبعضها خصص لتدريس مذهب واحد من المذاهب الأربعة مثل كل من : المدرسة العادلية والمدرسة الفائزة والمدرسة القطبية والمدرسة السيوفية ، ومدرسة ابن رشيق وغير ذلك ، وبعضها خصص لتدريس مذهبين مثل المدرسة الفاضلية (الشافعى والمالكى) والمدرسة القطبية بحارة زويلة (الشافعى والحنفى) ، وبعضها خصص لدراسة الحديث النبوى الشريف مثل دار الحديث الكاملية ، أما المدارس الصالحية النجمية فقد خصصت لدراسة المذاهب الأربعة فضلا عن أنها أوقفت مسجدا للصلوات الخمس ومن ثم أضيفت إلى عمارتها المؤذنة التى ما تزال تعلو المدخل الرئيسى الذى يتوسط واجهتها الرئيسة (الواجهة الشمالية الغربية) .

وانظر أيضا : عفاف صبره المدارس فى العصر الايوبى - ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٢م - ص ص ١٥١ - ١٦٤ .

النحو والصرف واللغة والبيان والأدب وفي بعض الأحيان كانت تدرس بعض العلوم العقلية مثل علم الطب^(١) وعلم العدد (الحساب والجبر والمقابلة) وعلم الهيئة وعلم الميقات وغيرها .

ويتضح من خلال ما ورد في المصادر التاريخية والوثائق المختلفة أن تقرير أى درس من الدروس ، بل وأى وظيفة من الوظائف ، كان يتوقف أولا وأخيرا على رغبة الواقف وامكانياته فهو وحده الذى كان يقرر الدروس والوظائف فى منشأته سواء كان تخطيطها يتبع التخطيط ذا الايوانات بنماذجها المختلفة أو ذا الأروقة بنموذجيه السابق الإشارة إليهما .

وفى ضوء ما تقدم لا يصح مطلقا الربط بين عدد الايوانات فى المدرسة وبين عدد المذاهب التى كانت تدرس بها^(٢) . ويؤيد ذلك الحقائق التالية :

١ - لم يقتصر تدريس المذهب الواحد على المدارس ذات الايوان الواحد مثل المدرسة البقرية (شكل ١٩٢) ^(٣) ، ومدرسة أيتمش (شكل ١٩٤) ^(٤)

(١) درس الطب فى بعض المدارس والجوامع ومن بينها المدرسة المنصورية وجامع أحمد بن طولون وجامع المؤيد شيخ والجامع الأزهر .

حجة السلطان لاجين رقم ١٨ محفظة ٣ بدار الوثائق القومية (محكمة) .

المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٣٨٠ .

الصيرفى : نزهة النفوس - ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) Creswell , Op. Cit ., p. 121 .

(٣) امر بإنشاء هذه المدرسة شمس الدين شاكر بن عبد الله المعروف بابن البقرى ناظر الذخيرة الشريف وغير ذلك من وظائف سنية ، وكانت وفاته ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م . وقد رتب بمدرسته درسا للفقهاء للشافعية ، كما رتب فيها ميعادا .

المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٣٩١ .

ابن اياس : بدائع الزهور - ج ١ ق ١ - ص ١٢٩ ، ١٣٤ .

(٤) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير سيف الدين ايتمش البجاسى ثم الظاهرى ، وقد رتب =

بل درس أيضا بالمنشآت ذات الايوانين مثل جامع السنبغا البوكري (شكل ١٥١)^(١) وخانقاة برسبای^(٢) بقراة صحراء الممالك (شكلا ٢٠٧ - ٢٠٨) والمدارس ذات الاربعة ايوانات مثل مدرسة صرغتمش (شكل ١٥٨)^(٣) ومدرسة مثقال^(٤) (شكل ١٧٠) ومدرسة برسبای فی بادىء أمرها (شكل ١٦٧)^(٥) . كذلك درس المذهب الواحد فی مدارس يتبع تخطيطها التخطيط ذا الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة مثل المدرسة الطيرسيه (شكل ١٩٨)^(٦) .

-
- = بها درسين في الفقه الحنفى ، وقرر لهما مدرسين ومعيدين وأربعة عشر طالبا .
حجة وقف الأمير أيتمش البجاسى (أوقاف رقم ١١٤٣) .
المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٤٠٠ .
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى - ج ٣ - ص ١٤٣ ، ١٥١ .
(١) سبق القول أن الأمير اسنبغا قد وقف جامعہ على الفقهاء الحنفية ولذلك اشتهر باسم المدرسة البوكرية . انظر حاشية ٢ ص ٢١١ من هذا الفصل .
(٢) انظر حاشية رقم ٦ ص ٢٦٠ من هذا الفصل .
(٣) كانت هذه المدرسة وفقا على الفقهاء الحنفية ، حيث رتب فيها الأمير صرغتمش مدرسا وثلاثة معيدين وستين طالبا وغيرهم .
المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٤٠٤ .
عبد اللطيف إبراهيم : نصابان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش ص ص ١٤١ - ١٥٨ .
(٤) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير سابق الدين مثقال ، وقد رتب بها درسا للفقهاء الشافعية ، كما جعل بها تصدير قراءات وخزانة كتب ومكتبا لأيتام المسلمين .
المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .
ابن اياس : بدائع الزهور - ج ١ ق ١ ص ١٣٧ .
(٥) كان السلطان برسبای قد قرر أولا فى مدرسته درسا حنفيا ، ثم عدل عن ذلك وقرر دروسا للمذاهب الثلاثة الأخرى (الشافعى والمالكى والحنبلی) وكان ذلك فى رمضان ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م .
المقرئى : السلوك - ج ٤ ق ٢ - ص ٨٣٢ .
الصيرفى : نزهة النفوس - ج ٣ - ص ٥٣ ، ١٩٥ - ١٩٦ .
(٦) قرر الأمير علاء الدين طيبرس فى مدرسته درسا للفقهاء الشافعية .
المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٨٣ .
على مبارك : الخطط التوفيقية - ج ٤ ص ٤٤ .

٢ - لم يقتصر تدريس المذهبين على المدارس ذات الايوانين فحسب مثل مدرسة قانباى المحمدى (شكل ١٨٧)^(١) بل درس فى مدارس ذات ثلاثة ايوانات مثل مدرسة تتر الحجازية (شكل ١٩٦)^(٢)، ومدارس ذات أربعة ايوانات مثل مدرسة أم السلطان شعبان (شكل ١٦١)^(٣) ومدرسة أولجاى اليوسفى (شكل ١٦٢)^(٤)، ومدارس يتبع تخطيطها التخطيط المعروف بالتخطيط ذى الأروقة حول الصحن أو الدرقاعة مثل المدرسة الأقباقية بالأزهر^(٥) (شكل ١٩٧) .

-
- (١) أمر بإنشاء هذه المدرسة الأمير قانباى المحمدى (توفى ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) . وقرر بها مدرسا للشافعية ومدرسا للحنفية ووقف لها وقفا جيدا .
ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر - ج ٣ - ص ٨٢ .
السخاوى : الضوء اللامع - ج ٦ - ص ١٩٦ .
- (٢) امرت بإنشاء هذه المدرسة الست الجليلة الكبرى نخوندتر الحجازية زوجة الأمير بكتمر الحجازى وبه عرفت ، وقررت بها درسا للفقهاء الشافعية ودرسا آخر للفقهاء المالكية .
المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٨٢ .
على مبارك : الخطط التوفيقية - ج ٦ - ص ٦٦ .
- Abdar-raziq (A.) uncolleage Fe Minin Dans L'Egypt Emamluke, the journal of the Faculty of Archaeology , Part III, Cairo, 1978 . pp. 15 - 22.

- (٣) كانت هذه المدرسة من المدارس الجليلة ورتب فيها درس للشافعية ودرس للحنفية المقرئى : المصدر السابق - ص ٤٠٠ .
- (٤) كانت هذه المدرسة من المدارس المعتبرة الجليلة ، ورتب فيها درس للشافعية ، ودرس للحنفية ، وعندما توفى الأمير الجاى اليوسفى ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م دفن فى القبة الملحق بها .
المقرئى : المصدر السابق - ص ٣٩٩ .
ابن تغرى يردى : المنهل الصافى - ج ٣ - ص ٤٣ .
على مبارك : المصدر السابق : ج ٤ - ص ١٥١ .
- (٥) قرر الأمير أقبا عبد الواحد بمدرسته درسا للشافعية ودرسا للحنفية .
المقرئى : المصدر السابق - ص ٣٨٤ .
على مبارك : المصدر السابق - ج ٤ - ص ٤٦ .

برسبای^(١) (اشكال ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ - ١٦٩). بل درس أيضا فى المنشآت ذات الايوان الواحد مثل خانقاه شيخو^(٢) ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م (شكل ٢٠٥).

نخلص مما سبق إلى القول بأن المدارس كانت وظيفتها فى هذه المرحلة تعليمية بحتة وهى فى ذلك لم تكن تختلف عن غيرها من العمائر الدينية الأخرى المعاصرة لها كالمساجد والجوامع والخانقاوات التى إقتصرت وظيفتها فى هذه المرحلة أيضا على تأدية مهمتها الرئيسية وهى تأدية الصلوات الخمس وصلاة الجمعة فى المساجد والجوامع وحضور وظيفة التصوف فى الخانقاوات .

وختاما نستطيع القول بأن العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى للمدارس فى هذه المرحلة كانت علاقة توافق تام وإرتباط كامل .
المرحلة الثانية :

وفىها اقيمت خطبة الجمعة فى بعض المدارس ومن ثم أضيف إلى عمارتها منبر وخلوة للخطيب ودكة للمبلغ أو المؤذن ومثذنة اذا لم تكن موجودة .

وتعد اقامة خطبة الجمعة من التطورات المهمة التى حدثت فى بعض مدارس القاهرة المملوكية وكان وراء هذا التطور عاملان رئيسيان أحدهما يرجع إلى فتوى بعض العلماء بجواز تعدد خطبة الجمعة فى أكثر من مسجد فى البلد الواحدة

(١) سبق القول أن السلطان برسبای قد قرر أولا تدريس المذهب الحنفى ثم أضاف إليه بقية المذاهب الأخرى فى رمضان ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م .

انظر حاشية رقم ٥ ص ٢٢٥ من هذا الفصل .

(٢) المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٤٢١ .

السخاوى : تحفة الاحباب - ص ٩٠ - ٩١ .

أى واقف المدرسة - نظر واحتمال أما اذا شرطة فى مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح « (٢) .

ويكفى لبيان أهمية رغبة الواقف ، أن نشير إلى قصة مدرسة السويدي (بمصر القديمة) والتي اشتهرت فى المصادر التاريخية وفحوى هذه القصة أن منشئ المدرسة بدر الدين حسن بن سويد مات قبل اكمالها وأوصى بأربعة آلاف دينار لاتمام بنائها وكان قد جعل بها مدرسا وطلبة فقام ابنه المدعو عبد الرحمن بصفته ناظر الوقف بإبطال الدرس واقتضى رأيه أن « يجعل بدله خطبة يكون الخطيب بدل المدرس والمؤذن بدل الطلبة وتوسل ببعض الأمراء فاستأذن له الأشرف - السلطان برسباى - فى اقامة الخطبة من غير أن يفصح له بحقيقة الحال فاذن فيها واتصل ذلك بقاضى الحنفية اذ ذاك البدر العيني فأثبت الاذن وحكم بموجبه وعمل للمؤذنين دكة ووضع المنبر فيها بجانب المحراب على العادة .. » .

وبعد وفاة عبد الرحمن ناظر الوقف حدث نزاع بين الولاة بشأن النظر على الوقف وانتهى الأمر إلى القاضى الشافعى (ابن حجر العسقلانى) الذى حكم بإبطال الخطبة من المدرسة وتقرير الدرس على وفق شرط الواقف ولذلك أزيل المنبر ووضع فى خزانة وختم عليها وأبطلت الجمعة بالمدرسة بحيث لم تصل بها فى يوم الجمعة ١٠ صفر ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

وتطورت الأحداث بعد ذلك إلى أن أمر السلطان جقمق باقامة الخطبة بها من جديد لكون بعض من له غرض قال له أن الخطبة كانت أقيمت باذن الملك

(١) السبكى (تاج الدين عبد الوهاب) : ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩م .
معيد النعم ومبيد النقم - ط ١ - بيروت ١٩٨٦م - ص ١١٠ .

الا أن أشهر هذه الجوامع كلها كان بلا شك الجامع الأزهر (شكل ١٩) الذى بلغ عصره الذهبى خلال العصر المملوكى سواء من حيث مكانته العلمية أو انتاجه الفكرى فضلا عن الاهتمام بعمارته ووقف الأوقاف المغلة على طلابه وأروقتة^(١).

أما بالنسبة للخانقاوت فمن المعروف أن وظيفتها فى بادىء الامر كانت تقتصر على حضور الصوفية وظيفه التصوف ولم تكن تقام فيها خطبة الجمعة كالمدارس فى بادىء أمرها أيضا . ثم لم تلبث أن تأثرت الخانقاوات بالمدارس فأضيفت إليها وظيفة جديدة هى التدريس ، حيث رتبت بها الدروس ، على غرار ما هو متبع فى المدارس ، وقد يسر ذلك أنه لم يكن هناك ثمة فرق كبير بين عمارة كل من الخانقاة والمدرسة سواء فى التخطيط أو فى الوحدات والعناصر المختلفة كما سبق القول .

وليس هناك شك فى أن وجود التدريس بجانب التصوف يعد من التطورات المهمة التى حدثت فى الخانقاوت فى تلك المرحلة حيث أنها بذلك قد جمعت بين التصوف العلمى والعملى أو بين التهذيب الروحى والعقلى فى آن واحد .

= للمذاهب الأربعة ودرسا للحديث النبوى الشريف ، وعدة دروس فى القراءات ، كما رتب به ميعادا ومؤدبا لتعليم الأيتام القرآن الكريم فضلا عن أرباب الوظائف من المؤذنين والقومه والفراشين والأئمة وغير ذلك .

ومن الواضح أن الهدف من ذلك كان يتمثل في محاولة التوفيق والتقريب بين الفقه والتصوف أو بين العلماء والمتصوفة (أهل الحقيقة وأهل الشريعة أو أهل الظاهر وأهل الباطن) بعد أن كان قد اشتد بينهما النزاع واحتدم الصراع^(١).

وخير ما يؤكد هذا الهدف أن معظم شيوخ هذه الخوانق المتطورة كانوا يجمعون بين عنصرى الفقه والتصوف وكان ذلك من أهم الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل وظيفة شيخ الخانقاة ، وإذا كان بعض هؤلاء الشيوخ قد اشتهروا بين الناس بأنهم فقهاء فإن ذلك يرجع لغلبة العنصر الأول على الثانى فى مسلكهم ، وتزخر كتب التراجم والطبقات والحوليات بل وكتب الرحالة بإشارات كثيرة عن أمثال هؤلاء الشيوخ^(٢).

ومن المرجح أن هذا النوع من الخوانق المتطورة كان من بين التأثيرات الإيرانية التى انتقلت إلى مصر بكثرة خلال النصف الأول من القرن ١٣هـ/١٣م، أو قبل ذلك بقليل وهى الفترة التى شهدت نزوح عدد كبير من المتصوفة الأعاجم إلى مصر وبناء الكثير من الخوانق والزوايا لهم بل وتولى الكثير

(١) عن النزاع بين الفقهاء والمتصوفة (بين أهل الظاهر وأهل الباطن) انظر :
توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى - ط ١ - ١٩٤٦م ، ط ٢ (سلسلة
تاريخ المصريين - العدد ٢١ - القاهرة ١٩٨٨م

منهم مشيخة الخوانق المصرية^(١).

وكان هذا النوع من الخوانق المتطورة قد عرف في إيران منذ أواخر ٥ هـ / ١١ م وأوائل ق ٦ هـ / ١٢ م ومن أمثلتها خانقاة الإمام الغزالي بطوس وكان يدرس فيها الفقه الشافعي بجانب التصوف^(٢).

ومن أمثلة هذه الخوانق في القاهرة خانقاة سلار وسنجر الجاولي (شكل ٢٠٢) ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م وكان يدرس بها الفقه الشافعي بجانب التصوف ولذلك اشتهر ذكرها بالخانقاة الجاولية تارة وبالمدرسة الجاولية تارة أخرى^(٣). ومنها خانقاة مغلطاي الجمالي (شكل ٢٠٤) ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م وكان يدرس فيها الفقه الحنفي بجانب حضور وظيفة التصوف وقد اشترط الواقف أن يكون شيخ الصوفية « شيخا محدثا عالما حنفيا من أهل الخير والديانة حسن الطريقة والعفاف سالكا طريق أهل السنة » كما اشترط في الصوفية أن يكونوا من « الفقراء المتصفيين بالخير والديانة المتخلين عن الاكتساب المشتغلين بالعلم الشريف ».

وهكذا نجد أن طلبة العلم أصبحوا هم الصوفية المنزلين بالخان

الشيخ بالقاء الدرس وفي ذلك تذكرو الوثيقة أنه - أى الشيخ - يذكر لهم - أى للصوفية « درسا من العلوم الشرعية والأحاديث النبوية ويبحثون بحضرته على العادة فى المدارس » وتؤكد هذه العبارة الأخيرة أن هذا التطور فى الخوانق إنما هو من قبيل التأثير بالمدارس فى تلك الفترة .

أما حضور وظيفة التصوف فكان يعقد كل يوم عقب صلاة العصر ، كذلك كان يوجد بهذه الخانقاة درس الميعاد وذلك عقب صلاة عصر يوم الجمعة من كل اسبوع ، ورتب مع الشيخ قارئ الميعاد وكان يقرأ ما تيسر له من كتب التفسير والحديث النبوى ، هذا فضلا عن قراء القبة ، ولذلك اشتهرت هذه الخانقاة باسم المدرسة الجمالية ^(١) .

الا أن أشهر هذه الخوانق المتطورة كانت بلا شك الخانقاة الشيخونية (شكل ٢٠٥) ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) التى « اشتهر فى الأقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم » ^(٢) وقد أطلق عليها فى بعض المصادر المدرسة الشيخونية ^(٣) لأنها جمعت بين الدرس والتصوف كما سنرى .

وقد رتب الأمير شيخو بخانقائه عدة دروس منها أربعة دروس للمذ

من الطلبة الصوفية وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف ورتب لهؤلاء الصوفية الطعام واللحم والخبز والحلوى والزيت والصابون فى كل شهر^(١).

نخلص مما سبق إلى أن الجوامع والخوانق قد جمعت ، مثلها فى ذلك مثل المدارس بين وظيفتين فى تلك المرحلة هما : الصلاة والتدريس فى الجوامع وحضور التصوف فى الخوانق .

المرحلة الثالثة :

وفىها خطت المدرسة خطوة أخرى من التطور تتمثل فى حدوث التقارب الوظيفى بينها وبين الخانقاة ومن ثم أضيفت إليها وظيفة جديدة هى التصوف . ونستطيع أن نميز بين ثلاث مراحل لهذا التطور وذلك على النحو التالى :

المرحلة الأولى :

وفىها تأثرت المدارس بالخوانق المبكرة حيث رتبت بها ، بجانب التدريس ، وظيفة حضور التصوف لعدد من الصوفية ليسوا من طلبة العلم بالمدرسة ، . . . أمثلة ذلك كل من المدرسة البندقدارية (شكل ١٩٩) ^(٢) ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، والمدرسة الطيبرسية (شكل

٧٤٠هـ / ١٣٣٩م (شكل ١٩٧).

واستمرت هذه المرحلة حتى بداية العصر الجركسي ولكن مع تغيير طفيف اشترطه الواقع يتمثل في حضور كل من الشيخين والمعيدين والطلبة وظيفية التصوف بالمدرسة كل يوم بعد صلاة العصر ومن أمثلة ذلك مدرسة أيتمش البجاسي (شكل ١٩٤) ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م وتجدر الإشارة إلى أن طلبة العلم بهذه المدرسة لم يكونوا من الصوفية^(١).

المرحلة الثانية:

وفيها تأثرت المدارس بالخوانق المتطورة حيث جمعت المدرسة بين طلبة العلم والصوفية في آن واحد ومن أمثلة ذلك مدرسة السلطان الظاهر برقوق ٧٨٦-٧٨٨هـ / ١٣٨٤ - ١٣٨٦م ولهذا السبب وحده أطلق عليها في النص التأسيسي مصطلح « المدرسة المباركة والخانقاة »^(٢) (شكل ١٦٣) وهو ما يعد تطابقا وتلازما بين النص والوظيفة .

وم

خنفاته»^(١). وتفصيل ذلك أن السلطان برقوق قد رتب بمدرسته عدة دروس منها أربعة دروس للمذاهب الأربعة ودروس للقراءات السبع ودروس للحديث النبوي وزاد البعض درس التفسير وقد اشترط السلطان برقوق أن يحضر جميع طلبة المدرسة وشيوخهم وجميع الصوفية المنزليين بالمدرسة وظيفة حضور التصوف وذلك عقب صلاة العصر من كل يوم .

ويتضح من خلال ما ورد بالوثيقة أن السلطان برقوق قد وقف إيوانا مدرسته وهما الإيوان القبلي والمقابل له مسجدا لله تعالى تقام فيه الصلوات وتصلى فيه الجماعات ويعتكف فيه على الطاعات والعبادات ويشغل فيه بالعلم الشريف وشرحه وافادته واحياء ذكره ويجتمع فيه الطلبة والصوفية لاداء وظائفهم وأذن للمسلمين الدخول إليهما والصلاة فيهما فدخلوهما وصلوا فيهما وأما الإيوانان الجانبيان فإنه وقفهما ليشغل فيهما بالعلم الشريف ويصلى فيهما على العادة^(٢).

ويؤخذ من هذا النص أن السلطان برقوق لم يوقف مدرسته مسجدا جامعا وهو ما يتعارض مع ورد في بعض المصادر التاريخية من أنه قد أقيمت بالمدرسة خط

بإضافته إليها السلطان جقمق^(١).

وبعد ذلك حدث تطور هام آخر يتمثل في أن طلبة العلم بالمدرسة أصبحوا هم أنفسهم الصوفية المنزلين بها ومن ثم أصبحت بعض المدارس الجركسية تضم لأول مرة الطالب المتصوف وليس الطالب الفقيه كما هي العادة في المدارس وقد أقيمت في بعض مدارس من هذا النوع خطبة الجمعة ومن أمثلة ذلك المدرسة الزمامية^(٢) ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، والمدرسة الفخرية^(٣) ٨٢١هـ/١٤١٧م، ومدرسة القاضي عبد الباسط^(٤) ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، ومدرسة أبو بكر مزهر^(٥) ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، (اشكال ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٧٩) .

الا أن أشهر هذه المدارس كانت بلا شك المدرسة الأشرفية (شكل ١٦٧) ٨٢٦-٨٢٩هـ/١٤٢٣ - ١٤٢٥م وقد وقف السلطان برسباي مدرسته مسجدا جامعاً ورتب بها عددا من الطلبة الصوفية من ذوى المذاهب الأربعة

وعليهم أن يجتمعوا مع شيوخهم لحضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وكانت هذه الوظيفة الأخيرة تعقد يوميا عقب صلاة العصر^(١).

على أن هناك من المدارس ما جمعت بين الدرس والتصوف ولكنها لم توقف كمساجد جامعة ومن أشهرها على الاطلاق المدرسة الجمالية (شكل ١٦٤) ٨١١هـ / ١٤٠٨م التي وصفها المقرئى بقوله « فجاءت فى أحسن هندام وأتم قالب وأفخر زى وأبدع نظام ... »^(٢).

وقد رتب الأمير جمال الدين يوسف الاستادار بمدرسته مائة وثلاثة عشر صوفيا وعدة دروس منها أربعة دروس للمذاهب الأربعة ودروس للحديث النبوى ودرس للقراءات السبع ودروس لتفسير القرآن الكريم ، وقد اشترط الأمير جمال الدين حضور جميع الصوفية بمدرسته ، باستثناء البواب وخازن الكتب ، وظيفة التصوف كل يوم عقب صلاة العصر ، كما اشترط أن يكون من بين صوفية المدرسة عشرين صوفيا «

وهكذا يتضح أن هذه المدرسة قد جمعت بين الصوفى المجرد والصوفى الطالب وهى بذلك تعد مثلاً فريداً بين مدارس القاهرة المملوكية ولا عجب فى ذلك فهى المدرسة الوحيدة - فيما أعلم التى أوقفت « خانقاة » ، ومع ذلك لم يطلق عليها فى النص التأسيسى هذا المصطلح وإنما أطلق عليها مصطلح « المدرسة » .

ـ المرحلة الثالثة :

وفىما أوقفت بعض المدارس مساجد أو مساجد جامعة ولم ترتب بها دروس ولا طلبة واقتصر الأمر فيها على ترتيب عدد من الصوفية يحضرون بها وظيفة التصوف مرة واحدة كل يوم مثل مدرسة جوهر اللالا ، ومدرسة تغرى بردى ومدرسة الجمالى يوسف ، ومدرسة السلطان اينال ، ، ومدرسة قانى باى الرماح (بالقلعة) ، ومدرسة قرقماس (بقراة الغفير)^(١) (اشكال ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١

ومما سبق نرى أن كل المدارس فى هذه المرحلة لم ترتب بها دروس ولا طلبة كما هى العادة وأوقفت كمساجد جامعة ورتب بها حضور وظيفه التصوف ومع ذلك فقد أطلق عليها فى النص التأسيسى مصطلح المدرسة .

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب بل ان بعض المدارس الأخرى قد أوقفت كمساجد أيضا ولم ترتب بها دروس ولا طلبة ولا حضور تصوف كما فى المدارس السابقة ومع ذلك فقد أطلق عليها فى النص التأسيسى أيضا مصطلح « مدرسة » .

ومن أمثلة ذلك كل من مدرسة السلطان قايتباى (شكل ١٧٧) (بقلعة الكيش) ومدرسة جانم البهلوان (شكل ١٩٠) ومدرسة السلطان قايتباى (بالميل) (شكل ١٧٨) ومدرسة أبو العلا (بيولاى) ومدرسة السلطان قانصوه الغورى (شكل ١٨١) ، ومدرسة قانى باى الرماح (بالناصرية)^(١) .

كما تقدم يضح أن تعدد الوظائف في المدارس الجركنية لم يكن ظاهرة عامة
مباحة في كل المدارس لأن تقرير الوظائف المختلفة كان يتوقف أولاً وأخيراً على
رغبة الواقف وامكانياته كما سبق القول ، وغير ما يلهي ذلك أن بعض المدارس قد
جمعت بين الدرس والتصوف فحسب وبعضها قد جمعت بين الدرس والتصوف
واقامة الخطبة ، وبعضها قد جمعت بين اقامة الخطبة وحضور التصوف ، وبعضها
اوقفت كمساجد جامعة فحسب ولم ترتب بها دروس ولا طلبة ولا حضور
تصوف ، وبعضها اقتصرت على تأدية و

